الطبعة
2

دار ديوان
Dar Diwan

وقائع أصدق من خارطة

﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ ﴾

لما عبد الكريم

فريق
متميزون
E-BOOK

مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

قام بالتحويل لهذا الكتاب:

كلمه مهمة:

هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.
وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات:

فريق (متميزون)

انضم الى الجروب

انضم الى القناة

وقائع أصدق من خارطة

{يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ}

لما عبد الكريم

عن الكتاب..

ليست فلسطين كوفيّة، ولا حلقة دبكة، ولا ثوبًا مطرَّزا، أو أغانيَ ثوريّة، ليست ريم بنّا، ولا درويش، ولا علمًا مسفوحًا على ظهر، أو حنظلة متدلِّيًا على صدر، ليست قافًا منقلبة كافا، ولا خارطة توشم أو تصلب، ولا عصبة فتيات لسن من الأرض، لكنهنّ يتصيّدن اللكنة تغنجا، أو بحثًا عن دلالات ثقافة وثوريّة، أو شبيبة تُسقط الفرض بالأغنية، والرقصة، واللفعة، ريثما يبدأ الكلاسيكو، أو ما شابهه، ليهتف باسمها تفريغا للطاقات!! فلسطين ليست ميجانا، ولا عتابا، ولا ظريف الطول، فلسطين ليست رثائيات ولا جيفاريات، ولن تكون كربلاء! فلسطين قضيّة، تؤخذ بالجد والنَّصب، وتوهب العمر، والدم، والعصب! قضيتي.. في كنف الله.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الإهداء..

أرأيتَ من ارتضى من حياته قضيَّة: راودته عن دنياه، فأتاها طائعًا؛ عاشها وساكنته، وأسبغت عليه جلالَها المُدمَّى ينزفُه وهجًا، وجلَّلته تاجَ وقارِها حممًا تلظَّاه، وسفودًا تُحاصره.. وإنَّه -على ذلك- يرفلُ مُتمرِّغًا بأُبَّهات سناها حرًّا، ويزيدُ فوقَ العمر أعمارًا.. ما بقيَ في كنفِ الله! فإليهم في ثغورهم: «وإنَّ جندنا لهم الغالبون»

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

شكر وعرفان

إلى عطية الرحمن، المساقة لي من على بعد قارة:

لالة مراين سهير؛ ما رأيت فيك إلّا الجزائر.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

المقدمة

الحمد لله الذي أسرى بعبده ليلا، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، الذي بارك سبحانه حوله، وجعله قبلةً للمسلمين أولى، ومعراج النبيِّ العربيِّ الأمين، من الأرض «التي باركنا فيها للعالمين»([1]) إلى السموات العلا، وصلِّ اللهم على نبيِّك وصفيِّك محمَّد، صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم، خاتم الأنبياء والمرسلين، المبعوث رحمة للعالمين، القائل: «إنّي أختار لك الشام؛ فإنّه صفوة الله عز وجل من بلاده، وإليه يحشر صفوته من عباده. يا أهل اليمن! عليكم بالشام؛ فإنّه صفوة الله عز وجل من أرض الشام، ألا فمن أبى فليسق من غُدر اليمن فإنّ الله عز وجل قد تكفّل بالشام وأهله([2])».

والقائل صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أُمّتي ظاهرين على الناس يرفع الله قلوب أقوام يقاتلونهم، ويرزقهم الله منهم حتى يأتي أمر الله عز وجل وهم على ذلك، ألا إن عقر دار المؤمنين الشام، والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة» ([3])

قديمًا كانت مفردة «فلسطين» وحدها تجيّش الشعور، وتستنهض الهمم، وكان عداء اليهود وبغضهم ممّا يورّث، مع الدرهم والدينار، ويُوصى به! وها نحن اليوم ولّينا أيتاما على يُتمنا، نتوسل الشعور بالدّم، فلا يُمنّ به علينا، وأصبح مقتنا ممّا يُتدافع إليه، ويُدلّل به على ولاءات أولي الأمر لأشياع يهود!!

أمّا وقد ابتدرنا الكلُّ بالجحود والنكران، ونابزنا القريب قبل البعيد العداء، حتى استحال دمنا ماءً، ولحم بنينا لا يلتفت إناه، وغاضت بنا بقاع الأرض أشتاتا، وأعارنا الكون -مسلمه قبل كافره- أذنًا صمّاء، فغدونا ورقةً يقال بها هكذا، في أروقةٍ وسراديب، يتصارع رؤوس الكفر على كشفها، وردمها، وطحنها، وما من موحِّدٍ معنا، ولا ناصر لنا، إلّا الله وحده، هو حسبنا ونعم الوكيل.

إلّا أنّ وعد الله الحق، بالنصرة والتمكين، الذي نؤمن به إيمانًا قاطعًا جازما، يقتضي وجود ثلةٍ من عباد الله الخلصاء، وجنده الأصفياء، الذين ينقسمون بين المعرفة اليقينية، بأنّ فلسطين لم تك قط، بقعة من الأرض مسلوبة، أو قضية ثورية ملحمية، يساندها الحقوقيون، وأحرار الضمائر، إنّما هي في شرعهم أرض مخصوصة في محكم التنزيل، وتواترت في فضلها، وبركتها، وخصائصها الأحاديث الصحاح، فلذلك هي عندهم دين! وآخرون يبنون عل معرفتهم اليقينية تلك أعمالا، على اختلاف أجناسها، هي في عرف الحق: جهاد، ورباط ثغور، لعلّهم بها يعجّلون موعود النصر، أو يكونون على دربه- إعدادا- من السالكين!

وإنّي قد سقتُ كتابي هذا تقدمة بين يدي هؤلاء المباركين؛ وجعلته من ابنة الأرض، إلى امتدادها وعمومتها من العرب أحفاد الفاتحين، والمسلمين جميعا، الذين يشهدون لربّ العالمين بالوحدانية، ويؤمنون أنّهم إليه- سبحانه- راجعون! وإنّني -إذ خططته على مكث- فقد تقلّبت بيّ الأحوال، وتنازعتني الصروف، فآثرتُ أن أحتفظ بطبائع الأيام، وما حمّلت به الحرف، وأنا أتقلَّبُ بين حال العائذة بربّها من تولّي اللئام، وفقد الكرام، وبين المستغيثة بمحضنها من أبناء العم: لحما، ودين، وبين الجازمة بحسن المنقلب، المتشبِّثة بجذرها، وبأنّ الرباط على الأرض اصطفاءٌ، وعلوٌّ، وإن نبذنا القريب. هذا وقد أسميت كتابي (يكادُ زيتُها يضيء)، الذي فيه حمولة من معان، تثبت أصالة نسبنا: نحن الفلسطينيون، وبأنّنا لم نك أبدا، عالةً على هذه الأرض، ولا شراذم لقطاء، كما الأدعياء، بل وفيه لوم من أسند ظهره إلى الهواء، وعتب المخذول: نحن بركتكم، فكيف تنكثون عهودا، أخذها الله على المؤمنين!

أرِّخ لحزنِك يا ابنَ الآفلينَ فإنّما

حمأُ المواجعِ لازبٌ مبذولُ

إلّا شكوتَ لواصلٍ لتشققتْ

منك المفاوزُ وامّحى التفصيلُ

والدمعُ حين شكايةٍ لا ينتقِص

فابذلْ فأنت العامرُ المقبولُ

أوما رأيتَ اللهَ في تنزيله

أرجى الخليلَ يقابلنَّ خليلُ

لمُا

ثمّ جعلته في أربعة أقسام: أوَّلها ها نحن بنو كنعان: حصيلة سنين، وثنّيتُها بنصوص متفرقة أسميتها: أكتافٌ للبنادق والحبيبة، والثالث: يا ابن أمّي، يا ابن أكثر من أب، وفيه أمدّ جذور الوصل بين فلسطين وحاضنتها العربية والإسلامية، وختمته ب جئتُ أُعلن حضوري وهي مذكرات الحرب على قطاع غزة - فلسطين.. علّ ربّنا - سبحانه - يثبت الأجر، ويتقبّل منّا: شهدانا، وجرحانا، وأسرانا، ويستخلص منّا «جنده الغالبون» ويعضّدنا بأخوتنا: أخوة الدين، يشدد بهم أزرنا، فندخل الباب معهم سجَّدا، ركعا، مسبِّحين بحمد ربِّنا، مستغفرين، إنّه - سبحانه- ناصر من ينصره.

وإنّي أدعوه -سبحانه - أن يتقبّل منّي عملي هذا، فإن أحسنت، فمن الله، وإن أخطأت، فمن نفسي والشيطان، «فاللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ».

لمُا عبد الكريم

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ها نحن بنو كنعان...

فلسطين ليست صكَّ غفران، ولا كلُّ منتسبٍ إليها بريئةٌ ذمّته، لكنّها طاعنةٌ في المروءة.

لمُا

«ها حنا بنو كنعان م فرنيم حق قاريه حمل،

إيش حر حصل هيك.

ها نحن بنو كنعان من فرنيم، من حمل حق الحضارة،

أليس حرام أن يحصل بنا هكذا..؟!»

مقتطف من نقش كنعاني وجد في البرازيل، يعود تاريخه لنهاية القرن الثاني قبل الميلاد، بعد دمار قرطاجة سنة 146 قبل الميلاد!

فلسطين قضيةُ الأمّة

وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ -

(81) الأنبياء

أكتبُ سطوري التالية على وقع قصفٍ متتال، وأنا أعلمُ بأنَّ القادم قد لا يكون أوانه قابلًا للتكهُّن أي نعم، لكن أن يأتيَ، هو اليقين بعينه. تعرف! هي نصوصٌ صريحةٌ من كتابٍ وسنّة، والحربُ مصيرٌ قبل أن تكون قرارا، لذا تقبّلوا كلماتي هذه. هي لن تحتوي تبكيتًا ولا تقريعا، مع أنَّ كلَّ الظروف تدعو إلى ذلك، في الواقع إنَّ التبكيتَ والتقريع يبدوان أنسب ما يمكن إفرازه، بل وتوقّعه بشدّة، من أمَّةٍ تعاني وحدها، وتجترُّ الويلات، والخطوب الجسام، التي تصل إلى حدِّ الإبادة، في معزلٍ عن امتدادها، والأكثرُ إفزاعًا أنَّها أمَّةٌ مخصوصة- لا في ذاتها، وإن كان يصحُّ بصحيح الحديث- بل بأرضها التي نزلت فيها آياتٌ مفصَّلاتٌ محكمات، ترسم الطريق بيِّنًا جليًّا، فيتنكَّفُ الكلُّ عنه، ويُسلموا أمانته، لثلةٍ مغلوبةٍ على أمرها، تراوح، وترابط، وتُقتل، بينما أقصى ما يقدمه امتدادها هو اللطم والنواح، على أحسن تقدير!

قد كنتُ من قبل أملأ الصفحات الطوال، في توزيع التهم، وإرساء الأثقال على الأكتاف، من لومٍ مملوءٍ بالخذلان، وشجبٍ يصل حدَّ التجريح، بنبرةٍ شديدة قاسية، وثورةِ حروفٍ عارمة، يعرف الجميع أننا نملك زمامها، تمامًا كما يملك شعبٌ محاصرٌ قرارَه في الردِّ والإيجاع، كشوكةٍ في حلق!

وقد أعذرُ نفسي عندما أجد أنَّ كلَّ ما أذكره عن الحرب الثانية مثلا، هو حذاءُ وزيرِ دولةٍ شقيقة، يتأرجح يمنةً ويسرة، بعد صدور إعلان الحرب من على أرضه الشقيقة، وإحكام الحصار البريّ علينا، كقرار سياديٍّ، ينفذه جند الدولة الشقيقة، لنصير نحن الأشقاء، الأشقاء جدا..كما فئران في مصيدةٍ محكمة، لا يزيد في إحكامها إلّا الشقيق، بينما يقاطع ذلك التأرجح المملوء حتى آخره باللامبالاة والصلف، والجبروت، يقاطعه بثٌّ لقناة العدوّ، تعرض من خلاله دعوات الاستسلام المتشفِّية، لتسليم أبنائنا المقاومين، مقابل إيقاف حرقنا أحياء!! لكم أن تتخيلوا: حذاء، وجلسة منتصبة، في مقابل حصار محكم، يتناوشنا خلاله: القصف الجويّ، والمدفعيات الأرضيّة، والطوربيدات البحريّة، مع كل احتمالات الاجتياح البريِّ المريعة، كلُّه في آن، بينما لازال الحذاء يتأرجح! أنتم الآن تعرفون عينةً من حجم الثقل النفسيّ، قبل تعداد الشهداء والجرحى: أن تحاصر من ابن أمِّك، بينما عدوّكما ينسفك نسفا.

ولكن، ليس هذا موضوعنا، الذي كنت أقوله، بأنَّني لن أقبل بعد اليوم، من عالمنا العربيّ والإسلاميّ، كلَّ دعاوى الاستهجان، أو الصمت المتقزِّز، من هبّات صوريّة، موؤودةٌ لاشك في أرضها، لأقلِّ ردّات فعلٍ نأتيها، تقول بأنّنا لازلنا عنصر قلق، وتشتيت، وإرباك! هذه المرّة لن أجدني أوافقهم- وإن فعلت من قبل-

لكن ليس هذه المرة على أية حال، ليس ونحن نُنسى، ونُقصى، ونُعادى! فقط دعوني أصف لكم انشراح الصدور، وأنصاف ابتسامات الرضا، من شعب آمن أنَّ اصطفاءه في مصيره، ورحى الحرب تطحن الأرواح قبل العظام، دعوني أصف لكم فرحتنا ونحن نستقبل مكالماتكم العشوائية، ومسيرات أندونيسيا الحاشدة، والفتاة الجزائرية المتنهنهة على الإذاعة، بينما نتعامل نحن مع الحرب كمفردة اعتيادية، أنّها قدر الله الذي ليس علينا تقبّله فقط، بل والرّضا به، واعتباره علامتنا الفارقة! أي نعم؛ هنالك وجهات نظر تضرب في أصل كل تلك الجهود، لكنّني اليوم لن أطلب منكم إلّا أن تفعلوها، أسمعونا أصواتكم، تذكرونا، غلغلونا في ذاكرة القلب، قبل أن تحيق بكم دائرتهم التي يرسمون حدودها منذ عقود!

وما الذي يدعوني لتوقع أقل القليل، عوضًا عن الكبت المرير، الذي لا يجد له متنفسا؟! في الواقع إنَّنا نساقُ بعيونٍ مفتوحة على وسعها، إلى مصيرٍ أسود حالك، بدأ منذ أزمنة بعيدة، وها هو يحصد غرسه فينا، بعلامات ودلائل تتسارع كل يوم.

ثم إنني لست هنا في معرض التحليل الدقيق والجاد، بقدر ما هي التفاتات بسيطة، تأتي كيفما اتفق، تمامًا كما تتسارع الأفكار، على ذهنٍ يوشكُ على الموت مثلا.

انظروا؛ إنَّهم يراهنون على عوام المسلمين، على تلك القوة العددية الكاسحة، التي تقلب الموازين ببضع هبَّات عاطفية لامحسوبة، فمابالكم لو كانوا على بيِّنة من أمرهم، وقد أمَّروا عليهم خيارهم! لذا بدأ الأمر بتجريئهم على مرجعياتهم الدينيّة، وتفريغهم من مقاصدهم، وتدليس الأمر عليهم، حتى ليحسبونها الحريّة، بدعاوى هابطة، فصار العوام يتعرَّضون للشأن العام والخاص، ويتصدَّرون المشهد، ويربكونه بميوعتهم، وتخبُّطهم، وافتقادهم للقاعدة الضابطة، وذلك كنتيجةٍ حتميّة لكل المجهودات الضاربة في أصول الثقات، فصرنا ليس فقط أمّة بلا رأس، بل لسنا إلّا رؤوسا. انظر كيف عملوا ردحًا من الزمن طويلًا، على الضرب في أصول معتقداتنا، فصناعة معاني الشك، فالتجريح والتطاول، فالتصنيف على أسس تذهب بنا كل مذهب، ومن بعد التصنيف، صرنا أعدى الأعداء على الخاصة منَّا: أعلامنا وتيجان رؤوسنا، فلما تهاوَوا من سفح اعتداد المسلم بثقاته: صار كل منّا يدّعي ما ليس فيه، ويقدُم في الملمات، وما هو بأهل، فيزيد إرباكنا، ويعمق خطانا في الوحل، حتى ضعنا وضيّعنا، ثم التفتنا نبحث عن مفادين، فما وجدنا غير العاملين!

فألقينا عليهم من حمول الحقد، وجدليّات التخوين، حتى أقصيناهم من وعينا، قبل أن تمتدّ إليهم أيدي الطغاة، فتغيّبهم عن المشهد قسرا، لتفرغ الساحات لمعتلّي الفكر، مشوهيه، لا عن بّينة- فأقدامهم في الهواء- ولكن ثارات نفسٍ وهوى، ثمّ يحسبون أنّهم يحسنون صنعا، فيطالبون الإمّعات من الجهّال بالولاء، والخارجيُّ من أبى.

أتت من بعد ذلك خطوة بالغة التوقُّع منطقية، فصار التشكيك في المسلمات ديدنا، وصار اسم فلسطين يستجلب خزعبلات الأولين والآخرين، وتكهناتهم وإرهاصاتهم، بل وجعل مصدرًا ثخينًا لإقحام النعرات العنصريّة، وخبال إرساء العام على الخاص من تجارب فرديّة، بل وتوسيع دائرة الرتق، بنشر الأكاذيب المضللة، وتقصّد التيه عن الغايات: حقارة نفس، أو تولي ما قبل الزحف.

والمصاب أن هذا كلّه صار طابعًا عامّا، لم ينج منه متمسِّحٌ في أذيال دين، أو مغرد خارج السرب متثيقف، أو عاميٌّ اعتاد حشر أنفه فيما لا يعلم، لينال حظوة في عين قرنائه ممّن لا يعلمون!

ولذا يا كرام، وكهجمةٍ ارتداديّة، كمستبقات الإنذار، وكحصاة تؤرق مضاجعهم جميعا = اجعلوا اسم فلسطين وردًا يوميًّا تتدارسونه، أنا لا أبالغ، أمرٌ بهكذا بساطة لن يسلبكم تنعُّمكم بحيواتكم، على أراضيكم الممتدة من محيطها إلى الخليج، إنَّ إعارة أوقاتكم لهذا الشأن، قد يحطُّ عنكم ذنبا، ويقربكم بمقدار ما تجهدون، ولكن بالله عليكم، لا تتركوا أنفسكم للأقاويل المدسوسة هنا وهناك، ولأخبار الكهنة والرهبان من أبناء جلدتنا، الذين تجدونهم في كل مكان: يتزيُّون بأردية الصلاح، وباطنهم الغث، فاقدو البوصلة المموَّهون، مولاهم الدينار وولي الأمر. اجتهِدوا في البحث عن الحقِّ، وخلّفوهم هم وراءكم، فواحدنا

موقوفٌ مسؤول، لن يشفع له عن قعوده عن تقليب الصفحات، واستقصاء الحقائق، وتركيز البيّنات والمسلّمات في وعيه، ووعيّ من تحته ممن سيسأل عنهم..لن يشفع له شفيع.

الأمر في بساطة أن تسمُّوا أبناءكم بأسماء مدن فلسطينية، بأسماء قادة الفتح الشاميّ، حدّثوا أولادكم عن أعلام الوطن السليب، عن محنته ونكبته، راجعوا كتب السير والتاريخ، انقشوا الاسم على قلائد نسائكم.

اسألوا من تتوسّمون صلاحه: ماذا نقرأ، وأين نبحث، ودلّنا، وإن كنتم تعانون مع القراءة، فالمقاطع المسجلة والمصورة لم تدع لكم حجة، تناقلوا أخبار المجاهدين، أقحموا أنفسكم في وسط الحدث غصبا، لا تقولوا ليس في أيدينا من الأمر شيء، تحدّثوا، وأربكوا أي جلسة لكم مع الأهل والأصدقاء، بخبرٍ أو قصةٍ تخصُّ فلسطين، املؤوا مواقع التواصل بأخبار فلسطين، وإن كان على هيئة طرفة، لا تجعلوا جدرانكم تجدبُ عن ذكرها، تواصَوا بذلك، ولا تجعلوا رهانهم على الذاكرة المهترئة يربح، ولا رهانهم الأكبر على هبّاتكم اللحظية، التي سرعان ما تخمد، كأنّها ما كانت قط، انشروا الوعيَ ما استطعتم، وفي أكثر الأماكن بعدًا عن تقبُّله، فقط اعلموا أن قضيتنا إسلامية، وفقط إسلامية، لا مكان بيننا لغثائيات الكوفية ومارسيل، وكل أبجديات ما يسمى بالقضية الفلسطينية تثعلبا، لتلفتكم عن الغايات...

إنّه الله من نطلبه، فلا تنكَّثوا السبل، فقد جرّبناها ودعاتها قبلكم جميعا، فأوكلنا الله إلى أنفسنا دهرا، حتى تيقّن العاملون منّا أنّها لن تكون إلّا لله، فساروا وسرنا، فاتبعوا أنتم سببا، واعلموا إن هي كلماتٌ أنتم قائلوها، في مقابل دماء تقدم حبًّا وطواعية، لتمنح أجيالكم حقَّ الوجود...

هذا ما يسع الفرد منكم عملا، أما المخلَصون منكم، أولو البأس والعزم، فشأنهم مع الله ومعنا أمر آخر..!

8 كانون أول 2017

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

القدس الشريف عاصمة فلسطين..

سُئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: هل الأفضل المجاورة بمكة أو بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم؟ أو بالمسجد الأقصى؟ أو بثغر من الثغور لأجل الغزو؟

فأجاب رحمه الله: «المرابطة بالثغور أفضل من المجاورة في المساجد الثلاثة كما نص على ذلك أئمة الإسلام عامة، وقال أيضًا: ما أعلم في ذلك خلافًا بين العلماء، وليست هذه المسألة عند من يعرف دين الإسلام، ولكن لكثرة ظهور البدع في العبادات وفساد في الأعمال صار يخفى مثل هذه المسألة عن كثير من الناس، فالثغور هي البلاد المتاخمة للعدو من المشركين وأهل الكتاب، التي يخيف العدو أهلها، ويخيف أهلها العدو، والمرابطة بها أفضل من المجاورة بالحرمين باتفاق المسلمين، كيف والمرابطة بها - أي في ثغور المسلمين - فرض على المسلمين، إما على الأعيان، وإما على الكفاية، وأما المجاورة فليست واجبة على المسلمين.

أقول: فكيف والرباط ببيت المقدس، وأكناف بيت المقدس، وبخير الرباط عسقلان! ألا إنها المكرمة الخالصة، والفضل من الله العظيم: مجاورة ورباطا.

أمّا أرض فلسطين التاريخية المخصوصة، فهي مقدسة مباركة في ذاتها، وهي قلب بلاد الشام وعاصمتها، والبركة فيها حاصلة أنها: مهبط الرسالات، ومرفد الرسل والأنبياء، ومحشر العالمين ومنشرهم، وأما بيت المقدس فهو تقديس للأرض على تقديسها، وهبة على هبة أنّها هي بعينها وحدودها، وبركة على بركة حاصلة في أصل الأرض مؤكدة: مسرى نبينا الكريم، صلى الله عليه وسلم، وأولى القبلتين، والأرض المقدسة بصريح النص القرآني، وما قدِّس فيه إلا موضعان: هي، والبقعة المباركة من جبل الطور.

ثم ارجع البصر إلى نهر فاض، وعمّت بركته ما حوله، فأينع وأثمر، وازهو على سوقه، فتلك فلسطين: الأرض المخصوصة، والمحتلة!

وقد أفاضت على الشام بركتها: فهي الأم، وبناتها في حجرها، وهي المنعِمة، وحولها من تنعّم بوافر فضلها: أن فضّلها الله، ومن قال بالكليّة فواهم، ومن عزم على الانتقاص من الأصل؛ ينازعه، فما كان له، ولا يكون. وإن كان الناس قد نحتوا اسم الشام ضيقا على دمشق وحدها، كما نحت المصريون اسم مصر ضيقا علي القاهرة وحدها، فلا مقارنة بحال ولا تنافس، فالقدس عاصمة الخلافة القادمة ومسرى رسول الله صلي الله عليه وسلم، ودمشق مَنْزَل عيسي عليه السلام، عند المنارة البيضاء، وفسطاط المسلمين، وخيمة مهديِّهم، والبشارة للطائفة المنصورة: مرة تقاتل ببيت المقدس، وأكناف بيت المقدس، ومرة تقاتل علي أبواب الحبيبة دمشق وما حولها.

والقدس- أعود فأقول- عاصمة دولة الخلافة في معتقدنا، وعاصمة دولة فلسطين، المنتقَص من حدودها، المستلَب من أجزائها التاريخية، المعلومة المتفق على أنّها موضع القداسة والتخصيص، باتفاق العلماء. أمّا أنّها حدود استعمارية، رسّمها الاحتلال، فلا ينفي عنها خصوصية ولا قداسة، واستلاب مسمى العاصمة منها، على هذا الأساس، بدعوى مردودة، ليس مجحفا فحسب، بل طاعنًا ومشككا، بل وفيه إرجاف.. فنكران الواقع لا ينفي وقوعه، وانتزاع الصفة من حاملها لزوما، على أساس واقع طارئ، زائل وعدا، لهو الكفران المبين، الملبس والمدلّس معا، فالقدس في قلب فلسطين المحتلة، المعلومة حدودا وصفة، من بحر إلى نهر، المبارك فيها للعالمين فضلا، المقدسة تنزيلا، أرض الوقف المستباح؛ جزاء وفاقا بما يكون من كل مسلم موحّد، قد فرّط، وما فرطوا -أهلها- وسكت، وما سكتوا، وانتهش ينتقص وما كلّوا عنها يذودون بلحومهم، وما ارعوى وقد فرّ ماء وجهه بلا رجعة، فجعل يستلب منها إليه، ويساويها بما دونها لعلة نفسه، أو للالتفات عنها، ونوايا تنوء بها الصحف، ويقهقه لها غاشم غاصب.

أمّا في التاريخ، فالقدس لم تك قط عاصمة، بل قبلة دينية معتبرة، والعواصم الدينية لا تحتاج إلى السياسة، بل يتقرب منها الساسة والسياسيون، ويضعونها على الرؤوس. وإذا كانت مملكة لعباد الصليب،

فلأجلها قامت الممالك الإسلامية: الزنك، والنورية، والأيوبية، والمملوكية وكانت دعواهم، وأساس ملكهم ومبناهم، ولولاها لما قاموا، وبتحريرها لما كانوا، فبالقدس كانوا ولم يكونوا بغيرها.

أمّا عنها ضمن حدود سوريا الكبرى، التي عاصمتها حبيبتنا دمشق، فذلك مسمّى استعماري، أريد به الرجوع لمسمّيات ما قبل الإسلام. انظرها بعد الفتح العثماني: كانت كل إمارة عاصمة نفسها، والقدس الشريف متصرِّفية: تتبع الباب العالي مباشرة.

وأمّا الحديث عن عدم الاعتداد بقولنا عن بيت المقدس أنه ثالث الحرمين، فالجهة منفكة بين كلامهم هذا -عدم الاعتداد- وبين مقصود المتكلّم بعبارة « ثالث الحرمين «فالكلامان ليسا متواردين على شيء واحد؛ لأن المتكلم يعني إطلاق لقب الحرم على الأقصى من باب التغليب، كما يقال القمران: للشمس، والقمر، والعمران: لأبي بكر وعمر، والأسودان: للتمر والماء، فكذلك حين يدخل الأقصى مع الحرمين، لمزيد اختصاصه على كل مساجد الإسلام مع الحرمين الشريفين، كيف وهو أحد المساجد الثلاثة التي لا تشدُّ الرحال إلَّا اليها، ولا يعني المتكلم أن نفس الأحكام الفقهية التي تجري في الحرمين الشريفين تجري فيه.. فلا ينبغي إيراد اعتراض على استعمال الناس بشيء لم يقصدوه.

والحرم في الفقه الإسلامي حيِّز محدود بأحكامٍ لا تحلُّ فيه، مثل: اللقطة، وحمل السلاح والصيد، وغيرها. وهي لا تنطبق على القدس فقهيا، لكن القداسة ثابتة لها قرآنا «ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله» فانظر التشريف وقد أعيا كل مرجف منتقص!

وأما إثارة تلك البلبلة - كونها حرما من عدمه - كمثل من يقول للبحر: حيتانك فيك وأنت منها كلل!

فلا أراها إلا مدخلا ملتبسا، لا يفضي إلى حق، بل يفتح أبوابا، ويحطّ هِمما، وينزع يقينا، ويثير في النفوس صديدا. فاحشدوا وذكّروا يرحمكم الله...

#القدس-الشريف-عاصمة-فلسطين

#القدس-الشريف-عاصمة-الخلافة

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

نكبتنا فينا

«لعلّي أحدِّثكم عن...الجدار العازل والمستوطنات وبطاقات الهوية: الزرقاء والخضراء والإف ستة عشر والحركات والفصائل والحدود والمعابر ودعاء جدتي دبر كلِّ صلاةٍ على العربان أن يذوقوا ما ذقنا وأنّهم ذاقوا.. وأنّهم يذوقون»!

لمُا

لا أدري إن كان عليّ- حقًّا- أن أكتب عن النكبةِ وذكراها، وأنا ابنةُ الأرض، فإن كتبت:أأكتب عن نكبتنا فيهم يوم ضيَّعوها، أم نكبتهم هم بتضييعها، أم أولِّي شطر قلمي ناحية ذكرى إسراء الرسول الأعظم - صلّى الله عليه وسلم - إليها ومعراجه منها، وكيف تعاقب الحدثان هكذا، وكأنّها الإشارة، من بعد آلاف الإشارات، على الرابطة التي لا تنصرم أبدًا بين الأرض المخصوصة، والحادثة، لتقام الاحتفالات، وتعطّل الحياة بصفاقةٍ لا حدَّ لها بإحدى الذكريان- وهي الجليلة- والارتباط لا ينفكّ بين إحداهما والأخرى، في مفارقةٍ يقف عندها الحليم حيران أسفا.. فلا يعقِّب!

أم لعلّي أحدِّثكم عن النصوص، والشواهد، والدلالات، والتجلّيات، والبراهين، والمسرى، والمفتاح، وأوراق الطابو، وأنهار العسل، والجيوش الأربعة، والخيانات، والصفقات، والتقسيم، والخيمة، والأمم المتحدة، واللجوء، والشتات، والنزوح، والجدار العازل، والمستوطنات، وبطاقات الهوية: الزرقاء، والخضراء، والإف ستة عشر، والحركات، والفصائل، والحدود، والمعابر، ودعاء جدتي دبر كلِّ صلاةٍ على العربان أن يذوقوا ما ذقنا، وأنّهم ذاقوا.. وأنّهم يذوقون!

للحق:لا تحدوني الرغبة اليوم عن حديثٍ لُكناه حتى فقد مذاقه، في أفواهٍ استمرأت الواقع، فغدت تحابيه، وتُلزمنا بإحداثياته، بل والأنكى أن تسمع عمَّن فصَّل فقصَّر، وأوجز فأُعجز، وأُركس حتى غدا مبلغ أمله أن يغلّق دونه باب داره، لينظّر على من خرَّ سقفه على رأسه ورأس بنيه، ثمَّ يُعرض بركنه ويشمت أو يخوِّن!

حدَّثتني ابنةُ بلدٍ عربيٍّ شقيقٍ عمَّا يجري في بلدها فقالت: لو تعلمين عدد من قضى في سجوننا، سمعت عن أساليب التعذيب عندنا! أو قرأت الكتاب الفلاني! فيه توصيفٌ مروِّع لما يجري هناك، وماذا عن أعداد من قضوا في الميادين، وكل الانتهاكات والتعديات مما لا يخطر على بال ماردٍ عفريت!

لحظتها، لا أدري حقًّا ما انتابني، كل ما وعيت عليه هتافٌ ضجَّ في تلافيف دماغي: رويدًا رويدا، أرجوك مهلا، أهذا ما أضحت عليه غاياتنا: سباقٌ كاختراق الضاحية- على أقل تقدير- نصبح فيه محض أرقامٍ تتبارى، على قواعد البيانات، ومنحنيات الإحصاء، نتهافت فيها على حيازة قيمة قمّة المنحنى الأعلى، فإن عاندنا طاغية بلادنا فما خوَّلنا للاصطفاف في نهائيات القمم الأعلى= ذهبنا ندعو أن يمنّ عليه خالقه، بمزيد وسائل تنكيلٍ وتصفيات، تأخذ بيدنا لنعتلي قمة الهرم المدمَّى- لا نبالي- لنكون نحن، ومن عدانا محضُ زوبعةٍ في فنجان الثورات، لا يقيم أود التضحيات، ولا يعزِّز ميادين القربات..ولو على حساب شلوٍ ودم!

أمَّا أنا: فقناعتي لا تراوحني- وقد قدّمت بين يديها الأسباب- أنّ ما من قطرة دمٍ سُفكت، من مشارق ديار الإسلام إلى مغاربها، ما تحدَّرت إلا لثنينا عمَّا خُلقنا له- أمة الإسلام- خلافةً على الأرض، بدينٍ قيِّم يجمعنا فيصنعنا، وأنّ كلّ ما ذقناه، وما لم نذقه بعد من صنوف الإركاس: قتلًا، وتشريدًا، وتعذيبًا، وتضييقًا، وإقصاءً عن الالتحاق بركب المنظومة المجتمعية العالمية، لإضفاء الصبغة الإسلامية عليها = ما كان إلا لحَرْف المسار، وتشتيت القوى عن هدف التقدمات وغايته، ومصبّه من بعد تفرع ينابيعه الرافدة، فكأنّما نحن الخلية الواحدة، لا تنفكّ عنها مكوناتها ولا تشطط، إلّا بقدر ما شططنا نحن عن ذواتنا، لنجد الغربة فينا، ونحن بين أهلينا، نقيس الدين على حسب أهوائنا، ليغدو في عالمنا: لحيةً وخمارا!

ألم تر أن تاريخنا الحديث بمجمله- بدون أدنى قدرٍ من مبالغة- مجموعة من الأحداث فالصراعات، والصياغات، والتدافعات التي تقصِّينا من خلالها القوى العالمية، ما استطاعت إلى ذلك سبيلًا، عن قبلةٍ

أولى، وأحداث نهاية تدور رحاها في الشام الكبرى!

وهذا يذكّرني بهؤلاء الذين نجوا بدينهم من أرض استضعافٍ- وجوبا- إلى الأرض التي يأرز إليها الإيمان: أن غنمتم وسُدِّدتم، طوبى لمن كان منكم ممسكًا بعنان فرسه، أو في السقاية كان، أو الحراسة، قد فُقِّهتم ونُجِّيتم، يوم تشرذم من ظننّاهم أعلام الهدى، فشغلوا عنا بقضايا بلدناهم: قزّموا الهمّ، وأعيت مداركهم عن فهم.. فطوبى لكم أنتم- لا يعلمونكم، الله يعلمكم- وحسن مآل..!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فإنّك لم تذق...

«ما ضرَّكم.... فالنَّاسُ في الدُّنيا زُمَر.

لمُا

إن لم تُزف أمُّك إلى أبيك في سيارة إسعافٍ -والتي يُسمحُ لها فقط بالتحرُّك- بسبب حظر التجوال المفروض منذ أسبوعٍ مضى أو يزيد... فإنَّك لم تذق.

إن لم تفقد أمُّك الجنينَ تلوَ الجنين، لاستنشاقها الغازَ المسيّل للدموع، العادةَ اليوميةَ التي يُستفتحُ فيها كلُّ نهار.. فإنَّك لم تذق.

إن أجاءَ المخاض أمَّك فيك، واشتدَّت عليها آلامُه حتى كادت تُسلم الروح، وبعد مفاوضاتٍ واتصالاتٍ معقَّدة بين الصليب الأحمر وبينهم، وهي تنازعُ لا تطيق، حتى سمحوا لسيارة الأممِ المتحدة الرافعة علمها على ساريتها -غير مُجهَّزة بطبيعة الحال- بنقلها إلى المستشفى بعد حظر تحرك حتى سيارات الإسعاف... فإنَّك لم تذق.

إن لم تعد من بيت جدِّك يوماً، ويدُّك بيد أمِّك، لتفاجأ بباب الدار وقد خُلع من مكانه، وبيتك مقلوباً رأساً على عقب، لم تسلم فيه قشَّة، حتى ألعابك الأثيرة لم تسلم من موجةِ الحقد الممنهج، ليتدافع الجيران يخبرون أنَّهم كعادتهم جاؤوا.. فإنَّك لم تذق.

إن لم يُطرق بابُك في منتصف ليلةٍ ناعسة، حتى ليكاد يُنتزع من مفاصله، فتقوم هلِعاً مذعورا، تختبئ في حضن أمِّك، وأصواتهم تتعالى بلغتهم الممجوجة: ايفتاخ بايتا... فإنَّك لم تذق.

إن لم تغادر صباحاً لمدرستك، فتجد الطريقَ إليها مسدوداً بمتاريس الجند وعرباتهم، تبحث عن مئةِ طريقٍ بديل، ومتى استطعت غافلتهم واعتليت المتراس مخاطراً بحياتك، مُكملاً طريقك إلى مدرستك= خلاصك.. فإنَّك لم تذق.

إن لم تُشنِّف آذانك بشرح مُعلمِّك مأسوراً لُبُّك بأسلوب، خبرات، وألمعيةٍ من تغرَّب في بلدان الخليج يبنيها حتى أتاه «التفنيش«.. فإنَّك لم تذق.

إن لم يُداهمك الغاز المسيّل للدموع، وأنت في ساحة مدرستك، تلهو مع أقرانك، فيتراكض الطاقم التدريسي، وصاحب المقصف إلى المشروب الغازي؛ يُغرقون به وجوهَكم الصغيرة المُحتقنة بالهلع، ويُسارعون بصرفكم إلى بيوتكم خوفاً من تفاقم حالات، تصل إلى حصد أرواحٍ صغيرة... فإنَّك لم تذق.

إن لم يُداهم بيتك، وأنت وأسرتك على مائدةِ الغداء، واللقمةُ الأولى في فمِك لم تزل= فيتدافع الجند، ينتزعون أباك من بينكم، أمُّك تصرخ، وأخوتك الصغار يتشبثون بذيلها يتصايحون، وأبوك يوصيك: أنت رجل البيت، اثبت ولا توجل.. فإنَّك لم تذق.

إن لم تتنقل مع أمِّك وجدتك بين السجون المنتشرة في طول البلاد وعرضها، متكبداً معهما التَّعنت والعجرفة، واجراءات أمنيَّة لا تنتهي، وأنت ترى بعينيك جدَّتك تموت ألفَ مرةٍ بسني عمرها على بوابةِ سجن مَجِدُّو، والضابط يلوك ما في فمه يخبرُها: لم يعد عندنا، انتقل إلى نَفْحَة.. فإنَّك لم تذق.

إن لم يحل بينك وبين أبيك سلكٌ شائك، تطوَّر إلى لوحِ زجاج تحادثه عبر أثير، وعيناكما تتحاضنان، ليأتيَ سجّانُ البين يحول بينكما بعد دقائقٍ معدودات.. فإنَّك لَم تذق.

إن لم تطارد وصحبُك جيباً عسكريَّاً تُمطرُه بحجارتك، وكوفيتك تُخفي ملامحك، فإذا ما توقف الجيب فجأة، ونزلت القنّاصة منه تحتمي وراء الدروع، تواريت مسرعاً خلف دواليب المطاط المشتعلة، متحيِّناً الفرص لمعاودة الكرَّة مرات ومرات... فإنَّك لم تذق.

إن لم تُسحب من بين أقرانِك أنت بالذات، لتُنزلَ علمَ بلادك المرفرف عالياً على عمود الكهرباء مجبوراً، فتنزله وقلبك يبكي، هذا إن حالفك الحظ ولم تُصعق من فورك لتحترق وبيدك العلم... فإنَّك لم تذق.

إن لم تر صاحبك الأثير مُساقاً بالبنادق ومعه دلوَ الطِّلاء، مدفوعاً ليمحوَ عباراتٍ ملأت أسوارَ الحي، فإذا ما أداروا ظهورهم، وما كادوا ينطلقون بجيباتهم العسكرية، حتى أسرعَ هو ذاته، وأنت معه، لمعاودة الكتابة على ذات الأسوار: عاشت فلسطين حرَّة...فإنَّك لم تذق.

إن لم تر رجالَ الحيِّ؛ أبا علي الرائق المزاج خفيف الدم، وأبا محمد ذا الكبرياء، وأبا، وأبا، وأبا.. كلَّهم كلَّهم، مجموعين ووجوههم على الحائط أمام الجميع، وهم يفتِّشونهم بطريقة مُذلَّة مُتعمَّدة: هويَّتك.. فإنَّك لم تذق.

إن لم تُنادى باسم مسجدِ حيِّك المنتسبِ إليه شبلاً في أيِّ مكانٍ تحِلُّ فيه، فيقال يا ابن «اسم المسجد«.. فإنَّك لم تذق.

إن لم تتقافز فرحاً بنتيجتك ونسبة امتيازك المقاربة جداً للتمام، فتفاجأ بأنّك الكذا مُكرر على مدرستك، بدون احتساب المدارس الأخرى على مستوى منطقتك= ظاهرةً عامة.. فإنَّك لم تذق.

إن لم يبدأ عامك الدراسي دون أن تفتقد عدداً من أقرانك؛ استشهدوا أثناء المواجهات.. فإنَّك لم تذق.

إن لم تخض نقاشاً محتدماً مع أبي ثائرٍ البقّال عن أسباب الثورة البلشفية، تنظيرات علي شريعتي، وأسماء وزراء الحكومة الجديدة في بلدٍ شقيق... فإنَّك لم تذق.

إن لم تجلس وجدُّك على عتبةِ الدار، يُحدِّثُك عن أيام البلاد؛ عزِّها، بهائها، وخيراتها الجزال، يحيكها حلماً فردوسيا.. فإنَّك لم تذق.

إن لم تتعهدك جمعيات بعينها كلَّ صيف، فيؤتى بك تتربَّى على يدي كبار العلماء ورجالات الدعوة، حتى يصبح الواحد منهم أباً لك يُربيك على تربيةِ أبيك، وتُمارسُ فيها رياضاتٍ قتالية تبنيك.. فإنَّك لم تذق.

إن لم تتراكض أنت وصحبك في ساحات المُخَيَّم، تمارسون لعبتَكم الأثيرة والوحيدة «يهود وعرب«.. فإنَّك لم تذق.

إن لم تصنع سلاحَك الأول، من قطعةِ خشبٍ ومسامير، تُباهي بها صحبَك، تتراكض تُمارس مهارات الجندية: من كمونٍ، فقنص، يتبعه تكبير.. فإنَّك لم تذق.

إن لم يتطور السلاح الخشبي في يدك تطوراً طبيعياً مفهوما، إلى سلاح شخصي، تتبادله وصاحبك في عمليات متناوبة، تقنص فيها منهم وراء لثامك، لتسارع بعدها في الفرار فتتلقَّفك نسوة الحي اللاتي لا تعرفهنّ، يفتحنّ لك أبواب بيوتهنّ، لتقفز من دارٍ لدار، حتى مكمنك.. فإنَّك لم تذق.

إن لم تغنم سلاحك بنفسك، ليغدو رفيقك الأثير لا يفارقك، حتى لتجد ريحك فيه، وفيه ريحك.. فإنَّك لم تذق.

إن لم تر وجه أمِّك الذي عجنته سنون غربتك عنها، إلا من صورةٍ صغيرة بألوانٍ حائلة تحتفظ بها قرب قلبك.. فإنَّك لم تذق.

إن لم يكن حلمك الأوحد والمُطلق والمتفرِّد؛ صلاةً في أقصاك أنت، فتفيض عيناك ملءَ ما فيك، وزفراتك الحرّى تُلهب صدرَك.. فإنَّك لم تذق.

إن لم تر نفسك في منامِك، مليون مرة، محمولاً على أكتاف إخوانك، ودمك خضابك، لتسمعَ زغاريدَ أمِّك، وتحسَّ قبلتها على جبينك، والتكبيرات تجلجل؛ لتقوم من نومك فرحاً آلقاً كأنّها صبيحة عرسك.. فإنَّك لم تذق.

إن لم يكن ارتقابك هكذا منام، أو هكذا صلاة.. فإنَّك لم تذق.

ومن ذاق.. عرف.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بين الميج، والإف ستة عشر..

«بين آلة عسكرية متغطرسة معبَّأة بكل الحقد الديني والتاريخي كعدو محتل غاشم، وبين عدوٍّ آخر، هو ابن بلدك ويحمل بطاقة تعريف تحملها أنت.»

لمُا

أن تسمع عن الإعداد العسكري الروسي لأفراده، المبني على قياس قدرات التحمّل القصوى للجسم البشري، وإفرازه هيئات علمية متخصصة للقيام بالمهمة، بالحد الأدنى من التمويل اعتماداً على أنّ العامل البشري مكفول، وبأريحية تامة، إن كان ضمن طاقم العلماء، أو أداة القياس!

حيث أنّ كل روبيل له وزنه، مقابل الإيمان بالتفوق العرقي، بالتوازي مع الفكر الماركسي المعلوم، ليضحى العامل البشري مجرد ترس في هيكل الأمّة، له دوره المحدّد، يؤديه ثم تنتهي صلاحيته بانتهاء مهمته، وما سماعنا عن استغلال الأقليات من الأعراق المختلفة، وخاصة مسلمي القوقاز، والغجر الرحل، وسواهم، إلا تأكيدٌ على أنّ القاعدة الميكافيلية هي الأبرز في العقلية الروسية.

وكيف كانت آلة الحرب إبان الحرب العالمية الثانية، تزج بجنودها بأعداد مهولة، لمجرد سدّ ثغرات، من الممكن تلافي فقد الأرواح فيها بقليل عسر= مجرد طوفان بشري يستخدم كحوائط سدّ، أمام الآري الزاحف، لا لشيء إلا لإثبات أنّ الروسي لا يقهر، وأنّ الأعداد الهالكة في قبور الجليد، اعتبرتها قيادتها قامت بواجبها اتجاه الأمّة كأرقام، محض أرقام، وما كان ذلك إلّا تحصيل حاصل، لا يستدعي كثير انتباه!

هاته الأعداد، التي كان من بينها من القُصَّر الكثير، تُدفع إليهم أسلحتهم، ثم يُلقون في أتون معركة، كانت حتى تلك اللحظة مجرد مراوحة خاسرة، غير آبهين بمواثيق دولية، ولا حقوق عسكرية للمجند، حتى كان سكان القرى يسمعون أنات الصغار من المجندين الروس، والذين ما كانوا إلّا مجموعة من الأطفال، انتزعت من أسرَّتها، فلا يملكون أمامها إلّا أن يشفقوا عليهم، ولربّما أمدّوهم بالإسعافات والطعام، كواجب إنساني محض، أمام محتل شرس، باغت أمانهم وسلامهم الوادع النسبي، ليجرّهم إلى أوحال حربه، مع الآريّ المنتفش!

قارن الآن بين المجنّد الأمريكي الباذخ، بكل عدته وعتاده، المساوية لحجمه الفعلي، مع الكثير من العلكة، والنظارات الشمسية، والأقدام المتدلاة بكل صلف وغرور، وكل هراء الاستعراض الخاوي، لكتلة العضلات السابقة الدفع، مع كل بوليصات التأمين على الحياة، والراتب التقاعدي الذي يخطف الأنفاس، كأنّهم يقدموا الأسباب بين يدي مجنّديهم الشراذم المختلفي الأعراق، والذين لا يجمعهم سوى وهم القوة التعسفية كمرضٍ نفسيّ متضخم، بالإضافة إلى سحر الأخضر!

أنت الآن لربما كنت مستعداً لتفهّم ما يجري على الساحة الفلسطينية، مع معلومية اعتماد الجيش الإسرائيلي على التسليح الأمريكي، وبين ما يجري في سوريا الشام، بمعلومية الترسانة السوريّة المعتمدة على التسليح الروسي..

مقارنتك بين آلة عسكرية متغطرسة معبَّأة بكل الحقد الديني والتاريخي، كعدوٍّ محتلٍ غاشم، وبين عدوٍّ آخر، هو ابن بلدك ويحمل بطاقة تعريف تحملها أنت، ولكنه محمّل بالأحقاد التاريخيةً والدوافع العقدية، ما تسوّغ له حزّ رقبة طفل رضيع، ليجدها قربى للرب الذي حلّ في السيد الرئيس، أو على عتبات كربلاء!

تماماً كما تقارن بين عدوٍّ محنّك، يؤمن بالتروي والتخطيط الدقيق، مع الأخذ بالحسبان العوامل التي لا تخطر لأحدنا على بال، واصطناع المسببات، التي تؤدي لمقاربة الهدف قبل الوصول إليه بذاته، بحكمة بالغة، وعقلية فذة، ترتع من آسن الحقد الذي سطّره لنا قرآننا، في غير ما موضع شريف، كل ذلك بصبر شديد، ودقة بالغة، ومزيد صبر..قوةٌ تؤمن بأن للشدة مواضعها، وللعنف مواضعه حدّ التطهير الشامل: عصابات الشتيرن والهاجانا مثالا، وللمسايسة ودهاليزها وتطبيعاتها مواضعها كذلك، لترى وجه شارون

الهائج كأجلى ما يكون، في وجه رابين المداهن، وهي على ذلك تؤمن بأن قوة الكيان وهيبته، متصلة بهيبة جنوده، فتصارع في ميادين المفاوضات بكل طاقتها، لاستعادة رفات مجنّد، وتقدم التنازلات المدروسة في سبيل أسير.

أقول: تقارن هذا العدو بعدوٍّ آخر، كما الثور الهائج، لا تهمه قيمة العنصر البشري بأي حال من الأحوال، إن كان في صفوفه، أو الهدف الذي أمامه، لتلاحظ الأعداد تلو الأعداد، ترد الأرض التي أذاقتهم الويلات، في تتابع أبله، لتعود إلى منابت الشؤم في توابيت صفر.

لاحظ القوة التدميرية لطائرة الميج الروسية الصنع، لا تولي أي اهتمام لراحة الطيار المقاتل، ووضعيته المتحكّمة أثناء القيام بالمهمة، إذا قورنت بإحداث أكبر ضرر عشوائي ممكن، ليحصد من الأرواح ما يحصد، بلا أدنى تقييد، قسها على مبدأ البراميل:استهتار لا يقاس ورغبة كاسحة في تحصيل خسائر بالقدر الأعلى، دون أدنى رادع، تخيل الفكرة فقط وقس: مجموعة من المسامير والمعادن الصدئة، معبأة مع أنبوبة غاز مضغوطة، و«التي إن تي« شديد التفجير، لاحظ العقلية المبالغة في حقدها وجبروتها، بطريقة محاربتهم للخصم الأعزل الآمن، من النساء والأطفال والعجزة!

راقب وتأمّل مع عمليات الجيش الإسرائيلي، الأشبه بالعمليات الجراحية: تصل إلى الهدف بكامل الدقة الممكنة، وبإحداثيات يشرف عليها مهندسو الحرب، لتستأصل الهدف بشكل نظيف ومتكامل، ومن أجله تم استخدام ما يعرف بالزنانات، والتي تستخدم ضد أفراد محددين معلومين حال ثبات الهدف، أو بالقصف المباشر والمحكم، وباستخدام السلاح الأشهر -إف ستة عشر - حال مباغتة الهدف المطلوب، أو لإحداث الترويع العارم، كوسيلة ضغط محكمة.. هذا حيناً، وحيناً آخر تلعب فيه لعبة الترويع الممنهج بالإبادة المطلقة، انطلاقاً من دير ياسين إلى مجزرة الشجاعية القريبة، وكلّها لأهداف منتظمة ومعلومة ومخطط لها ببالغ مكر ودقة يهود!

ومع كل ذلك، ما فينا من أحد يسأل الميت كيف مات، كلّه موت، والمآل واحد: موتٌ مفضٍ إلى الجنّة، نرجوها ونأمل، بحول الله ومنَّته سبحانه!

لم تك صدفة...

«وصاحبُ الحقِّ ما أثبت جنانَه»

لُما

لابد أنّ الأمر لم يكن محض مصادفة عبثيّة، علا الله عن ذلك علوًّا كبيرا، لا في اختيار البقعة الجغرافية، ولا في اصطفاء أهليها، باجتلاء طبائعهم وتحفيزها على أشدّ ما يكون عليه الابتلاء. دعونا نتفق، منعاً لأي خصومات مبنية على جدال يُعتقد به أنه انتصار للدين، على الثابت الرياضي الذي أثخنونا إيّاه شرحا، لأي معادلة تحترم نفسها، الثابت الذي يُعلم مقداراً وكنها، وبمعلوميته ننطلق تمحيصاً في أصل المعادلة المسكينة، لنجلوَ ما جُهل منها، أو خُفي. ثابتنا هنا هو الدين، أنت تدري، وأنا أدري، وكلنا يدري، فلم نشبع ما عُلم بالضرورة جدلاً، وقد لا يكون خالصا لذات الثابت، وإن توهّمنا! معادلتنا هنا؛ بسينها، وصادها، على جانبي إشارة التساوي، تقابل ما بين سيكولوجية الصهيوني، ونظيرتها عند الفلسطيني، معادلة إلهية تحتّم صراعا أبديا، تجتر خصوماته إلى يوم الدين، فلا ينتهي بموت الكبار، ونسيان الصغار كما يزعمون. الشخصية السيكوباتية الصهيونية، والتي لا يلعب معها الزمن دوره وأفاعيله المعهودة في الذاكرة، فنجدها تحتفظ بالثارات التاريخية، وتتوارثها، بل وتتطالب بالانتقام من جرائم ارتكبت بحقّها، وتطالب بحقوقها المترتّبة على استحقاقها ذاك وعودا. تمتدُّ ذاكرتها لقرون وقرون، منذ حصار بابل، والماسادا، إلى تاريخها الحديث في وارسو، والهلوكوست. البارانويا - الشعب المختار- المشوبة بنكهة الاستضعاف والاستكانة الممنهجة، الممزوجة بعقدة الحصار، والخوف من الأماكن المغلقة: لاحظ الأبواب الخلفية، والممرّات السرية لكل جيتو أو حارة يهودية، بعض الصفات التي توورثت وتنوقلت جينيا، والتي حملتهم على الانتقام

من كل عراقي متمثلين نبوخذ، وكل مصري متمثلين فرعون! لاحظ كراهيتهم للطليان بالذات، لاحظ كل هذا، وقارن واقرأ معي معالم السيكولوجية الفلسطينية.

الفلسطيني بالذات يحمل همّه وقضيّته أزلا، وأينما حلّ، ولنسميها «فلسطنة» كل ما يحيطه، ومحورة كل ما يجابهه، حول القضية. هو لا يبحث عن طبق الفول المدمس في أعماق الكونغو متمثلا اعتزازه بقومية، ولا يحمل تمثال بوذا أو رام في شنطة سفره، ولا يلبس الدشداشة إذا ما حن. وهو لا يثور إذا ما حورب في ملذاته، ولايثور أيضا إذا ما حورب في أرزاقه، ولا يقضي وقته في قطع الرؤوس، وصفّ الجماجم بينما يتسلى الآخرون بقضاء وقتهم في الثورة، إذا ما حوربوا في طينيّتهم. حسناً، لن أبالغ - وصدقا- إذا ما قلت أنّه حالة فريدة، تمزج القومية بالعقيدة فتحيلها حلالا زلالا، يخرج عن دائرة كل شوفينية مقيتة منفرة. عندها لن تستغرب أبدا الدموع الهاطلات من عيون الصبايا الجميلات، والأطفال اليانعين على حواجز التعنّت الصهيونية، إذا ما منعوا من زيارة الحرم القدسي! لاحظ؛ لا كبار على حافة قبر، ولا نساء طبعهنّ التباكي، لاحظ وانتبه؛ فكما يتوارثون هم أحقاداهم وثاراتهم، يتوارث الفلسطينيون ارتباطًا روحيًّا جليّا، بالقضية والأرض، وإنّك لتراهم اليوم تحت كلّ حجر، وفي كل واد، فتعرفهم بسيماهم؛ حالة من «الفلسطنة» منظورة مشهودة، فإنّك لن تجد فلسطينيا متخليا عن لهجته، متابعته السياسية المتلهفة لكل ما يدور حوله، جداله، كبريائه الفاقع للمرارة، اعتداده الملكي وان التحف السماء. إنّك لن تجده منصهرا أبدا، وإن اصطنع ما حوله لخدمته وتحقيق مصالحه، يبادل الجميل بتفوق ملحوظ ومشهود في ميادين الاغتراب والنّزوح. الفكرة أنّك إذا ما لاحظت اندفاع رجالات ونساء بلد ما اعتداداً ببلدهم، فإنّك لن تجد مثل الطفل الفلسطيني، المفطور أصلا على «الفلسطنة« ومظاهرها، وإن ولد في الواق واق! هي الجينات مرة أخرى وأفاعيلها، ولا تستغرب، فما هو إلّا تقدير. فالفلسطيني حالة مطلقة، خلقت وتقولبت لتحفظ اتزان دفتي الصراع، لتبقى شرارته متقدة إلى اليوم الموعود.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

إنّهم يقصفون الأبراج (حرب 2014)

«العدو يدرك جيدا هذه الطبيعة، وحاول بكل طاقته العسكرية إيقاع أكبر قدر ممكن من الخسائر في الأرواح، بطريقة مكثفة ومركزة لعوائل بعينها انتمت إلى المقاومة، أو أُحتسبت عليها».

لمُا

تخيّلوا المشهد معي يا سادة: عمليات تهجير وإبادة ممنهجة، من المناطق الحدودية مع المستوطنات، والمواقع العسكرية المتاخمة للقطاع؛ شرقاً (الشجاعية)، جنوباً (رفح، خان يونس)، وشمالاً (بيت حانون، بيت لاهيا، جباليا) بقصد التفريغ الديموغرافي، باتباع سياسة الأرض المحروقة. التهجير ابتدأت سياسته مع بدايات الحرب، بالضربات الجوية المكثّفة، والتي اعتمدت إمّا: الإبادة الجماعية بقصف مباشر بطائرات الإف ستة عشر، وعلى حين غرّة، بدون صاروخ استطلاعي يسبقه- القصف غالباً ما يكون نتيجة معلومات استخباراتية بوجود مجاهدين، أو أماكن تصنيع- أو يسبق القصف المباشر صاروخ استطلاعي، يحدث أضراراً وإصابات، وشهداء، ولكن يتيح الفرصة للفرار بما تبقى من أرواح، كوسيلة ضغط على المقاومة باستهداف المدنيين، ولإحداث أكبر قدر ممكن من الخسائر. أعقبتها الحرب البريّة، والتي كان من المفترض أن تُحدث تقدماً على الأرض، بجرّافاتها وآلياتها العسكرية، فتزيح ما يعترضها من حجر وبشر، بالإصابة المباشرة المحققة. طبعا كما نعلم جميعا؛ الدبابات لم تحرز تقدما على الأرض فعليًّا بسبب أنفاق وخطوط ما خلف العدو، والمقاومة بالمواجهة.

لذا لجؤوا إلى الراجمات والدبابات المتمركزة على بعدٍ لا تراوحه، والتي كانت تسبِّب الهلع الأكبر، بسبب عشوائية الضرب في جنح الليل، بالاضافة لطبيعة المقذوف الحارق، والمحرّم دوليًّا كعادتهم. المشكلة أنّ الطبيعة الفلسطينية الواعية لخطورة البعد الديموغرافي، تتمركز عائلاتها في مساحة واحدة واسعة، تُسمّى باسم العائلة، بعمائر ممتدة طولياً للفرع الواحد من العائلة الممتدة، وعرضياً في حاراتٍ كاملة.

المجازر الحاصلة في المنطقة الواحدة كانت في الواقع تبيد ليس عائلات فقط، وإنما فروع العائلة الواحدة بأسرها. العدو يدرك جيدا هذه الطبيعة، وحاول بكل طاقته العسكرية إيقاع أكبر قدر ممكن من الخسائر في الأرواح بطريقة مكثّفة ومركّزة، لعوائل بعينها، انتمت إلى المقاومة، أو أُحتسبت عليها. الذي تبع ذلك، حالات من النزوح الإجباري لهاته العائلات إلى الوسط الغزّي، والذي ما سلم أبدا من الاستهدافات، الأمر كان أشبه بمصيدة كبيرة محكمة، تتساقط فيها البيادق على لوح مصقول. عمليات النزوح هذه تمت باستضافة الفروع البعيدة، أو الأصدقاء والمعارف، خاصة في الأبراج السكنية. عمليات التضييق استمرت على أشدّها للضغط على المقاومين السياسيين، وبالتالي على مقاومي الميدان، والذين استمر الخيار في يدهم، وفرضوه على سياسيِّهم حتى النهاية، أقول: التضييق اتخذ شكلاً يليق بالمفاوضين الأشهر عبر التاريخ، عبر استهداف الأبراج السكنية!! تخيلوا معي الآن؛ أبراج أقلّها ارتفاعاً بتعداد الثمانية طوابق، والثلاثين شقة سكنية -البرج الإيطالي وصل إلى مائة شقة- مشغولة بأكملها بساكنيها، والذين ما لهم بديل عنها باجتياح الأطراف، وبضيوفهم من النازحين. أعداد من البشر مهولة أصبحت بلا مأوى، أصبحوا فعلياً وحرفياً في الشارع، أطفال ونساء وعجزة، وذوي حالات خاصة، كلّهم وباتصال واحد من جيش الدفاع الإسرائيلي، أخلوا بيوتهم إلى الشوارع، مع الأخذ بالاعتبار أن لا ملاجئ في غزة- بتحريم دخول مواد البناء المناسبة لتصميمها- ومراكز الإيواء المؤقتة كلها أصبحت مستهدفة، والموت فيها بالجملة. إذن الضغط كان على أشدّه، مما يعني بالتأكيد أنّ النصر كان محقّقا، وأنّ مطالب المقاومة كانت مُلزمة لا فِكاك منها بعد إثباتهم صمودهم، بالإضافة لقدرتهم على الهجوم غير مكتفين بالدفاع. النصر ضريبته لم يحتملها يهود، فلجأوا إلى «حرب الأبراج« كحلٍّ أخير، يحفظ ما تبقى من ماء وجه، أمام شعبهم وناخبيهم على الأقل. النتيجة.. أنّنا بشروطنا المُحققة الأقل، انتصرنا فعليّا، خاصة أنها كانت حرب أحزابٍ بحق، بصهاينة الداخل والخارج، والأكيد.. أنّها كانت جولة، جولة من جولات، فقط لاغير، فإلى نصرٍ قادم بإذنه تعالى.. حتى الفتح.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

تداعيات من 2006 إلى 2014

«الكيان مهدد، بل محاصر بأخطار محدقة، واحتمالات لا تنتهي من النيل من هيبته، إحراجه، وفرض مطالب تمسّ بوجوده، الكارثة بالنسبة لهم، أنّهم غير قادرين على الإطلاق على تلافي إعادة الكرّة مرّات ومرّات».

لمُا

لم يكن أسلوب ما يُسمى بالاختطاف السياسي، فالتفاوض، بالغريب على فصائل المقاومة الفلسطينية، وباختلاف أيدولوجياتها ومطالبها، والتي غالباً ما تنحصر في الإفراج عن قيادات أسيرة، تابعة للفصيل الخاطف، بمعيّة عدد من الأسرى، يتم تحديده بالاتفاق. عمليات الاختطاف لم تقتصر على الأفراد التابعين للمؤسسة الصهيونية في الكيان اللامدني، بل تعدته إلى اختطاف الطائرات والحافلات، في بداية السبعينيات، وما رافقها من ثورة شعبية، ثارت من مخيمات اللجوء، خارج الوطن المحتل، والتي انطلقت منها لتنفيذ عمليات على أراضي الداخل الفلسطيني. كلّنا يذكر طبعاً عملية مطار بن غوريون و«الرفيقة« ليلى خالد كمثال. ومع إرساء دعائم فكر المقاومة الإسلامية، وتعزيز مفهوم الجهاد، انطلاقاً من الداخل الفلسطيني في الثمانينيات، وبقيادات تتمركز داخل الوطن، وأفراد وشبكات تتلقى تعليماتها من الداخل= شُذِّب فكر المقاومة المسلحة، منطلقًا من عقيدة، وتراوحت المقاومة- في بداياتها- بين الطعن للأفراد الراجلة في أزقة المخيمات، إلى تلغيم جيبات عسكرية «الشمارغفول« إلى اختطاف حافلات مجنّدين، أو حتى «لامدنيين« -حيث لا مدني في إسرائيل- فتفجيرها، مع محاولات عديدة لاختطاف جنود من مواقف حافلات، أو بعد تربّص وتخطيط وملاحقة، وكانت تنتهي بمصرع الخاطف، أو الخاطفين -نخشون فاكسمان، وخلية صلاح جاد الله كمثال- وبات الفرق ملحوظاً على الميدان، باختلاف هيئة التفاوض، وطلباته التي ما عادت تركّز على تحرير أسرى من فصيل محدّد، بقدر ما كانت معنية بالأسرى كمعنى إنساني نضالي، لا يقف عند حدود التنظيم التابع له. ولكنّني -استدراكاً- لست هنا في معرض التأريخ للعمل الجهادي في فلسطين، بقدر ما أنني أحاول أن أصل بكم إلى التالي: لاشك أنّ اختطاف المجند الصهيوني شاليط في ال2006، كان فيصلا مهماً في تاريخ الصراع، واستقراءً لما يليه من تربّص بهم بعمليات مماثلة، معروفة المطالب؛ تنازلات أكثر، الناخبين وموقف الأحزاب الضاغطة، فرص تكاد تكون معدومة في العثور على الخاطفين فالمختطف، فضلاً عن إحباط العمليات ابتداء. الكيان مهدّد، بل ومحاصر بأخطار محدقة، واحتمالات لا تنتهي من النيل من هيبته، إحراجه، وفرض مطالب تمس بوجوده. الكارثة بالنسبة لهم أنّهم غير قادرين على الإطلاق على تلافي إعادة الكرّة مرات ومرات، وإن حاولوا جهدهم. علمت مثلاً، أنّهم، ومع مطالبتهم لشريط فيديو يثبت أنّ مجندهم المختطف لم يزل حيّا- عمدوا إلى دراسته بشكل إحترافي كالتالي: تكبير المقطع وتقريبه، إلى أن وصلوا لبؤبؤ عين المختطف، فملاحقة انعكاس صورة من يقوم بتصويره= فوجدوه ملثما! ومنها كذلك، تغذية الأجهزة الراصدة بدرجة لون خلفية التصوير، والتي تستطيع تحليل كثافة اللون لدرجة معينة، فالبحث عنها بعد تغذية الأقمار الصناعية بالمعلومة = فوجدوا أن درجة اللون تندرج تحت قائمة الكثافات التي أعلى من حد الجهاز المحلّل! بل وبعد إتمام صفقة التبادل، والإفراج عن الجندي المختطف، عمدوا إلى استقراء ما طبع على شبكيته من صور مختزنة، اعتماداً على المعلومة الطبية المؤكدة لذلك، وأنّ هذه الصور فعلا تبقى مختزنة لفترة محددة= فوجدوا أنّ كل من تعامل مع الجندي المختطف، كان ملثماً، ولم يتبادلوا معه حديثاً قط! وغيره طبعا كثير من محاولات، سواء للعثور عليه، أو لإحباط محاولات مماثلة في المستقبل. هذا كلّه يضعنا في موازنة وتحليل؛ أهي أوائل سورة ياسين فقط!! أم أنّ المجاهدين على علم ودراية بكل الاحتمالات المفترضة بعصف فكري، أو بمعلومات أكاديمية دقيقة وحديثة، وممنهجة!! هما الاثنان معاً بالطبع، بمعلومية أنّ كل ما كان، وسيكون، من عمليات مستقاة من فكر عقائدي جهادي خالص، ولكن تكرار الكرّة يعني أنّ التعليل الثاني كان له حضوره القوي، فالأوطان لا تتحرر بالنوايا الحسنة، ودعاء الأمهات، ولكنّه المزيج المقدس، بين فكر ضارب في الروح، فتتحرك -تبعا له- الأركان عاملة.

معبر رفح

«غزة ليست فلسطين يا سادة، غزة مدينة ساحلية صغيرة في فلسطين القضية، لا تنسوا ذلك أبدا أرجوكم، لا تنساقوا إلى ما يقودونكم إليه من قصر فلسطين في غزة، قضيتكم ليست غزة -على أهميتها- بل فلسطين ككل، لذا.. فانا أُطالب بامتدادي»!

أنا

ربما أخذتم على كلامي هذا ألف مأخذ، ووجدتم ألف بأسٍ فيه، معلّلين مآخذكم هذه بالسياسة والاتفاقيات ربّما، وربّما كان تعليلكم وجوديّاً، أو حتى مجرد تعقيب: أن ليس لك أن تفتي بما لا تعلمين، ودعوها لأهل التخصص والرؤى، هم يفصلون.. ونحن نلبس!! ولكن، دعوني أتساءل، محض سؤالٍ فقط.. لماذا معبر رفح!!

لماذا نحصر غاياتنا، بعد كل ما واجهناه وفقدناه، في معبر بري مع دولة شقيقة، ليلقى الغزّي على أعتابه الشماتة وقهر الرجال، يدفع عن يدٍ لسيادة اللواء، يطلبها بفمه، هي عنده رزق ساقه إليه المعبر، وعند الغزي فتات جيب ربّما، وربّما الجيب كلّه. هو لا يدري- سيادة اللواء هذا- أنّ الواقف على أعتابه الصحراوية، قادم من أرض خيرٍ وبركة، ربّما كانت هذه المرأة الواقفة على أعتابك مثلا، تتلظّى بهجير صحرائك، تتلقّى على صدرها سهام عنجهيتك الزائفة، بأوداجك المنتفخة، ونياشينك الصدئة، وقطعة اللّبان تلوكها باستهتار من تحت نظارتك الشمسية، تستعرض أمامها جبروتك = ربّما كانت أُمّاً لشهيد، وتحمل آخر على كتفها، تلوذ بحمى الجار، مستدعية كل النَّخوات المحتضرة في مخازن العار، الذي سُقيتَه أنت، حتى أُترعته. أو كان طالب دكتوراة للمرة الثانية على التوالي ربّما، أو وجيه قوم، مسموع الكلمة، عاليَ المقام. المصيبة أنّهم لا يعلمون أنّ هولاء القوم أممٌ أمثالكم، فيهم الغني الفاحش الثراء، والفقير العفيف، الفقيه، والعالم والطبيب، والأمرُّ من ذلك أنّهم عزيز قوم، وأنّ الحروب والنكبات ما طالت منهم غير هبات الدم، على أعتاب الرضا الإلهي -كرامةً- وحرمان أمان، علَّمهم أن ينتزعوا الحياة -كريمةً عزيزة- من فم السبع. هم لا يعلمون أنّ من يؤخذ من دمه، ورزقه، وقوت عياله، وأمنه، وحرماته، طوال نصف قرنٍ ويزيد = هؤلاء بالذات، أشدُّ الناس أنفة وعزة، فليس بعد هذه التقدمات في الدنيا، من يجبر هذا على المقايضة بصنوف الحياة، مقابل ذرة تنازل أو هوان. فإن شئت، دعنا نفهم تكوينه النفسي معا؛ يقولون بأنّ أيَّ طاغيةٍ يحترم نفسه وطغيانه فيه، عليه أن يبقي خيطاً رفيعاً بينه وبين المطحون الواقع تحت ظلمه، بمعنى أنّه إذا انتهك كل الخطوط الحمراء من: (مقدسات، تعذيب، سفك، قتل، حرمات، رزق) - تتفاوت بين الناس في الترتيب، والدرجة، والشدة - فإنّه لا يعود لهذا المظلوم غير الثورة. ثورة غير مشروطة، ثورة حاشدة كاسحة لا تبقي ولا تذر، ولو أُريقت فيها كل الدماء، بل، ولو أعقبها الفناء. لذا تجد هؤلاء الطغاة يأتون هذه الخطوط جميعا، ولكن بدرجات متفاوتة كلاعب البيانو، ضغطاً على الأصابع بشكلٍ موسيقيٍّ متوال، بحيث لا يعطي الفرصة لأصبع عن آخر أن يرفع رأسه.. متّفقون!! طيب، هؤلاء القوم أوتوا في أقدس وأعزّ ما يملك انسان، وبشكلٍ مفرط الهمجية، وتُركوا وحدهم في ميدان، من المفترض أن يكون وقف مسلمين، فما وجدوا لا منافح ولا معاضد، ويبدو أنّ التخلي عنهم من أمتهم -التي هي أولى بهم- لم يفتت في عضدهم، بل صنع منهم رجالا ذوي بأس، معتدين بصمودهم، الذي وجدوا فيه التشريف بالتكليف، فكان لهم الدافع، وصنع فيهم هذا الشموخ، وهذه العزة، ونظرة الشبع والارتواء في العيون. هذا الغزّي هو ذاته الذي لا يجد جرعة الدواء، أو المرتبط بموعد دراسي في جامعة ما، أو الساعي للوصال مع جذوره المقطّعة في بقاع الأرض هنا وهناك، وهذا هو نفسه، الذي يمدّ يده إلى جيبه، ليلقي بفتاته في وجه ذات اللواء. معبر رفح الخانق، يحرق بلهيب عنتريات غبية ملفقة، ونياشين بلهاء، حازها طفل المخيم العاري، إلا من حفاضته، قبل سيادة اللواء. معبر رفح يخنقنا يا سادة، أفنستجدي حياة ممّن سلبوها من شعبهم!! هم لا يعرفون للكرامة معنى، غير سلاحٍ يضعونه على جنوبهم، راقداً هنيئاً في قيلولته الأبدية، أو ألفاظٍ يأنف الحر سماعها، يحسبونها دليل تسلطٍ وجبروت، هم لا يعرفون، ولن يعرفوا. لذا؛ فمعبر رفح البري لن ولم يكن أبداً مطلباً يلائم تقدمة الدماء والخسائر الضاربة في عمق الكيان الغزّي، أبدا. خسائرنا

هنا تعدّت السقف المتوقع لكلّ نذور الانفجار: بنية تحتية، قطاعات سكنية، أبراج، بطالة، نزوح، الحركة التعليمية، القطاع الصحي، ضغوطات نفسية قاتلة.. إنّه الانفجار على الأبواب، ولن يكون حلّه بمكان، نافذة معبر رفح البري، والذي لا يعدو إلّا أن يكون عقابًا جماعيًّا لأبطال الصمود، على أرض الوقف، الحاملين الراية، المفادينها بدمائهم، إلى أن تتفضَّل الأمّة وتتكرّم باستلامها، يوم يأذن الله بالفتح. فكّروا معي بامتدادنا الجغرافيّ الأصيل في الداخل الفلسطيني، هي ليست قضية غزة وحدها، هذي فلسطين، وليست غزة، امتدادي أنا كفلسطينية- يسعى الصهاينة جهدهم لاجتثاثي من فلسطينيتي- هو الداخل الفلسطيني، غزة ليست فلسطين يا سادة، غزة مدينة ساحلية صغيرة في فلسطين القضية، لا تنسوا ذلك أبدا أرجوكم، لا تنساقوا إلى ما يقودونكم إليه من قصر فلسطين في غزة، قضيتكم ليست غزة -على أهميتها- بل فلسطين ككل، لذا.. فانا أُطالب بامتدادي، بعيداً عن الصحراء التي تحول بيننا وبين العالم الخارجي، امتدادي في فلسطين الشام، هناك عند جسر الملك حسين، يصلنا ولو بلجان أمن أو تنسيق من الحكومتين -اللتين أصبحتا حكومة وفاق- ليتصل الغزي بفلسطينه، كلّ فلسطين.

24 أيلول 2014

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

اصطفاء

«راقب نفسَك وأنت تتَّجهُ بكُلِّيَّتِك إلى قبلةٍ تلقاها خمسَ مراتٍ في يومك وليلتك، راقب ولاحظ صفاءك وتوحُّدَك معها.. أنت مُستقطَب»

لمُا

ولمّا كنتُ مولعةً- وهذا من قديمي- بكتب د. مصطفى محمود وطابعه المعلوم في الرَّد على الشبهات؛ أذكر منها على وجه الخصوص ردَّه على مُسفِّه شعيرة الحج: ومن يومها وردُّه ذاك لا تُغادرني ركيزتُه: أنّنا كبشر كما بُرادةِ الحديد؛ تُجمِّعنا قطبيَّتنا فنتَّجه بكلِّيتنا لمركز الاستقطاب ذاك، بشكلٍ منتظم متراص يستدِرُّ الفِكَر..!

الجميلُ أنّ طابعنا المستَقطَب في أُمَّتنا تلك؛ ليس حكراً- بالمطلق- على الملتزمين، فإنّك لتلمحُ عبراتِ الشوق إلى مركز الاستقطاب ذاك، في أعينِ العاصي واللّاهي، فترقُّ لها أكثر مما تفعل مع نظيرتها في أعين المحسوبين على القطب..!

ولمّا كنّا طيناً نُفخت فيه روح، ولمّا كان ربُّنا الأعلم بمن خلق، فقد بات من المعلوم أن يُغذِّي ويُعزِّز في بشريَّتنا المركَّبة استقطاباً يميزُنا، جامعاً كأجلى ما يكون الاستقطاب، لا يُنكرُه منكر، ولا يجادلُ فيه مجادل..!

راقب نفسَك وأنت تتَّجهُ بكُلِّيَّتِك إلى قبلةٍ تلقاها خمسَ مراتٍ في يومك وليلتك، راقب ولاحظ صفاءك وتوحُّدَك معها= أنت مُستقطَب..!

راقب نفسَك معلّقاً صورةً للكعبة في بهو دارك، تمرُّ عنها فتلمعُ عيناك دمعاً، وترفعُ كفيَّك ابتهالاً، والشَّوق منك وفيك = صدِّقني: أنت مستقطب...!

راقب نفسَك عندما تقرأ هذه الحروف؛ فلسطين. فعلت!! طيِّب يا سيدي المُبجَّل، مادمت فعلت وراقبت، فقد أدركت: أنك لابد استُقطبت؛ لئن كنت فعلت مسلّماً، تحدوك فطرتُك وإرادةُ الله فيك. هو جلاءُ عقيدتِك، فبُشراك..!

ربُّك جعلها فيك قُطباً جاذباً تتنادى له أركانُك وتتداعى عبراتُك، هي حرمُك وقِبلةُ منتهاك، هي بوصلةُ أمّتنا، وبوصلتُك أنت أنت، راقب أثرها فيك؛ وعليه فاعلم مكانك من ربِّك..!

واعلم أيّها الحرُّ الكريم أنّ الإشارات أتتك تتبارى من أرضِ المنارة البيضاء، إشاراتٌ تتوالى، فاعلم وافهم، وتأمَّل..!

واعلم أنّ ما من دمٍ نزف على كلِّ أرضٍ لله، ما كان نزيفه إلا فداءً لقطبه؛ الحرُّ يعلم ويوقن..!

ربّك لا يرتضي لك أن تكون هملاً يا مسلم، فجعل من قرآنك: شرعتك ومنهاجك، وجعل من رسولك: قدوتك ومعلمك، وجعل لك قبلة واحدة، وطالب جماعتك باتخاذ أمير السمع والطاعة، وجعل لك مآلا أرضيّا هو محشرك، حتى تلقى جنَّتك...! والمسلمُ الحقُّ الوفي يؤزُّه منتهاه ويعلم علمَ اليقين أنّ البقعة الجغرافية الصغيرة تلك، المُحددة بحدودٍ الله رسمَها= هي امتحانُه في أرضه، امتحانٌ عام يشتركُ معه فيه كل من قال لا إله إلا الله، واستوى..!

كلُّنا خلقُ الله، ومنّا اصطفى الأنبياء والرُّسل. والأيام كلُّها أيام الله، اصطفى منها الجمعة. والشهور كلُّها شهور الله، واصطفى منها رمضان. والأرض كلها أرض الله، اصطفى منها حرما آمنا، ومحشرا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

خدعوك فقالوا

«خدعوك فقالوا أنّنا بحاجتك، بل أنت في مسيس حاجةٍ إلينا، علَّنا نقبلك».

لمُا

خدعوك فقالوا أنّك إذا ما حان اللقاء، ستجدُ فيك قوة ما عهدتها، وستثخُن فيهم وتزلزل الأرض عليهم، ووالله إنّك إذا ما لقيتهم فلن تخرج من إحدى هذه الحالات: لتولُّن الأدبار من هلع، أو لتموتنّ وأنت مسمّرٌ في أرضك من هلع، أو لتُقبلنّ بحميتك عليهم، فتموت بدم بارد دونما فائدة. الإعداد الإعداد؛ لله أنت يا عمر.

خدعوك فقالوا أنّ حدودا حالت بينك وبينهم، وأنّك محاصرٌ لا حول لك. ووالله لتُسألنّ عن كلِّ ثغرةٍ لم تنفذ منها إلينا، وعن كلِّ فرصةٍ سنحت للنفير ولم تفعل، وقد أُقيمت عليك الحجَّة في من فعل. - خللٌ في عقيدتك أقعدك - راكناً إلى أرض تسوقُ المُعطِّلات والحُجج- ساهياً لاهياٍ خانعاً- معتقداً بسقوط فريضةٍ، بكفاية من نفر- مكمِّماً، أو مكمَّما- مُسوِّفا.

خدعوك فقالوا أنّ دعاءك لنا مجزٍ، يحلُّك من ربقة دمائنا، بل بحُّ حنجرتك في مظاهراتٍ تلفُّ مدينتك، لن تسقط عنك جريرةَ الدم. فلتدع إذن، لكنّ الدعاءَ سهام الليل لأمِّك والمستضعفين في الأرض، بل ادعُ أنت، ولكن في ساح اللقاء، إنَّه النفير يا مُخَلَّف.

خدعوك فقالوا أنّ قرشا لك هناك يقيك مؤونة، ويفضلك علينا، بل نحن نمنُّ عليكم أنّ قبلنا قرشك؛ يصاولُ عنك في أرضنا، لعطبٍ في جسدك أقعدك، فضِّرت مُخَلفا.

خدعوك فقالوا أنّنا بحاجتك، بل أنت في مسيس حاجةٍ إلينا، علَّنا نقبلك.

وبالأثمان خبيراً

«بائع الجرائد كان نبيا».

محمد الماغوط

وإنّه لمن المثير حقّا، معرفة طبائع بعض هؤلاء= شعب الشاعر الأمير، الذي عقله في أذنيه! أن تنتخبَ من قتل فأثخن، وعاهد فخان، واجترأ على حدود شعب متدين بطبعه، هو ومن التفّ حوله؛ فأوغل في جرأته حتى تطاول على ذاتٍ ونصوص= لهو عجب العجاب! والأعجب أن تُبرر، وتُدلل، وتتصدّى لصوت عقلٍ، ومنطقٍ، وضمير، فتنتخبه! دعونا نتفق أولاً على جدوى وموضوعية الانتخابات هذه في بلدٍ كسوريا مثلاً. أستطيع أن أتفهّم جيداً موقف من التفّ حول طاغية الشام من أبناء طائفته- بطبيعة الحال- ومن اتفقت مصالحه مع بقائه على سدّة الحكم من الطوائف الأخرى- المصنفة ضمن الأقليات- وبعض السنّة ولأسباب منها:

-المصالح الدنيوية المضمونة، لما اعتادوه من دعم وحماية السيد الرئيس، على حساب الغالبية السنيّة، ضمن برنامج ممنهج، لتهميش واقصاء هذي الغالبية.

-التخوّف من مستقبل مبهم تحت سيطرة من أُقصوا تخطيطاً، منذ الاحتلال الفرنسي، وحتى اللحظة

-العمل على الانفصال الإقليمي، واجتزاء أطراف بعينها من سوريا الأم، تحت مسمى العرقية. (سوريا ثاني أكثر دولة تعددا في الأعراق والطوائف بعد الهند).

-التهديد بالقتل والتنكيل؛ وهذا ما حدث فعلا لدرجة إبادة عوائل كعبرة.

-السباحة مع التيار، وموازنة المصالح مع الأقوى منطقيا، مخافة الوثوب من السفينة التي أوسعت ندوبا وثقوبا ولكنّها خير من مجهول (فئة التجار كمثال خاصة في مدن بعينها تأخر انضمامها لركب الثورة).

-تنفيذا لمخططات دولية موسعة في المنطقة، ولحساب دول بعينها ذات مصالح استراتيجية ورهانات سيادية؛ سعيّا وراء أرض جديدة لاثبات توازن القوى ومعارك حفظ ماء الوجه الباردة.

-الانضواء تحت لواءي اللاعبين الأبرزين، الذي ووري وجه أحدهما القبيح حتى مرحلة اقتناص الغنائم، بعد بعد إنهاك أطراف الصراع -كديدنهم- واللواء الذي تصدّى جهاراً، سعيا لثارات دينية، وامتداد مذهبي.

هذي بعض أسباب من التفوا حول الطاغية، ممّن ليسوا من طائفته. أمّا الطاغية نفسه؛ فأنا أجده رجلاً يكمل رحلة جده الأول، القادم من أعالي كهوف الجبال، والمستقدَم لخدمة أهل البلاد؛ جده الضعيف، المهين، والذي وصل به إلى جده سليمان الذي باع الأرض للفرنسي مقابل دولة موعودة في الساحل السوري، وسلسلة الخيانات الممهورة بتوقيع القومية- بين جمال، وأبيه حافظ- والمختبأة خلف البعث وحزبه، وما هي إلا تقيّة أُريد بها ثارات دينية معروفة، لاستئصال شأفة السنة من البلاد، وإرساء دعائم الدولة العلوية الخالصة، انطلاقا من الساحل، الأقرب جغرافيا لمركز نفوذ الدولة المحكومة بالباطن من حزب الشيطان، والولاء المعروف للشيطان ذاته، وآياته في قم!!! إذن؛ الرجل ينفّذ- وبكلّ أمانة واحترافية- مقاصد جده الأكبر، ولاءً لأصل عقيدته الباطلة، ومذهبه العفن. الأمر إذاً يخرجُه من عبثية طاغية، يسعى لتوطيد أركان حكمه الأرضي- ولو على أنقاض أعرق الحضارات الإنسانية، وعلى أشلاء شعب جد جميل- وتحقيق مآرب ومصالح دنيوية، وبارانويا الحكّام وسيكوباتيتهم = يحوّله إلى فدائي مخلّص، ورسول ملهم، في سلسلة أُمناء الثارات المزعومة. هذا يجعلني أتفهّم حقا سيكولوجية الجندي القادم من مجاهل الغث، في الدولة الراعية الشيطانية، وأتباعها في الدولة الصغيرة الشقيقة، ليحقق ثاراته وانتصاراته، بسكين مثلومة، يحزُّ به عنق طفل حديث الولادة، تسبب جده السني في مقتل الحسين! ممّا يبرّرُ لهذا الشيء: «بشار« جديّته وسعيه الحثيث، وصفاقته في حملته الانتخابية الجديدة، فهو حاملٌ لأمانة عقائدية، يتقرّب ببقائه على كرسيّه لإلهه، معتبراً نفسه مؤديا لأمانة. أمّا أن تنزل فتنتخب- أيّها المصريّ- أنت! بوسط امرأتك تنتخب، ودماء أخيك لم ولن تجف، لا تحسب أبعادا، ولا رؤى، فما أنت إلا دمية ماريونت، عقله في أُذنيه، سلّم قياده لكهنة وسحرة فرعون: متوارٍ خلف جهلك ودُفّك وعصاك، لتعود مصر قبطية كما كانت، أو ليبلغ شأوهم إلى نيل، بعدَ فرات!

26 أيار 2014

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كذّابُ اليمامة أحبُّ إليَّ من صادق مُضر!!!

إنّ الأمر كلّه بيد ربّك سبحانه، إن شاء صلّينا في الأقصى فجر الغد، وإن شاء سلّط اليهود على رقابكم، إلى أن تعلموا أنّه الحقّ سبحانه، وقوله الحقّ، وأنّ سلاح فارس، إن كان الطريق للتحرير في سبع سنين -تعدُّونها- جعلها الله سبعينا».

لمُا

كنت قد وقعت على منشورٍ لصديق، تعقيبًا على مجزرة من المجازر المتتالية، التي ما انفكت تعقد رحاها في سوريّة، يخلص فيه إلى أنّ «طز بفلسطين»، وكنت قد استقرأت انفضاضًا جامعًا من حولها، ونهمةً في التبرُّء منها، فوجدت لذلك وجعًا في القلب، ولجلجةً في اللسان، ما استطعت معهما، ردًّا ولا صدًّا، وما ذلك إلا لأنّ حرمة الدّم تعلو، ولا يُعلا عليها، وأنّ من الدّناءة، بل الضِّعة، التي تضرب في أصل المرء وشرفه، ثمّ لا تلبث أن توغر إيمانه، ولعلّها لا تتركه إلّا وقد خُلِّيَ بينه وبين رحمة ربِّه فيُمسخ، أو يُنزع، أقول: من الضّعةِ القادحة، المفضية إلى عظيم، أن يُلتفت إليها -فلسطين عنيت، وهي العائدة وعدا- في حضرة الدّم المسلم، فما بالكم أنّه دم الشقيق القريب، وكلّ المسلمين في حمى الرّحم الجامع ذاكم الأقرباء.. والأوثق أن تعقيبه -غفر الله له- ما كان إلّا لأن ترافقت تلك الشناعة -التي استمرأنا غضّ البصر عنها، أو بذل أضعف الإيمان ناحيتها كما يليق بالقُصَّر- ترافقت مع شناعة تصريح سياسيّ، أدلى به محنّك فهلويّ، ارتأت حكمته -بعد أن عبس وبسر- أنّ الأمر منفكٌّ بالكليّة، بين محاباة إيران الرافضية، العاملة أنيابها في لحوم السوريين، الناهشة أعراضهم، وبين مضاضة القربى العقدية، بيننا وبينهم، وأنّ التعاطف المهترئ مبذولٌ، ترفأه الكلمات، وأنّ التغاضي عن تاريخٍ قريب سُحل فيه الفلسطيني في شوارع بغداد، وهدر دمه، واستحل عرضه وماله، بل وسُلِّع فصارت حياته رهن الدرهم والدينار، هذا كلّه تغفره الأيام، والكاتيوشا، والتومان! لكنّ واقع الأمر، وتحديات العصر، تستوجب مقايسة لازمة، يقتضيها العقل المفلّخ التنويريّ، للمتترّس الألمعي، بصكّ الغفران «فلسطين«، فعرض لذلك مسألته على عقله، ونخبة شوراه، المنتقين الأخيار، الأحياء الذين قالت بهم الفتنة الظاهرة الواضحة المفلّجة، هكذا وهكذا، فجازوها، وحُقَّ لهم، وهي في سلم الفتن أدناها، ثمّ إنّهم لفي حياتهم جاءتهم فتنٌ منكفئة على نفسها، لا تكاد ترى، فلعلّهم ولعلّهم، والخلاصة أنّهم أبناء اليوم، الواقعة على رؤوسهم ضربات زمانهم، فلا نحن عرفنا لهم ختامًا نشهد به، ولا حياةً ثابتة مخلّاةً فيحلون ونشهد... الشاهد أنّ هذا استشار أولئكم، فخرج لنا بالانفكاك، وخلص إلى أنّ الملاعين منتهكي عرض الرسول!! الشاتمين اللاعنين صحابته الأُول، الموغلين بحقدهم على عقيدتنا ومتّبعيها من إنس وجان، ذبّاحي الأطفال، مغتصبي الحرمات في ديار الإسلام اللصيقة اللصيقة، هؤلاء الأنجاس، غضبة الرّب على الأرض، خلص إلى موالاتهم -يقول قهرا - مادام مستعينا بسلاحهم، وتدريباتهم -يقول- على تحرير الأرض.. اللهم لا حُرّرت. فيا دعيّ -ومن والى وصادق- إنّ الأمر كلّه بيد ربّك سبحانه، إن شاء صلّينا في الأقصى فجر الغد، وإن شاء سلّط اليهود على رقابكم، إلى أن تعلموا أنّه الحقّ سبحانه، وقوله الحقّ، وأنّ سلاح فارس، إن كان الطريق للتحرير في سبع سنين -تعدُّونها- جعلها الله سبعينا، وزاد بمشيئته، ثمّ نزعكم من دينكم، بعد أن خلعتم ربقته، ثوبًا يعقب آخر: تنازلات وتقدمات بين يدي الملالي ونخّاسيهم، فامتطوكم، وجزرتكم فلسطينكم التي في قلوبكم، لا نعلمُها، ثم قعدتم هملًا لمما، لا دين حفظتم، ولا فلسطين أعدتم!

#وإلى فلسطين خذوني معكم

#أي نعم

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

شعوبا وقبائل

«..السيمفونية الراقية؛ التي تجمع مشرقنا ومغربنا تحت سقف بناء واحد يُذكر فيه الإله ويُتعبّد له، في قلب عاصمةٍ أخذت على عاتقها أزلا، مناوءة كلّ داع او منضوٍ تحت لواء الإسلام».

لمُا

صغيرةً زرتُها؛ البلد المستقطِبة للعرب، المكتظة بهم، والتي بدأت- بعد أحداث سبتمبر- تنحو منحى الدولة المستولَدة منها، في محاربة وجودهم، متخفيةً وراء تعصب شعبها لعرقه، ليكون المظهر العام= لا توجه سياسي لاضطهادهم، نحاسب المتجاوز، نحن نفقد السيطرة، أغيثينا جلالتك!! المهم، أنّنا- وفي أوان مجد العرب فيها- عندما كنت تجد الكتب التي لو حيزت، لأوردت صاحبها -في بلده الأم -المهالك، كنت تجدها مرصوصة، مشاعة، متاحة، أقول: كنّا نسكن حيّا في العاصمة، يكاد يكون خلوا من عرب أو مسلمين، لذا كان الوالد يضطر السفر إلى حيث مسجد لصلاة الجمعة، وبالطبع، كنت انا رديفته؛ بكره العفريتة الصغيرة اللّعوب، والتي لا تفارق يدها يده، أينما حلّ وارتحل. ولمّا كنت حادّة الملاحظة، شديدتها، تلفتني الاحداث وصانعيها، فقد كانت تشغلني حقا التوليفة الحلوة العجائبية، والسيمفونية الراقية، التي تجمع مشرقنا ومغربنا، تحت سقف بناء واحد، يُذكر فيه الإله ويُتعبد له، في قلب عاصمةٍ أخذت على عاتقها أزلا مناوءة كلّ داع او منضوٍ تحت لواء الإسلام. تخيّل معي خليةَ النّحل المعجزَة هذه، والتي يرطن كل فرد فيها بلهجته الخاصة، وبكلّ أريحية وانطلاق، وكأنّه وصل بيته بعد عناء يوم مرهق طويل، ليلبس رداءه المريح، ويتمطّى، نافضاً عن كاهليه كلَّ تكلف. كنت أسمع اللهجة المصرية المتواثبة نطقا، كأنّها تسابق صاحبها، اللدنة هيّنة المخارج، السهلة تخفيفا لحروف المخارج الحلقية، تماما كما شخصية المصري الجميل؛ سهل المعشر، لين الصفات، هين طيّع. وأسمع لهجات أهل الخليج المتقاربة نوعا، والتي استطعت- بعد انتباه وتدقيق- التفريق بين لهجات كل بلد منها تقريبا، بل، والتفريق بين لهجات مدنها الشهيرة المعروفة باسمها، كلهجات: الطائف، نجد، الشرقية، والحجاز. ولهجة العراق العريق، لهجة صيغت وقولبت صفات أهليها وخواصهم المخصوصة فيها. لهجة فخيمة فخيمة، مخارج حلقية مبالغ فيها، بل وسوق بعض المخارج الى غير محلّها تفخيما، وسحر مدرستي البصرة والكوفة لا يغفل، في فصاحة لا تضاهى. المغاربة وإمالتهم، ومحاولتهم الجادة في تعويض قرون الانفصال عن اللغة الأم، فتجدهم يضغطون ضغطا ليس بالهين على المخارج، ويتعمّدون الحديث بالفصحى، لمعرفتهم مدى مشقتنا، نحن المشارقة، على فهمهم. الشوام تشتمّ لهجتهم عن بعد أميال، ويستطيع المدقق التفرقة بين أهل أقطارها الأربع، مضيفا إليها بعض تفرد أهليها في الشكل والسلوك ربّما، وبعد مجاهدة وتدقيق. المهم أنّنا نفذلك اللغة، ونصفُّ الحروف بغير تشويه، لا تخفيفا ولا تفخيما، ونتعمّد استعراض تراكيبنا ومفرداتنا، الحديث طبعا عن عينة عشوائية، لا تشترط علما أو توجّها أو بيئة بعينها، هم مجموعة من طلبة العلم، أو الرزق، أو غير ذلك من شؤون الحياة. الرائع في الأمر حقا، أن هذه اللوحة المتمازجة، والسيمفونية المتناغمة = تصنع تفرّدها وتميّزها، بل وثراءها، باختلافاتها هذه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الماسادا.. وما إلى ذلك

«اعتبروا أنفسهم أقلية تحفظ معالمها من الذوبان في محيط الدولة المُضيفة، فما انتموا لها حق الانتماء، تماماً كما الطفيلي المتغذي على جسم العائل».

لمُا

كنت قد شاهدت فيلم قائمة تشندلر(Schindler's list) قبل ما يزيد عن العشر سنوات من الآن، وهو - كما قُيِّم - من أحد أفضل مئة فيلم في السينما العالمية.

يَعرِض الفيلم لمعاناة اليهود في معتقلات النازية، ويركِّز على مأساتهم بشكلٍ ودُّوا أن يكون مؤثراً بما فيه الكفاية، لاستدرار العطف العالمي على اليهود؛ كجنس، وكأقلية مستضعفة.

لسببٍ ما، أعدت مشاهدته للمرة الثانية، ركَّزت في المشاهد التي أُعدّت باتقان وحرفية، في الإخراج وأدواته، الموسيقى التصويرية، انتقاء الممثلين، التركيز على الأطفال والنساء، ركّزت على كلِّ شيء، لأخرج بانطباعٍ واحدٍ فقط: bullshit، مصحوب بضحكة ساخرة لم تتجاوز أعماقي..!

أستطيع الآن -بعد أن خرجت من أجواء الفيلم، التي أُريد لها أن تكون كئيبة، مبالغة في تراجيديتها- أستطيع أن أقول: أنّ الفيلم كلّه كان يعرض محاولات مجموعة من الجرذان، التكيُّف مع حياة الجرذان -كيف تتكيّف مع ما هو من المفترض أن يكون طبع حياتها! - في ظل حكم القطط المدللة..!

لن أحدثكم عن الفيلم وأحداثه بالطبع، فلن أفوِّت عليكم وصولكم لذروة الاحساس بما شعرت به أنا، ساديةً مني ربّما..!

ولكن، ماذا لو تفكّرنا في دوافع النازي لهكذا سادية مفرطة مع هؤلاء، ولم هؤلاء بالذات!

يهود أوروبا: والذين كانوا يتواجدون فيها بشكلٍ تجمعي، في حارات وأزقة تُسمى باسمهم، يتحركون ككتلة واحدة، ذات مرجعية واحدة، وعقل جمعي واحد، ككتلة سرطانية طارئة على الجسم، بشكل منفِّر، مُغيظ، ومستهجن.

لا يتقيّدون بسلطة الدولة الموبوءة بهم؛ اعتبروا أنفسهم أقلية، تحفظ معالمها من الذوبان في محيط الدولة المُضيفة، فما انتموا لها حق الانتماء، تماماً كما الطفيلي المتغذي على جسم العائل.

العقلية اليهودية- ومنذ الأزل- هي هي، لم تتغير، حالة مستديمة من المسكنة، مع مظاهر البارانويا المتقدمة، وما يصاحبها من إحساس دائم بالتهديد، والاستهداف، شعور جيني وراثي بالحصار، لذا تجد- بالضرورة- حاراتهم ذات مخرج خلفي، يكفل لهم الهرب، عند أدنى شعور بالخطر، عقدة الماسادا الشهيرة، والتي تُحرِّك فيهم شعور المُحاصَر المستهدف كعقلٍ جمعي، يجمعهم جميعاً، ليحملوا ذات الصفات، بل.. ويتوارثونها.

تعلم أنت تصرف الجرذ المحاصر! الجرذ الماكر القميء، يتصرف بخسّة، ويلجأ لأقذر الطرق، وأنتنها، بإمكانه- وعن طيب خاطر- أن يلعق حذاءك بلسانه، ويشكرك أن مننت عليه بهذه الفرصة الجليلة ليفعل ذلك..! لذا، لا تستغرب أن تكون الجرذان، هي الناجية الوحيدة بعد كل كارثة، أيَّاً كانت..! تجدهم في مجتمعاتهم، متباعدين عن من ليس منهم، لا يتخالطون إلّا ضمن حدود مرسومة، غالباً ما يكون دافعها النفعية، بل هي النفعية، والنفعية فقط. فكان من الطبيعي أن يحمل لهم الآخر، مشاعر الاشمئزاز والكره المفسّرين..!

يهود أوروبا هؤلاء- وكل اليهود، باتفاقنا على وحدة عقلهم الجمعي- جعلوا يستنزفون موارد البلاد المضيفة، والتي اعتبروها هم بأنفسهم مضيفة، بالاحتكار على أصعدة عدة: منها التخصص العلمي، صناعة المال، والصناعات الحرفية، والدقيقة بشكل عام.

لذا كنت تجد منهم هناك: العمال المهرة، الموسيقيين والكتاب (تأثير عظيم لا يخفى)، أرباب المصانع، وبطبيعة الحال: الصاغة وتجار البنكنوت، والتجارة التي برعوا فيها منذ العبور الأول إلى الآن، والتي حضّهم عليها تلمودهم، بآيات واضحة، منذ إستير الأولى حتى آخر يهودية..!

ومن الناحية الأخرى: الجنس الآري المتفرد، ومن منطلق تغذية ممنهجة ومركّزة لهذا التفرّد، وجدوا أنفسهم مهددين بهؤلاء، الذين لا وطن لهم إلّا ما يجمعهم من دين، احتكار علني جلي كامل الأركان، في بلد الفوهرر!!

ليس تبريراً، ولكن إذا غاب الدافع الديني في توزيع الأرزاق والتكافل (الأنصار والمهاجرون)، باتت كل تصرّفاتنا، وردود أفعالنا، تُستمد من حيوانية الإنسان فينا، خاصة لو تيقَّنَّا أنّ ما كان من النازي ضد اليهود، لا يأتي معشار ما اقترفوه في حق الغجر الرُّحل مثلا، الذين لا نفع من ورائهم، وملايين الروس، أقسى وألد عدو لألمانيا النازية..!

هي هي ذات الفكرة، كلّ من اليهود اعتقدوا بتفرّدهم، وأنّ من سواهم هم الأغيار، الذين خلقوا لخدمة يهود، وتسهيل حياتهم، كذلك كان النازي، بفكر سمو الجنس الواحد، في فترة عصفت بأوروبا كلها الفكر الشوفيني (فاشستية إيطاليا كمثال).

هناك من قال: بأنّ هتلر لو استمر على ما كان ينتوي، لربما طالت سهامه العرب، تماما كما اليهود، وهذا يدحضه اعتقاد هتلر بسمو الجنس العربي، في تصريحٍ له مشهور، برقيّ ثلاث أمم: الروم، الفرس، والعرب..!

بل إنّ الرجل،نزاهةً وعقلانيةً منه، كان معجباً أيَّما إعجاب بالدين الإسلامي، فكما عرف عنه، ونعلمه نحن في تاريخنا، لقاءه المعروف مع الحاج أمين الحسيني، موقراً له، وسماحه بأداء الصلوات، بل وانتظاره جنوده من المسلمين حتى يكملوا صلاتهم، ومن ثمّ، يُلقي خطابه..!

إذن، النازيّ كان يتحرك بمفهوم تخليص الأمة الآرية، من جماعة مستقذرة، مكروهة في جميع أنحاء أوروبا..!

الآن، حاول أن تنظر بشكل حيادي للمسألة، كلّنا سمعنا عن أمجاد إمبراطوريَّتي اليابان والصين، وسمعنا عن إباداتهما الممنهجة لأجناس كاملة، وبشكل متطرف في قسوته، لا يكاد يصدقه عقل- من منا لا يعرف أساليب التعذيب الصينية!! - بل، ووصل في اليابانيين الحال، من شدة اعتدادهم بجنسهم، ووجودهم، ظهور ظاهرة الكاميكاز: نفنى لقاء ظل الإمبراطور..!

لن أحدّثك بالطبع عن محاكم التفتيش في قشتالة، ليس من المنطق أن أحدِّثك عنها بالطبع، فلا مكان لها، أمام استهداف متعمد، مقصود، مركّز، وممنهج، لإبادة عرق بعينه، خاصة ونحن نعلم عن أي عرقٍ أتحدَّث..!

إنّها لعبة الإعلام أصدقائي، موازين القوى، الوجود، العدمية، الأمم الظاهرة؛ هذي هي مهمة الإعلام منذ الأزل، إظهار ما يُفيد اظهاره، وتهويله، وحجب ما يضرّ إظهاره، وإن شئت، تقزيمه..!

قارن الآن بين ما لاقاه يهود أوروبا على أيدي النازي، وأفاعيل أباطرة روما مثلا، في حق كلّ من هو ليس بروماني، الفايكينج وأهوالهم، قبائل السلت، بل - ومعذرة - السلطنة العثمانية المجيدة، والمجازر «المزعومة« في حق الأرمن، والتي ظهرت في المرتبة الثانية، في سجلات ملاحقات الجرائم الإنسانية، والذي يجمعهما معروف..!

إذن؛ التهويل الإعلامي الممنهج، والتجييش العالمي لهولوكست مزعوم، كلّه يصب في الداون ستريت، واللوبيات، وكل جلسات الكنيست المغلقة، مع راعية السلام العالمي..!

هذا يجعلني أتساءل: إذا حظي اليهودي الأول برصاصة، لازلنا ندفع كلّنا في الكوكب الأزرق ثمنها، فمن يا ترى سيدفع ثمن السونكي، الساطور، الإف 16، وقريباً الإف 35، وكلّ مقابر الأرقام التي تملأ بلادي!!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تُحبُّ الأقصى!

«.. فلك أن تتيه، بأشلاء بنيك تلملمها من على ما بقي من حجارة بيتك؛ لك أن تتيه، وتوقن أنّ ربَّك أنعم عليك، وفضَّلك على العالمين، هذا الجهاد.. ولك الأجر، فلا تمنَّنَّ على العالمين، وأنت الأعلى..»

لمُا

حقَّاً!! طيب، لن أطلبَ منك أن تسرجه دماً، فقط.. اقرأ هذا المقال، لو تكرَّمت.

مغرضٌ من قال: يالتقدمات غزة، ثمَّ أتبعها ب: ماذا عن الضفة! مغرضٌ موتور، أو مُجهَّل، أو فلنقل- على قاعدة إحسان الظن- عاطفيٌّ أهوج! وأزيد عليه من قال غزة؛ مفرِداً، ونسيَ أنَّ غزةَ ما هي إلا مدينة ساحلية صغيرة، من مدن الوطن القضية، من فلسطين التاريخية المعروفة حدوداً: أعني حدود الله التي أرساها بميزان القدسية. ففلسطين لا تُقزَّم بغزة، او بضفة، ولا بأراضي الداخل المحتل. هي كلٌّ مطَّرد: من بانياس وصيدا، وقدسنا الغربية، فحدود الجولان.. حتى رفح! أما من زاود بجهادِ دفعٍ، ألزمته إياه طبيعة أرضٍ وحدود، واستراتيجيات وأجندات، وتمنياتٍ بابتلاع البحر لنا، فقهرَ قهراً بابتلاء غزة، أو حتى رضي، فلبئس من يزايد! أثناء الحرب الأخيرة، عند أول اعلان خيار الاجتياح البري للقطاع، وكسياسة يهود التي من وراء حصونٍ وجدرٍ تُصاول، بدأوا باعطاب مولدات الكهرباء الرئيسة عن منطقتنا، فبتَّ وقد أُقيمت صلاة المغرب، لا تسمع إلا صوت جارنا بالجنب مبتهلاً وحوله أطفاله، وإذاعة صوت الأقصى تهدر بالعاجل من أخبارٍ، تتبارى في دمويَّتها، غير ذلك.. لا تكاد تسمع حتى صوت أنفاسك؛ ظلامٌ حالكٌ بكر، وبطاريات جهاز المذياع، وشواحن أجهزة الهاتف تكاد تنفذ، فيجتمع عليك إظلامان حالكان، يتباريان أيهما أشد رهبة: إظلام ستور الليل، والتعتيم الإعلامي المتعمَّد، فيالرعبك المضاعف، وأنت لا تدري: أعبروا أم ليس بعد! أوصلوا دارَ الجار، أم هم على بابك أنت! انقباضُ صدرٍ تزيحه الآيات، فاليقين بأنّ أمر الله نافذ، تُعلِّلُ النفس تُمنِّيها بجلال شهادة، في أرض الرباط، وعلى يدي يهود، فيجتمع لك ما لا يجتمع لغيرك في ديار الإسلام، وله تغشاك سكينةُ التسليم،

تجلِّلها روعات اليقين بانتصارك، ولو بشلوٍ ممزَّق! وتارةً تأتيك الوساوس- طبيعةً بشريَّةً وفطرة- تؤزُّ فيك المخاوف، وتقلِّب الصدور قدوراً على المراجل، فهم في اجتياحهم البري، يستخدمون المدفعية الثقيلة، وهي لمن لا يعلم، عشوائية حد العمى، تصيب فتحرق حديد التسليح قبل البشر، فيالهول ما اجتمع علينا! وياله من شعبٍ، بخوفه انتصر! المهم، ويشهد ربي، أنّني، ونحن وأحباءنا على هذه الحال، لم نذكر ضفتنا الحبيبة، وأراضينا المحتلة في الداخل الفلسطيني، الفلذة منا، التي وسمنا بشموخ ذرى جبالها= جبالنا، لم نذكرها إلا بكل خير، وقلوبنا تتفطَّر عليهم وقد منعوا عنَّا، وحبسوا عن نصرتنا، وهم أهلنا، وذرارينا، والبضعة منَّا فينا. بل أجدني مسرفةً في غيي وأنا أقول: هم، وما نحن إلا هم، هم الدم الواحد، والصهر والنَّسب، امتدادٌ جميلٌ جليل، لا يقدر على فتق عراه ولا مردة الجان، ولا أبي مازن ولا دحلان، ولا أي نعرات تافهة نمجُّها مجَّاً، ونقلع عين من اجترأ على إثارتها! لا ينكر فضل الضفة إلا جاحد، فعلى جبالها، وفي كهوفها تقلَّب مجاهدو غزة، يتدرَّبون، ويُدرِّبون؛ معسكراتٍ وجبال، وأمٍّ معَ الأُمِّ، وأهلٍ مع الأهل، ونخوات وشهامة ونجدة، أتقنها الفلسطيني فطرةً فيه، ومنةً من الله الذي اصطفاه، فقوَّى دعائم جيناته، بما لا يطيقه بشر من معاني الثبات، فالبقاء، حتى تسليم المفتاح.. للمنتظَر! من يقوى على نكران جميلهم وفضلهم! بل من ينكرُ أسبقيتهم! من يفعل وعلم الجنائيات يشهد: أنَّ لولاه لما تعرَّف أهلُ الحافظ المجاهد: عبد الله البرغوثي، على جثمانِ ولدِهم من هول التعذيب في أقبية السَلَطَة الوطنية الفلسطينية!!! من يفعل ومصانع قناني الزجاج تشهد جودتها على قعدات كبار العلماء، وأجلّهم، وأسبق المجاهدين، وأمرغهم لأنف المحتل.. على فوهاتها، في ذات تلك الأقبية..!! من لا يذكر الجمالين! العياش، البيتاوي، ردَّاد... والقائمة تطول من الحسيني عبد القادر، والسَّعدي.. إلى أصغرِ طفلٍ يطارد الجيب العسكري بحجر، وخلفه ابن عمه في أجهزة الأمن الوقائي ينتظره، يشرب الشاي بالميرامية في دارهم مع أبيه، ريثما يعود الطفل، ليقبضَ عليه، ويُسلِّمه بكل فخر النشامى.. للقوات الإسرائيلية المرابطة على تخوم البلدة..!!!

ومن ينكر تضحيات أهلنا في الداخل الفلسطيني، وجرعات المرارة التي يقتاتونها صبح مساء.. لَمِن المرجفين، الطاعنين ظهر فلسطين غدراً، عليهم لعائن السماء! أذكرُ معيدتي المقدسية، المهندسة الألمعية، الأولى على دفعتها في جامعة (بيرزيت) العريقة، والمتزوجة من مهندس ميكانيكا غزيٍّ، الأول على دفعته أيضا، أذكرها تحدِّثنا عن ذكرياتها في القدس الشريف تقول: كنَّا لا نأمن على أخينا أن يخطو عتبة باب الدار، فإن فعل.. حوقلنا واسترجعنا، وارتدى وجه أمي ثوب الحداد ابتداءً، مخافة ما سيكون! أهلونا هناك هم الصامدون المرابطون، نحن ندفع نعم، ولكنَّهم هم هناك.. هم المرابطون حقًّا. من عضُّوا على بيوتهم وأراضيهم النواجذ، وأدمَوا المُقل على أن يسلِّموها ليهود! أختي هناك إذا ألجأتها الضرورة خروجاً من بيتها، تشبَّثت بحجابها، وشدَّت عليها جلبابها، واستودعت من في الدار! أطفالنا هناك لا يلعبون في الشوارع، شوارع بلادنا الجميلة الجميلة، مذ اكتشفت عاشر جثةٍ لطفل- منذ قديم- منتزعة الأحشاء، ملقاة في صندوق النفايات!! أطفالنا هناك بالكاد يصلون إلى مدارسهم، وألف مستوطن يتربَّص بهم ريب المنون، بعجلات سيارته دهساً، فيفرم الطفل على الأسفلت.. ولا عزاء! أبي هناك يحيط بيته بأسوارٍ حديدية، تعزله عن الرِّعاع أسفل الدار، فيسجن نفسه بيده، ولا تصاب بناته الصغيرات برشقات الحجارة، والمسامير، وكل قاتلٍ يهجم عليهم من نافذة الدار..!! فلاحنا هناك، يعود أشجارنا البهية، التي اكتسبت أشجار العالم اخضرارها منها، يعودها سرقةً، ويرويها على حين غفلةٍ من غلاةٍ مسعورين، يطلقون عليه كلابهم تنهشه حتى العظام!! أمي في القدس تتوارى في بيتها، لم تر النور منذ عقود، منذ آخر مرةٍ، حين رشق حجابها مستوطن آخر، بما تبقى من زجاجة خمرٍ، فابتلَّت بها، وناحت على طهارتها التي راحت بنجسٍ، وهي التي لم تفارقها، بل الطهارة من أرواحنا نحن.. راحت!! في الداخل الجميل، الذي لن تفرقه أبداً عن أجمل أجمل ما رأيت من طبيعة- وأنا التي رأيت- هناك يدفعون الضريبة.. على صوت العصافير!! يحاربونهم في لقمة العيش، (الأرنونا) تلاحقهم، وكلّ سنة تزيد نسبتها عن التي قبلها، ليصل الحال بربِّ العيال، أن يقفل مصدر رزقِه متجرِه، يشكونا إلى الله..!! هناك يهدمون بيوتهم، بيت العمر، الذي عمِّرت حيطانه بالعَرَق والعِرْق والعَصب، ليأتي أمر الحاكم العسكري، بحجةٍ مفضوحة.. بالهدم الفوري، ويأتي الباقور مصطحباً الجرافةَ العتيدة، أمام ناظريهم، يقوِّضُ الأمان، وكل ذكرياتهم تجول على الشارع مرميَّةً.. للمارين الناظرين!! أمُّ نضال تسكن في قرية سلمان، التابعة لمدينة قلقيلية.. بيتها يبعد عشرة أمتارٍ عن بيت ابنتها المتزوجة من رامي، أمُّ نضال إذا أرادت زيارة ابنتها، وعنَّ لها ذلك.. كان لزاماً عليها أن تدور حول موقع بيتها دورةً واسعة، تسير فيها ما يقارب الكيلومتر، بين أزقةٍ خلفية، لتصل إلى مبتغاها، فالجدار الفاصل كما تعلمون، لم يفصل الحدود فقط، بل أبعد الخلائق..!! مروان من مخيم شعفاط لم يكمل الثلاثين من عمره، لم ير الأقصى إلا مرةً، أو مرتين، بصحبة جدِّه الختيار، مروان عزم على إقامة صلاة الجمعة هذا الأسبوع في الأقصى، أوقفوه على حاجز التفتيش، فتشته مجندة شقراء ببالغ ازدراءٍ وتهكم، سحبت هويته، وأمرته بالعودة من حيث جاء..!! هناك يعيشون اللجوء آلاف المرات، وهم على أرضهم، وأوراق الطابو والمفتاح إذ أشهروهما، لا يكادان يحميانهم من عينِ حاسدٍ..إذا مكر..!! المواد الكاوية، الخمر، مياه الصرف، الغناء الفاحش، التحرشات، الكلاب المسعورة، السكاكين، الدهس، اعتقالات تعسفية، تفتيش مفاجئ، مداهمات، اعتقالات، حبس إداري، أسرى، اقتلاع أشجار، حرقها، مصادرة أراضي، مساجد عمرها عمر الزمن، تحوَّل إلى خمارات أو حظائر مساجد تغلق، مساجد تنوح، لا صوت آذان، لا وظائف، شوارع خلفية، رصاص مطاطي الغلاف، حفريات، هدم مقابر، تزوير آثار، كلمات عبرانية دخيلة، قذف واعتداء على حرمات- ابحث لو كنت مهتمًّا-... ولم يفكِّر مقدسي بأن يطأ أرض المطار، وهو الذي ساومه ضباط الإحتلال مقابل بيته القديم، الذي يكاد العفن يأكله، بهجرةٍ إلى جنان أرضكم المزيفة، من كندا، إلى السويد..!! كلّ هذا ولم يفعلوا، وإن فعلوا لطلب دنيا، يبقون الختيارة العجوز، بركةُ الدار ونُوَّارتها، تحرس الدار، حتى عودٍ على عجل، يقتنصون في السفر علاجاً أو طلب علم.. ويعودون..!! طواقٍ سود.. سود، كغربان الليل سود، تعصفُ بالمدينة، رأيتهم يموجون في طرقات مدينتي أنا، يموجون كالوباء، كالطاعون تحمله الجرذان، الجرذان تأكل أهلَّة القباب، وتصيص في طرقات المدينة الجليلة، تهز ذيولها، وتظهر أنيابها الحقيرة، بكلمات مشوهة، بكلِّ استغاثات الخاء، على السمع لها وقعُ مقلع حجارة.. رأيتهم هناك، فمتُّ ألف ميتة، فمابالكم بأهلنا هناك، روحنا التي تسري هناك، وهم بينهم، على أرضهم، يروحون ويجيئون..!! أوليس هذا

كله التعريف الجلي للرباط!!! هم الآن يغلون غلياً، وكعادتهم عادتنا، أبداً لا يجيِّشون المسيرات.. إلا ليفعلوا!! تبادل أدوار كفتي الميزان الواحد: غزة، وضفة وداخل... وعيٌّ يصحبه العمل الواضح المنظور، والمؤثر. يغيظك أن تسمع من هاهنا، وهنا: من يقارن بين طاغيةٍ ويهود، أما علم هؤلاء أنَّ طغاة العرب ما هم إلا بيادق! تحرِّكها أصابع الحاخام أنَّى شاء، والمنظومة تتسع، وما دار ما يدور، إلا لتفتح الأبواب على أهل فلسطين، لتخلو الديار -ديار الحشر- من أهلها، فيتحقَّق يقينهم، استعداداً وإعداداً لساحة الختام! هذا، والمنطق يقول؛ أنَّ جهاداً أنت دافعه في فلسطين، فمسدِّداً فاتورة كرامة أمتك من دم أبنائك، لهو مفخرتك، وفضلك على العالمين، ساقه الله من غير حولٍ لك ولا قوة، أن منَّ عليك بفلسطينيَّتك، فإذ بنزيفك.. معراجك، فلك أن تتيه، بأشلاء بنيك، تلملمها من على ما بقي من حجارة بيتك؛ لك أن تتيه، وتوقن أنّ ربَّك أنعم عليك وفضَّلك على العالمين، هذا الجهاد.. ولك الأجر، فلا تمنَّنَّ على العالمين، وأنت الأعلى، فما لمنَّتك من معنى، ولا تستغيثنَّ منهم أحدا، والأجر مدفوعٌ مكفولٌ معلوم، وقد وُعدت: أن إذ دفعت، فحقٌّ علينا الجزاء، تعلو به الدرجات على من لم يفعل، وإن لم تنزف، يكفيك أنَّك على أرضها المخصوصة تحيا، على كلِّ أرضها تحيا.. فلك أن تتيه..!

8 تشرين الثاني 2014

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الطبل بدوما، والعرس بحرستا

«النسيانُ يا صاحبي كفر، والصفحُ كفر، والرحمةُ كفر، هل تعي مغبة أن تكفر بكل ما يجعل منك حيًّا، فقط... لتزداد حياة»!

لمُا

مثلٌ كنت أسمعه صغيرة من الوالدة، والذي معناه: أن يكون الفعل في مكان، وردُّه في مكان آخر يبعد عنه أميالا! حسناً؛ أنا لا علم لي بالمقابل الفلسطيني للمثل الشامي الشهير- وإن كانا من نفس المشكاة- ولكنَّه يشرح نفسه واقعاً، بل ويُفرض فرضاً على ساحتنا الفلسطينية اليوم! الأمر ليس بالتعقيد الذي يبدو عليه، يكفي أن نوقن أن جسداً واحداً، سعت كلُّ القوى لتقسيمه إلى: ضفة غربية، قطاع غزة، وأراضينا المحتلة في الداخل الفلسطيني- أراضي الثمانية وأربعين تجاوزاً- بدءً بسلطة العار في رام الله، سلطات الإحتلال، غير منتهين بالتجهيل العربي المطبق بمفردات القضية الفلسطينية! أقول: يكفي أن نوقن أنَّ كلَّ المعاول الضاربة في الجسد الواحد ما زادته إلا تماسكاً! لاحظ التجسيد العملي على مدى سنوات الإحتلال، بكلِّ حجرٍ في الضفة أصاب صهيونياً، أو لاحق مدرعة، وأثره المباشر في غزة، وأراضي الداخل، كردّة فعل مباشرة من تداعي الجسد الواحد، بالحجر الأول والمقلاع! لو بدأنا بتفسير الغضبة الجماهيرية: بالثورات الشعبية المتمثلة في الانتفاضات الثلاث الأخيرة؛ لما قدّمنا التفسير المناسب؛ الأمر يتعدى قومية الأرض الواحدة- بِدعة جيفارا والكوفية- إلى الرباط الأجلّ والأبقى، ويخرج من مفهوم الثورات الشعبية، التي أرهقونا بها، محاولين تجريعنا إياها؛ إلى مفهوم الجهاد المقدس في أرض الرباط، ليغدو الأمر منطقياً، وتغدو تقدمات الدم مفهومة ومفسَّرة! البوصلة وقد تم تحديد اتجاهها، بتمكين العقيدة في ثورة المساجد المباركة، أنتجت جيلاً يعي تماماً كيف يحيا عليها، وكيف يموت! لازلت أذكر مجزرة الحرم الإبراهيمي في مدينة خليل الرحمن، ولازلت أذكر هبَّات البراكين في غزة، كيف أن شبابنا هنا تحوَّلوا -العادي منهم قبل الملتزم- إلى نار متقدة تسري في الشوارع، وكيف تحوّل مسار الدم فجأة من شرايينهم، إلى نظرات العيون= التفسير البيِّن لعيونٍ تقدح شررا! وماذا عن انتفاضة البراق، التي هبَّت نسائمها من القدس الشريف، لتزهر في غزة مجاهدين، وفي الضفة مجاهدين..! أي نعم، إنَّ الثقل على غزة يزيد- فشّة خلق- لخصوصية معلومة، بالحروب المتتالية، والمجازر التي يتصيَّد أسبابها المُحتل- أو لا يفعل- ولكنَّ ذلك لا يعني أنَّ غزة على الساحة الفلسطينية لوحدها تصاول! فأهلونا في الداخل الفلسطيني أعلنوها، ويعلنونها عليهم حربَ شوارع، لا يدري خلالها المحتل من أين تأتيه الطعنة، في مجتمع منفتح، العربي لا يميزه عن اليهودي لا الشكل ولا اللغة، فيبيت الاصطياد مجالاً مفتوحا، على يقين أنَّ ما يليه من تبعات لا يطال المُهاجم البطل فقط، بل يتجاوزه إلى بلدته بأسرها، فيعتقل من أهله وصحبه الكثير، ويهدم بيته، وتصادر أملاك، و... مجاهدنا إذن، ببطولته تلك، ومعرفته بالعواقب التي تتعدّى الموت، ألا يُطاول أهل غزة في مُصابهم المعروف-حروباً مروِّعة- أجرا..! متفقون: أنَّ أهل فلسطين في الأجر- بمنّة الله وفضله- كلُّهم سواء، وأن لا سبيل لتفريقٍ وتجزيء، وتغيير مسار البوصلة الرابضة في الصدور كالطود- فكّروا معي بمقولة مهندس التفجيرات: العياش- بل أثبت..! لذا، نستطيع أن نوقن حقاً، بأنَّ السكاكين الطاعنة في القدس، لابد لها من رصاصات متربصة بدوريَّات المحتل في الضفة، مما يعني أنَّ أجسادنا- هنا في غزة- لابد ذائقة طعم ال (F35)..قريبا..!

19 تشرين الثاني 2014

فقه الثورات

«إذا كانت المشكلةُ بين الذئبِ والحمل، فلن يكون حلُّها إلّا من أحدِ اثنين: إمّا لحمُ الخروف، أو عصا الراعي...»

الرافعي

وإنَّه لمن المؤسف حقَّاً: أن تجد أسوأ من يُسوِّق لقضيته، ويجيِّش لها في بلادنا= هم أصحاب القضية أنفسهم!

فتجدهم هم أنفسهم المنفرِّين، بعشوائية المُتخبِّط، واندفاع المتهوِّر، وكأنّ الحق يكفيه ليظهر: جعجعات الحشود، وبعض دمٍ يسيل..!

ضيّعونا: بين عقلية الحملان المشاكسة، وفرضية أنهم الملائكة المنزلون! إيه، ما علينا... دعونا نلجأ إلى مدرسة التعميم العقلاني هنا، والتي تُسوِّغ نتائجها الإحصائيات الرقمية، بشكلٍ جادٍّ، لا تشوبه شائبة التشكيك= لنصل معاً إلى الفكرة التي مؤدَّاها: أنَّ الثائر العربي عليه أن يدفع دمه ألوف المرات، مقابل إحراز تقدمٍ ما في قضيته، وقد يتراجع بعده إلى صفِّه الأول، هذا إن لم ينكص إلى ما دونه كذلك..!

النصر باهظ الثمن في بلادنا، تكلفته تضاهي كل تكلفةٍ من الممكن لك تخيُّل دفعها، والمقابل، ليس مضموناً..!

لا تحدّثني عن الثورة الفرنسية، ولا حرب المئة عام، ولا حتى ويلات الحربين الأولى والثانية، حيث كل خسارة- وإن فدحت- سجَّلت بالمقابل إحرازاً ملموساً -هذا ما كنت أعتقده- لأهدافٍ خُطِّط لها بعناية فائقة، ومنهجية تتابعية مدروسة..!

كانوا رعاعاً، سيقوا بغوغائية الرعاع التي عقولها في آذانها، طيَّروا رقاب من كان بإمكانهم تغيير وجه العالم- الحضارة الرومانية العسكرية كمثال- ولكنّهم بالمقابل، جَنوا حصيد ملايين القتلى على أسوار مدنٍ منتهكة، وكلّنا هنا حصدنا مرارَ انتصاراتهم في بلادنا..!

طيب، ما الفارق بين العقلية الغربية، والعربية في فقه الثورات! ما الذي يحصل هاهنا..!!

كلنا نعلم - بطبيعة الحال- الإجابة المحفوظة الجاهزة: نظرية المؤامرة..!

نحن شعوب يجمعها دين، والدين هذا فيه رفعة تلك الشعوب، بل، وفيه تسيُّدها على الأرض كلّها، ومن عليها ممّن لا ينتمون لذلك الدين.

إذن: هؤلاء- نحن- يجب أن لا يظهروا أبدا، ولا يحوزوا الفرصة لمجرد التقاط الأنفاس، فلنشغلهم بأنفسهم تارةً، وبقضايا جانبية تارةً أخرى. جرَّبوا خلال عقود: الاستشراق، الاستعمار، التبشير، والنساء..! إجابةٌ بديهية مفهومة، ووراءها من النقاط الكثير، فلندعها، وننتقل لغيرها..! أنت كمسلمٍ عربي، ما الذي أخَّر نصرك؟!!

لعلَّنا نرى؛ وبكلّ وضوح: أنّ طرفي كل ثورة قُيِّض لها النشوء، في أيِّ بلدٍ كانت، هما قطبان: القيادة، والشعب..!

أمَّا القيادة الحكيمة، الراسخة العلم واليقين، فلن نعدمها- لو تحدثنا عن المرجعية الإسلامية- وذلك- في رأيي خلاف المعهود من شكوى افتقاد القيادة- في بلادٍ بورك في عطاء ربّها، بإخلاص النوايا، وسواء السبيل..

أسماءٌ وهامات، ودلالات، وأرض جهادٍ مفتوحة، خلُّوكم أنتم، وارتحلوا إليها أفرادا ذوي رؤى ومنهج. هم موجودون لا مِراء إذن، بل، وفاعلون..!

ولكن.. ماذا عن الشعوب!

لاحظ أنّنا كلّنا هنا، في المنطقة الإسلامية، نُعلّق نصرنا على إيجاد القيادة، فنولد ونموت ونحن نتساءل: متى يهب لنا ربّنا صلاحَ دينٍ جديد، أو عمر!!

أوليس هذا بالخلل!! أن تنتظر غيرك ليدلق عليك دلو الماء، أم أنّ هذا القائد جاء من كوكبٍ آخر، أو لعلَّ الملائكة تتنزَّل به..!!

ثقافة المهدي المنتظر، الذي ننتظره، لأنَّه المُخلِّص، وكأنّ مهدينا سيُحارب العالمين وحده، ومن ثم، يهدينا النصر حلالاً زلالا..!!!

الشعوب العربية تُسيِّرها- في المجمل- عواطفها، والتي في أغلب الأحيان، لا تُحكم بصدق المرجعية، ولا بتقصٍّ عقلانيٍّ لأجدريتها..! كلنا- وبمنتهى اليُسر- نلتف حول أيٍّ كان ما دام: مجعجعاً، معمَّماً..! هذا على اعتبار- وبالاتفاق- أنّ الدين لازال هو المُلهب الرئيس لعواطف الأمَّة، لينتبه المدسوسون لحيلةٍ بالغة الذكاء، مبدعة، ألا وهي: تجارةُ الدين..!

ولقد أُستغلت، حتى شبعت استغلالاً، فهل وعينا لذلك!! أم مازلنا- حتى الآن- نصحو من نومنا لنتثاءب قائلين: يالله، الشيخ فلان يسقط!! العالِم علتان!! اللهم ثبِّت علينا العقل والدين..!!

أليس هذا ما يحصل!! ألم نزل- وحتى يومنا هذا- نؤتى من ذات الجُحر!! أليس خللاً؟!!

نحن في دواخلنا شعوب كسولة مُسيَّرة، تحرِّكها الكلمة، فتلف في الميادين والساحات الشهور الطوال، تُطالب بإعلاء الحق، وإزهاق الباطل، فنفرغ شحناتنا العصبية- كما أُريد بنا ولنا- ونهدر طاقاتنا المخزونة- التي وهبنا الله بديننا- بل، وإنّك لتجدنا- في أنفسنا- راضين مبتهجين، لو سقط منّا من سقط، وأُهدر من دمنا ما أُهدر، كأنّنا بذلك نسقط الفريضة، بالقرابين، ولكنّ المثير أنها ليست في مكان النحر المطلوب، فهل تُتقبَّل..!!!

بل، والمثير لغصّات الكون، أن تجد أحدهم، وقد وقع عليه ظلم- مثل باقي المجرة- يصيح بملء رئتيه: أنا الثائر المظلوم، المسفوح دمه، المنتهك، فلتبرقي يا سما، ولتزأري يا رعود.. عليكم اللعنة جميعا، ياسفهاء، يا منبطحين، دمي في رقابكم جميعا، لن أسامح، ولن أغفر.

رفقاً يا ثائرنا المغوار، فكلنا منتهكون..!

عقلية المظلومية هذه، إذا ما امتزجت بالأنا، فقل: يا رحمن، يا رحيم..!

والأدهى من ذلك والأمرّ: أن تجد فينا بين كل عشرة رؤوس، عشرة رؤوس!!

كلّنا ندَّعي الصلاح، كلّنا الأجدر بالإمامة، كلّنا مبتلين لأنّ الرب يُنقِّينا من دنس الذنوب، كلّنا زهَّاد نسَّاك عبَّاد، كلنا ذوات: أنا ذو العلم، أنا ذو الفكر، أنا ذو الإيمان.

أنا.. أنا.. أنا.. فإذا ما خلونا، تجلَّت بشائر الاندحار..!

حفنة من الكاذبين، يبغون نصراً، فأنَّى لنا..!!

لم لا يدع أحدنا ويعمل أن يكون من ذريته عمر!!

لم لا يكون هو بذاته عمر!! لم نستثقل أن نبدأ بأنفسنا..!

لو تفكَّرنا: لما وجدناه يكلفنا، غير ابتسامةٍ في الوجه، وإفشاء سلام..!

لما كلّفنا غير رفع أذىً، وصون لسان..!

لما كلّفنا غير جلواتٍ لأدران القلوب!!

منك أنت أنت يأتي النصر، وبك أنت وحدك، لا غنى عنك أنت، أنت المُحرِّك، اصنع نفسك لتضمن مكانها في الصف الأول، تغيَّر، فكل يوم تسوِّفه، يؤخِّر النصر عنّا دهرا..!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

يا مسلم يا عبد الله

«أهي النخوات باتت أثراً بعد عين! نتغنى بها في طوابير الصباح، نحيي خرقةً بلهاء على سارية، نحسبنا بقامتنا المشدودة، وحناجرنا الملعلعة، قد استلهمنا كل معاني الرجولة ونخواتها»

لمُا

تتأمل ما يجري من حولك، فتكاد تذهل عن نفسك، وتقضم أصابعك من غلٍ وغيظ، يهولك تتابع الأحداث بتسارعٍ مخيف، يروعك حجم الاجتراءات والتعدِّيات، فتغيظك ردود الأفعال، حتى تكاد تقضي عليك قهراً، فما الذي يجري هنا يا سادة!! حباً في الله فليفهمني أحدكم: ما الذي يجري!! لا أستنكر الدماء، ولا التشريد والتعذيب والانتهاكات، وكل ما لم يخطر على بال أعتى مردة الجان أن يكون، لا أستنكره البتة، فالتاريخ يشهد أنّ ما نمر به الآن، قد مرّت به الأرض عديد مرات، وأن ما نشهده الآن، قد مرّ على جبينها، بحذافيره، أو يكاد! ولكنَّ العجيب أنّه من المفترض أنّنا ننتظر بعد الفعل: ردّه، كأيّ ظاهرة فيزيائية تحترم نفسها، وإلا كنّا نتعامل مع.. فراغ. والمثير هنا، أنّ الفراغ نفسه، بتعرفيه الفيزيائي الحديث، لا يخلو من ردود الأفعال!! إنّكم إن مررتم بجانب كلبٍ يا قوم، فأثرتم حفيظته، أو حتى لم تفعلوا، لأوسعكم نباحاً، وسلاسله تكاد تتفتق من إعصار غضبته، فتولّون الأدبار، تخشونه في سلاسله!!

أهي النخوات باتت أثراً بعد عين! نتغنّى بها في طوابير الصباح، نحيي خرقةً بلهاء على سارية، نحسبنا بقامتنا المشدودة، وحناجرنا الملعلعة، قد استلهمنا كل معاني الرجولة ونخواتها!! ألم تدر يا غبي بأنّ جارك الذي يفصلك عنه بحر أو محيط، وقد مرّت على أنفه كأس الاستعباد تقتيلا وتشريدا، فتجرّعها حتى الثمالة، أفتحسب بحراً مانعك من تجرّع ذات الكأس يا أبله!! ألم تع بعد أنّك وهو، وآخرون، تنتمون لنفس المنظومة المستهدفة، وأنّك مازلت في حظيرة الثيران، التي نُحر أسودها، وشرّد أبيضها، تنتظر دورك المرسوم بدقة، لتؤديه على ساحة السياسات الدولية خبراً عاجلا! أتظنّ علمانيتك، اشتراكيتك، قوميتك أو حتى إلحادك..مانعتك! أطمئنك، فأنت لن تراوح تمثيل دور البيدق، بيدق معتوه، يظن أنّه قد تقرّب للمنظومة العالمية، بتغيير جلده، وما هو إلا بيدق تافه، على رقعة فردت منذ دهور، يتحرك بخطىً مرسومة، ليوقع من الطابية من يوقع، ليصلوا إلى الملك! والآن، دعونا نتحدث بلسان الجمع، فما الذي دهى الشعوب العربية، الراضخة تحت نير حكومات قمعية! مشهود على قمعيتها كلّها، فتُنتهب موارد البلاد بانتظامٍ مطّرد، وتصادر الحريات والحقوق، ويغدو المواطن محض ترسٍ صغير، يدور كما حيوان الساقية، همّه تحصيل رزق يومه، أو انشغاله بتأمين مستقبله، والحيوات الصغيرة الممتدة عنه، بنظرةٍ سقيمة قاصرة، كأنّنا خلقنا كما الأميبا، مهمّتنا الحفاظ على وجود الفرد، ليستمر بتكاثره العليل. مجرد نسخٍ متشابهة، تحمل ذات الصبغة الجينية القابلة للاستعباد، وراء المحراث! بات مقصد الخالق في خلقنا، وذرونا على الأرض، مقتصراً على حركات ميكانيكية، تؤديها منّا الجوارح، لا تصل إلى القلب، ولا يقولنّ لي أحدكم لا تعمّمي، فإنّها إن تك وصلت، فلن أرى المعارض منكم إلّا ساعياً لتحقيق مقصد خالقه فيه: خلافةً على أرضه! أعود فأقول: أنّك أنت بإسلامك الصوري، لم تحقق ركنه الأول ابتداءً، لنتجادل في أربعة الأركان الباقيات. توحيدك يا صاحبي تعتريه الخطوب، ويتزلزل فيك، في يومك وليلتك ألف ألف مرة، ليصفعك السؤال: أأنا مسلمٌ موحد حقا! مصيبتنا أنّنا والأنعام سواء، تجري علينا حوادث الدنيا، لنطفح فيها ذات المرار، وتُجثينا ذات القوى، بنفس هيئة الجثو وكيفيته، لنذبح بذات النصل، وفي ذات الموضع حيث آثار الدماء لاتزال، فما يزيدنا هذا كلّه إلّا أن نصحو كلّ يوم، نتحسّس رقابنا، ننظّفها جيدا، لتليق بمقام النصل الناحر!! أنا لن أسأل السؤال الغبي ذاته: إلى متى!، فلندعه جانباً، حتى تفرغ القطعان الثاغية من ثغائها الممل، يحسب أحدهم أنّ النصل مادام بعيداً عن نحره، وباقي خراف حظيرته، فهو في مأمن، يكتفي بتخضيب لحيته بدموعه، يبتهل ويدعو ويكثّف الدعاء، لمن! لله، ويدعو بماذا!، يدعو بأن يرأف ربّنا بالخراف الصغيرة، في البلد المجاور، أو البعيد، أو حتى في بيت الجار بالجنب، أن يرأف بحالهم فلا يتألمون أثناء جزّ رقابهم! هذه ببساطة فجّة هي صيغة دعائكم، والأنكى أن تتدعوا بالفرج! وقاحة خراف. فربّك -يا مسلم يا موحّد- الذي خلقك، ما نفث فيك الروح لتكون حملاً مستأنسا، تُساق إلى الذبح، فتشكر

المولى على تلك الأيدي الرحيمة، التي تسقيك الماء، وتربّت على رقبتك، قبل أن توسدها النطع!! ربّك خلقك لتكون خليفته على أرضه، وخليفة الله، الله العظيم، مالك الملك والملكوت... أيرتضي لمحارم الله انتهاكا! أيرضى بسيول الدم! أيرضى بالقعود أصلا!! لن أعدّد ما تواجهونه كل يوم، فيزيد في اليوم الذي يليه هولا، لن أعدّد، فلقد سئمت، ولن أُعاتب رجلا مازال حتى الآن لا يتقن استخدام السلاح، لا يتقن حزّ الرقاب، لا يتقن مواجهة الدم.. بسيول الدم، رجل ما زال همّه حبا، وخليلة، وجلسة سمر، وحظوظ دنيا، لا يلقم شراهته إلّا حجر سجيل يشجّ به رأسه، علّه يفيق، أو يموت، فيُريحنا من تعدادٍ مقيت! ولا النساء اللاتي طبقت تفاهتهن الآفاق، ملتزمتهن قبل المتفلتة، بتنابزٍ وتغامزٍ على عرض، وتفاخرٍ سامجٍ أبله بدينٍ يظنّه قاصرا، ودنيا يظنّها مقصورة، والكون يدور دورته الأخيرة، نحو الفناء!! اللاتي ما وعين حتى الآن، أنّ مكانهنّ لا في الصفوف الخلفية يضرين الدفوف، ولا في خيام التطبيب، بل في منافسة الرجال على حمل السلاح، لا فرق بينهما، إلّا أيّهما أثبت جنانا.. ليصيب.

3 كانون الأول 2014

ودمعٌ لا يكفكفُ يا مصر

« حَسِبوا التَّحولَ فى الطِباعِ خَليقةً

وتحوُّلُ الأخلاقِ ليسَ يُطاقُ

قَلْبِي عَلَى ثِقَةٍ وَنَفْسِيَ حُرَّةٌ

تَأْبَى الدَّنِيَّ، وَصَارِمِي ذَلاَّقُ

فَعلامَ يَخشى المرءُ فُرقةَ رُوحِه؟

أَوَ لَيْسَ عَاقِبَةَ الْحَيَاةِ فِرَاقُ؟

فارغَب بِنفسِكَ وهِيَ في أثوابِها

إن لم تَكُن شامٌ فَتِلكَ عِراقُ!

لاَ خَيْرَ فِي عَيْشِ الْجَبَانِ يَحُوطُهُ

مِنْ جَانِبَيْهِ الذُّلُّ وَالإِمْلاَقُ

عَابُوا عَلَيَّ حَمِيَّتِي ونِكَايَتِي

والنَّارُ ليسَ يَعيبُها الإحراقُ»!

محمود سامي البارودي

والآن.. ماذا الآن؟

دعونا نتفق أولاً: في مقالتي هذه أتجرَّد أنا من هراء الجنسية، والتبعية لأرضٍ ما، أتحدَّث بلسان من جُعلت لهم-بدينهم- الأرض كلها مكاناً لإعدادٍ مرحلي، نُختبر فيه: أأدَّينا ما علينا حقا، فنستأهل العودة إلى موطننا الأول! أم هي الفتنة أركستنا وأعمتنا السبيل!

لذا، فكل ما سيأتي سرده، أنطقه بلسان المسلم المنتمي لدينه فقط، لا يستفزه عرق، ولا وطن.

هو النقد الصارخ إذاً، والتوغل في أنسجة الجرح العفن بجمرةٍ من نار الحقيقة!

وإنّه لمن المعلوم: أننا كلنا كمسلمين في بلاد الله مستهدفون لاشك، مستهدفون ككتلة متركزة في بقعة جغرافية معلومة، أو متناثرون على سطح المعمورة، ومحل استهدافنا.. الدين.

لا تخبرني أرجوك عن قوى التوازن الدولية، ولا الإستراتيجيات والأجندات، ولا سوق النقد، ولا المخزون العالمي لكذا وكذا وكذا، إن لم نتفق أنّ استهدافنا مرجعه الدين، فإننا لن نفعل أبدا!

طيب، وتعلمون جميعا أنّ التجمع في بقعة جغرافية تحمل تقريبا ذات الخصائص الطبوغرافية، تتحد في اللغة، والعادات الموروثة، ومورست فيها نفس الأيدولوجيات الفكرية، ويزيد عليها أن صُهرت بطابع الدين، هذا التجمع بأفراده المنتمين لأوطان سايكس بيكو، من المفترض أن تجمعهم من السمات، وردود الأفعال، ما يتشابه أو حتى يتقارب، ذلك على فرض أنّ عامل الإنسانية عندهم زادت عليه عوامل، لنخرج بأنّ هذا التقارب في الطبع الإنساني والعرقي والديني يميل إلى التشابه إذا قسنا استجابته للمؤثرات الخارجية.

تعلمون! لو تحدَّثنا عن الأوطان، لوجدنا أنّ منها من يحمل خاصية طرد متجددة ومتزايدة، فترى أهليها عند كل ملّمة يجأرون بحل واحد يجدون فيه الخلاص: الهجرة، الهجرة عنها، وعن كل ما ومن فيها، كفعلٍ يمارسونه، ولو في مكان يحمل قليل فرص، أو يتحدثون عنها، يحلمون بها، ويخططون لها كأنها حبلُ نجاتهم الأخير.

إن استقصيت الأسباب الأرضية، لوجدت من الأرضين ما يستعصم بها شرارها، كأنها قطب جاذب لكل خبث، يرتع فيه بكامل أبّهاته، فتمتد ظلاله تضيّق على كل من خالف أو أعاق الزحف الأسود معايشه، تتغذى على روحه، فيبيت أعمىً أصم، كل همّه اللهاث وراء رزق، يكفل له اختناقاً أيسر.

فلننظر إخوتنا المصريين مثلا، ربما لن تجد أكثر منهم سخطاً على واقعهم، كراهةً لحالهم، وجلداً لذواتهم، يخفون ذلك الكم الهائل من القهر خلف مسمىً مبالغ فيه من حب الوطن، يتوارون خلف مشاعرهم الفياضة، يسكبونها عند أقل إشارة، في أغانيهم، حديثهم، تشجيعهم لمنتخبهم الوطني،.. مبالغات مبالغات، فإذا ما قارنت حالهم الآن، والوطن مملوك لمن ملّكوه باختيارهم، أو بتخاذلهم، تنبؤك بأنّ ثمة خلل في الإسراف المبالغ فيه بالعواطف، كأن المقصود منه، مواراة عيبا، أو تقديم معذرة!

المصري في وطنه، وعلى أرضه، بين أهله وناسه.. مسلوبٌ حقه، مضيّق عليه، محسوبة عليه أنفاسه، يلهث في زحام لا ينتهي، يبحث عن مكان له، في بلد ضاقت على أهلها، فاسترخصت دمائهم، وأراقتها في الطرقات والميادين غير حافلة بهم، ولا بهتافاتهم المطالبة بالمستحيل على أرض الفراعين!

المصيبة أنهم حتى بثورتهم، مارسوا صنعتهم الأولى، في الإدلاء بخيارهم، والتعريف بهم، بعد أن كانوا جنداً مخبوئين، استدعوهم من ثكنات الإعداد، بتوقيت أبله، وتسرُّع أراجوزي، حسبوا أن الثورات: كلمة، ولحن، وكوفية معقودة، وتصفيق وتهليل!

لا، ومصيبة المصائب أن تجد المصري من أكثر شعوب الأرض شوفينيةً، يتفضَّل على غيره من روّاد الحضارات بحجر رشيد، والعجلة العسكرية، والسبعة آلاف عاماً، يتمنّن بهم على كل من دبَّ عليها، كأنهم الشعب المصطفى، والأرض المختارة، يتغنّون ويترنّمون بأمجادٍ زائلات، وحاضرٍ معدوم الكنه، ممحوق التفاصيل، متناسين أنّ من الحضارات من قلبت وجه الأرض، وغيّرت مجرى التاريخ، فإذا ما دائرة عليهم دائرة الزمان، تراجعوا إلى خطوطهم الخلفية، يرقبون الذي يكون بعين الواعي، المدرك، والحريص على حاضرٍ أفضل!

المصري المخدوع بإعلامه، ومناهج تدريسه، ومخططات تفوق وعيه بمراحل، ليبقى أسيراً لماضيه، يستعلي على من عداه، بمسلسلاته، وأغانيه، وفوازير رمضانه، وكأنّ ما قدّم هو كل مقاييس رفعة الشعوب!!

والذي يذهلك، وأنت تراقب الكم الذي لا يطيقه بشر من ظلم فادح يرزحون تحته، يذهلك أنّهم يتناولون كل ملمة أو فاجعة تحيق بهم، وتحط من أقدارهم، وتزلزل كيانهم، يتناولونها بالسخرية والاستهزاء، والتباري في اطلاق القفشات والنكات، فما الذي دهى القوم!!! مالهم يضحكون ولا يبكون! والأمر جلل،

فيه دماء أمة حطّت على أعناق المُصلحين، أو الذين يدّعون الإصلاح!، فيه أكبر كتلة سنية في المنطقة، فيه مصير مستودع الأمة!!

والأفدح أنّهم يتباكون الآن على رجل كحازم، وهو لو أفلح ونال فرصته التي خطط لها ببصيرة، لتكالبوا عليه، خيارهم قبل فجّارهم، ولباعوه بثمن بخس، مسفّهين أحلامه، ولربما قدّموه لمحاكمة عادلة، بطلها قضاؤهم الأسطوري!

لو وعوا الدرس لفهموا: أنّ ثوراتهم ليس مكانها الميادين بحال، ولا التجمعات، ولا الهتافات، التي مهمتها الجليلة الوحيدة: هي تقديم خيار البلد على طبق مرصّع بالهتاف، لحضرة الآمر الناهي في بلدهم: الرصاصة.

لا يعلمون أنّ تجمعاتهم بميادينهم، ومهزلة التحرير، هي أكبر حجة عليهم، وأنّهم كلهم مسؤولون عن كل قطرة دم أُهرقت في غير زمانها ومكانها المطلوب.

ما وعوا حتى الآن عبثية ما يقومون به، فيكررونه بنفس السيناريو الممجوج، وكأنهم استعذبوا إراقة دمائهم، كأنهم بذلك يسكتون صوت الضمير.. أو المنطق!

كان قد راهن جاهلنا ببواطن الأمور على انشقاقات عسكرية لابد حاصلة في صفوف الجيش المصري، صغار ضباط أو حتى مجنّدين، أسوةً بالجارة التي ما قامت ثورتها إلا على أساس عقدي مذهبي، واستحال فيها توقع الانشقاقات لبأس المنظومة العسكرية هناك، واعتمادها على أيدولوجية المذهب، واختيار أشد المنتفعين من السنة، وأحرصهم على مصالحهم لشغل بعض المناصب العليا فيها، في توليفة جبارة، عصية على العصيان، فمابالك الانشقاق!

أقول: أن الثورة المبنية على أساس ديني مذهبي في سوريا، قابلتها ثورة على الطغيان والجبروت ودولة العسكرر في مصر، ولمّا كنّا نبني الآمال على بعض الانشقاقات هنا وهناك في أجهزة العسكر في الدولة المصرية، من قبل أفراد أكثر حرصاً على وطن يجد من عوامل التشجيع والارتباط والانتماء مع أرضه وأفراد شعبه أهمها وحدة المذهب، من نظيرهم السوري-أتحدث على أقل الرتب، أو من جند وعساكر حتى- فإنه بات من اللزام علينا نسف فكرة انتظار مثل هذا الحل السحري من جذوره، هذا إن اعتقدنا بأنّ هؤلاء قد بقوا على سنيَّتهم، أو دينهم من باب أولى!!!

يعني بالله عليك، شعب تسحل حرائره في الشوارع، وتنتهك حرماته في عربات الترحيل على بوابات الأزهر، عياناً، نهارا، جهارا.. ومازال يرى الحل في أيامٍ يخطط لها لينزل يهتف ضد العسكر.. أترجو منه حلا!!

أليس من المفترض-لدينٍ وعروبة- أن لو خدشت فتاة بكلمة، لايبت الحي حتى يُعرف قائلها، فيهجّر وأهله من كل المنطقة تخفيفاً، أو هو الدم.. فأينهم الرجال!!

أفهموني أرجوكم، هؤلاء الذين يقطنون مصر الآن، وينتمون لنفس أيدولوجيتنا الفكرية الإسلامية..أبناء من!! من أين جاؤونا هؤلاء!! أينهم من أجدادهم المغيِّرين الفاعلين في مدن القنال! في رشيد! في كل بقعة من مصر حمل أهلها شومة أو نبوتا عوضاً عن حناجر ملعلعة بالهتافات السقيمة!

أين المصري الذي هاجر إلى أرض الجهاد في مشارق الأرض ومغاربها، حيثما يُنادي المنادي، فلا ترى إلا بطلاً صلدا، ولا تسمع إلا مكرمات رجال!

أينه بمصريته فيه-وكلنا مسلمون- وقد ضرب به المثل في الإقدام والبطولة والفداء!!

أم أنّها الأرض هي من تلبس أهلها إزار الصَغار، فإن فارقوها، عرفتهم بأفعالهم، وبفكرهم الذي يجمعهم.. دينا!!

أينكم من العصيان المدني الذي يعم البلاد، فيري طغاتكم مقامهم.. أم أن شربة النيل جعلتكم من أحرص الناس على رزق، وحياة!!

أينكم من الاغتيالات تترصدون بها أعداء الله، الذين حرّقوكم ومساجدكم، وهتكوا أعراضكم، وأسروا أعلامكم، وضيقوا عليكم معايشكم، أينكم من التربص بهم كل مرصد!، أينكم من الكواتم! أينكم من المقاومة الشعبية حتى، بكل ما تحمله كلمة شعبية من معاني الاختلاف!! أتخافون سيول الدم! اطمئنوا، فلن يسيل أكثر مما سال فعلا.. أم أنها عقدة كليبر، وانتظار الحلبي المُخلِّص!!!

الحل لن يأتي من أرض مصر يا سادة، ولا من مصري على أرض مصر، من ستجمع عليه الكلمة ليس مصريا، سيأتيهم من خارج حدودهم، ويلتفون حوله- كعادتهم حول كل غريب- يوحّد كلمتهم، ويعلي بهم راية الدين، عندها سيمارسون دورهم المرسوم بدقة، والمحفوظ منذ فجر التاريخ، والمشهود لهم به أنهم أسياده: أجناد الحق!

5 كانون أول 2014

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

عباس خلف المتراس

«أعطني جماهير غاضبة، ثم اكتشف على مهل بأنّ الأمر لم يكن كافيا»!

لمُا

إبان الحرب العالمية الثانية، ومع احتدامها بهجمات اليابان على ميناء بيرل هاربور الشهير، ودخول اليانكيز معترك الأزمة العالمية، وبقوة..ومع بداية النهاية بأشهر قليلة، صدر الأمر إلى ضابط استخبارات في الجيش الياباني، يدعى هيرو أونودا، ليتمركز في إحدى جزر الفلبين مع عناصره، ويقطع الإمدادات عن القوات الأمريكية عبر تلك الجزيرة، ويقف حائلا دون تقدم تلك القوات، بكل ما فيه من وسع، دون استسلام أو حتى إقدام على الانتحار...

أونودا امتثل للأوامر، وتمركز في الغابة الفلبينية، وفعلا ابتدأ في مباشرة مهمته، لولا اكتساح الجيش الأمريكي بكامل ثقله للجزيرة، ليقع رفاق أونودا، وكل وحدته ما بين أسير وقتيل، عدا ثلاثة من رفاقه، أجاد معهم الاختفاء في كهف من الكهوف، بعيدا عن متناول الأمريكان...

ندع أونودا في غابته، معزولا ورفاقه عن قيادته، لنجد أن العالم كله تبدلت ملامحه، بهزيمة إمبراطورية اليابان، مباشرة بعد حادثة إلقاء القنبلتين إياهما على مدينتي هيروشيما وناجازاكي، ومن ثم توقيع وثيقة الاستسلام المذلة والمهينة، ليعود الجيش الأمريكي المنتصر رويدا رويدا إلى بلاده، بإنسحابات تكتيكية، بعد أن وسّع سيطرته، وفرض كلمته، لتبدأ اليابان بعده في لملمة شعث جنودها، وإعادتهم إلى الوطن المنكوب... بعد إنتهاء الحرب!

أونودا في معزله، لم تصله بالطبع كل تلك الأحداث المضطرمة، التي غيرت معالم الساحة الدولية، ولا علم بتركيع بلاده واستسلامها... لذا وبكل تلقائية وبعفوية تامة، تابع مهمته التي أنيطت له، بكامل العزم!

استمرت هجمات أونودا على كل ما تطاله يده، من عناصر أمريكية -لم تكن قد أكملت انسحابها بعد- أو إمداداتها، حتى بعد أن فقد رفاقه الثلاثة، في هجمات منفصلة، ليبقى وحيدا، يقاتل ويسلب ما تطاله يداه، من الفلاحين الفليبينيين، وكله يقين بأنه مازال تحت إمرة إمبراطوره، يمتثل لإرادته ووطنه!

استمر أونودا في هجماته تلك، لما يقارب السبع سنوات، رغم أن القوات الأمريكية، بالتعاون مع مسؤولي أونودا في اليابان، قاما بالتعاون في كتابة مناشير، ومن ثم إلقائها بالطائرات على مساحات شاسعة من غابة أونودا، يفهمانه فيها بأن الحرب انتهت، وأن عليه الرجوع إلى الوطن من فوره، لكن أونودا رآها كلها محض أكاذيب، أو خدعة عسكرية محكمة، توهمه بالهزيمة، لتضعف من عزيمته، وتثنيه عن إتمام مهمته...رغم أن النداء أو الأمر كان موقعا من الإمبراطور نفسه!

بعدها، وبعد أن أتم أونودا ثلاثين عاما كاملة، في غابته تلك، يعيش وحيدا طريدا، تحت سلطة الطبيعة القاسية، وهو يتابع هجماته على القرويين البسطاء، ظانا أنه يباشر مهامه، ويطيع أوامر وطنه= بعدها، قام مغامر ياباني اسمه سوزوكي «ليس هيونداي« باستكشاف تلك الغابة الشهيرة، بحثا عن أونودا، ليجده بعد أربعة أيام كاملة، ليفهمه أثناء لقائه به، بالمستجدات التي فاتته، لثلاثين عاما كاملة، وبأن الحرب وضعت أوزارها بعد أشهر قليلة، من تلقيه أوامر مهمته!

صاحبنا أونودا، الذي قاتل بكامل طاقته، ومنتهى قناعته، صار الآن واعيا لما كان، وهو محجوب عن العالم الخارجي، وكيف قضى من عمره وطاقته الكثير، في سبيل معركة... منتهية!

يعود أونودا إلى وطنه، ويستقبل استقبال الأبطال، ليكتئب بعدها بسبب تلك الطفرة التي وجد وطنه عليها، بعد غياب طال، تغيرت فيه المفاهيم، وتشوهت القيم، واختلف القوم عليه، فما عاد يجد رائحة الوطن... ليهاجر بعدها إلى البرازيل، ثم يعود ليموت ويدفن في بلاده في العام 2014!

ثم ماذا بعد! ما الذي من الممكن أن نستفيده من قصتك تلك يا أم اللوم، ترى..! لو تناولنا الأمر على بساطته، لوجدنا أننا، وفي معرض بعض الأمور الحياتية، نغرق حتى آذاننا في العناد! العند الذي يعمي ويصم، فلا يواجه نواظرنا غير الهدف، كعلامة حمراء، لنغرق أنفسنا في مداراته، وندور حول أفلاكه، إلى أن تنقطع أنفاسنا، ونذبل، وننتهي، دون أن نحقق هدفا لم يكن منطقيا بحال، سواء لإستحالة تحقيقه، لخروجه عن منظومة الهدف المخطط له بدقة والمستطاع، أو لكونه غير مقدر لنا بالأساس! هذا النوع من العناد قد يكون في طبع البعض، وقد يرغم عليه آخرون: لقلة حيلتهم، فيسلمون مقاليد طاقاتهم، وذبالة حياتهم، لهدف غيبي بعيد المنال، فإن قيل: ها! قالوا: لعل وعسى...

ثم لو تناولنا الأمر من جهة أخرى، نجد أنه قد يتم تعميتنا أي نعم، لندور في ساقية الآليّة، ونعطل كل مراكز الإدراك، في سبيل حياة أسهل وراء محراث! حيث لا مجال لاستقبال المستجدات، وعوامل التغيير، وبرمجتها في حياتنا، لتعطينا مُخرجا، يمكّننا من الاستغلال الأمثل لطاقتنا..

ولكن في المقابل كن حريصا على الاحتفاظ بطابعك الذي تعتقد به، وإن انقلبت الدنيا رأسا على عقب، وإن تحولت البديهيات في طرفة عين، لاحتمالات تقبل النقاش والجدل.. فالتحريف، والطمس، وإن كانت التهم المعدة تتراوح ما بين الرجعية، لتصل إلى الإرهاب!

انتبه للفارق، لا تكن أونودا الذي أضاع عمرا بأكمله، في سبيل تاج أسقط، وأزلام ما عادوا -لا هم ولا أجنداتهم- على سطح الأرض، ولا وطن!

في المقابل، ثوابتك ثوابتك..!

للذاكرة السمكية

« قال الله جلَّ وعلا: } فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا { 84 -النساء

قال ابن عطية: «ولهذا ينبغي لكل مؤمنٍ أن يُجاهد ولو وحده ».

أحبائي الرفاق المناضلين الذين غيّروا صورة متصفحهم، وشاركوا صور الحب في زمن الحرب، وتحدّثوا عن الأمل المزقزق، والأمة الموعودة بالنصر، وما إلى ذلك..

الرفاق الذين شاركوا، أحزنني وأغضبني بأكثر من عدد الدعوات التي رفعوها إلى السماء..إنه ليطربني أن أُعلمكم بالتالي:-

الإصابة بالنابالم الحارق تصيب الدماغ بصدمة عصبية حادة، وفقدان سيطرة تام على الأطراف، مع ارتجافات سخية، فالألم المتولد عن الحرق يحيل المصاب إلى ثكنة متحركة من الألم الصافي، الذي لا يقاربه ألم، تذكرون المقطع التسجيلي للطفل الذي غطوا جسده بالطين في محاولة لتهدئة آلامه! لا لم يكن يرتجف من الخوف، ولا من البرد، كل ما في الأمر أنه كان يرتجف لهول الألم!

الإصابة بالفسفور لا يمكن تداركها بأي وسيلة كانت، المادة ستتفاعل فور اتحادها بالأكسجين، وستتغذى على اللحم الحي، لتأكل فيه. كل محاولات الإطفاء لن تجدي أبدا، يعني عملية الاحتراق ستستمر إلى أن تصل إلى العظم. شهدنا حالات فور إزالة شاش التعقيم عن مكان الإصابة للتغيير، تبدأ عملية التفاعل والاحتراق من جديد.

الشظايا المتفجرة جراء الإصابة بالصواريخ تتفتت بشكل عشوائي داخل جسد الضحية، لتحيلها إلى أماكن تمركز ألم متفرقة، البتر ليس أشدها على الإطلاق، الشظايا تهتك الأنسجة بشكل بالغ العشوائية، وتشظّي العظم، أما الموت فهو ليس متاحا دائما مع هكذا نوعيات من الإصابة، كحل لإنهاء كل هدا القدر من الألم. الروس يستخدمون الشظايا الحادة، كلاب الأسد يستخدمون ما هو أرخص، بما يتناسب مع

استرخاصهم للشعب، اليهود يستخدمون مواد كيماوية مصاحبة للشظية، تتوزع كذرات بحجم ذرة التراب، تسبب سرطانات متقدمة، يتابعون معها الحالة كمعمل متحرك لتجاربهم. الشظية بحد ذاتها، كحدوة الحصان، تتشبث باللحم، ثم تدور فيه فرما إلى أن تصل إلى العظم، لتهشمه وتفصله.

طائرات الميغ الروسية درجة الخطأ فيها أعلى من مثيلاتها ذات الصناعة الأمريكية التي يستخدمها اليهود، نسبة الخطأ هذه لا تعني شيئا في ظل حرب إبادة قائمة على العشوائية الممنهجة!

البراميل تملأ بكل ما يمكن تخيله من القواطع الحادة الرخيصة والمتوفرة، منها المسامير، مع إضافةكريمة للكلور! طريقة قذف البراميل قائمة على العشوائية، والعشوائية في الحروب هي جوهر الرعب فيها، حيث عنصر الأمان يساوي الصفر بجدارة.

الحرب الكيماوية، وغازات الأعصاب... يمتلك جيش حماة الديار ثلاثة زمر منها، السارين استخدم بكثافة، والذي يكفي تنشق كمية ضئيلة منه للموت، ليس قبل مجموعة من الأعراض بالغة الجمال، كالتشنج الحاد جدا، في العضلات بالطبع، ليس الشلل الإنبساطي أبدا، بل التشنج الذي يخرج المصاب عن سيطرته على أطرافه، من شدته تكاد كرة العين تخرج من محجرها، ضيق التنفس بالطبع، وآلام أكثر من حادة، يعقبها الموت الرحيم. هذا النوع من الأسلحة استخدم بشكل مفرط، رغم كل التحذيرات الدولية، ولكنهم بالطبع لم يقدروا على مقاومة الموت الأبيض، الخالي تماما من اللطخات الحمراء.

الأسلحة البيضاء تكفل رعبا مقيما، فالقاتل يواجهك، وعينيه في عينيك، يميل برؤوس أحبائك، ويفصلها عن أجسادهم، الرعب في مراقبة الموت وهو يعمل كفيلة بالتسبب في فقدان سلامك العقلي إلى الأبد، فكيف بك وأنت تحمل وزر العجز كاملا، وأنت تسمع الاستغاثات، يلحقها صوت النحر ذاته، تمزق اللحم، والسكين تروح جيئة وذهابا على الأعناق الطرية...الذبح بالسكاكين، فقط اجرح إصبعك وأنت تعد السلاطة، لتتخيل!

الموت حرقا.. شهادات مروعة عن حرق الأطفال أحياءً أمام والديهم، في سبيل اعترافات، أو حتى للتسلية، إنهم يمسكونهم من شعر الرأس، يشوون الأقدام بداية، لتسري النيران رويدا رويدا في الجسد الغض الطري، الموت بعيد بعيد، ورائحة الشواء تبث الرعب بأكثر من ألف رصاصة!

الموت بردا، في ليالي شتاء بالغة القسوة، حيث درجات الحرارة تنخفض إلى ما دون الصفر، في غياب الكهرباء بالطبع، والمازوت كما هو معلوم. الحصار الخانق لم يتح أي فرصة للتزود بطعام يوفر بعض الطاقة في الأجساد الهزيلة، البرد يحاصر كما جنود الأسد: ببالغ الوحشية، لك أن تتخيل أن يتحول طفلك إلى قطعة لحم زرقاء متجمدة، وأنت لا حول لك ولا قوة!

الموت جوعا، الحصار بأعتى مفرداته، الشبيحة في مدخل المخيم يلوحون بربطة الخبز أمام الأعين الذاهلة من الجوع، كل اقتراب تكافؤه رصاصة، تعرف طريقها تماما، ولكن ما الفرق! كل الرصاصات أرحم من غول الجوع الجائل في أجساد، لم يعد يصنفها من البشر شيء، إنه الجوع الذي يوصلك إلى الجنون.. المطبق!

الموت يعمل بكفاءة تامة مع الأطفال والنساء، الفئتان المستضعفتان الأكثر تأثيرا على الوجدان البشري!! الانتهاكات الجسدية مكفولة جدا، فرص الفرار تكاد تكون معدومة، مع الإستهداف المتعمد لإزاحة مربعات سكنية كاملة بعوائلها.

الدفن تحت الأنقاض وسيلة موت متوفرة جدا، حيث ترزح كل هذه الكميات من الخرسانة فوق صدرك، أوزان مهولة تنهرس تحتها الأجساد، كما تهرس أمك البطاطا، كل هذه الأتربة التي تعيق تنفسك، الاختناق لسيئي الحظ، الذين أبوا الهرس، الحديد سيخترق اللحم بالطبع، ليغدو الأطفال.. شيش كباب.

الصدمات النفسية المرافقة للحروب، والمتخلفة عنها لن تنتج إلا جيلا كاملا من المشوهين نفسيا، إلى الحد الذي يصير معه الموت حلما ورديا صعب المنال، الأطفال الذين دفنوا مع أشلاء أمهاتهم، وآخرين

تراكضوا في الأزقة على غير هدى، والقصف الذي لا يرحم يأتيهم من كل مكان، أطفال فقدت عوائلها بالكامل، أمهات ورجال وشعب كامل، لن ينجو الحي فيهم من إعاقة أبدية تلازمه العمر كله، قصص لم نسمعها بعد، قصص يكفي مجرد سردها لإصابة المستمع الآمن بعقد مستحكمة، أزمة اللجوء، والتواطؤ القذر على تجويعهم وإذلالهم وامتهانهم، ممن ظنوهم مصرخيهم دونا عن كل البشر.

و...معذرة، كوب الشاي سيبرد الآن، والشاي لا يشرب إلا ساخنا كما تعلمون، وإلا كنت واصلت وفصّلت، فحتى لقاء، دمتم سالمين!

تهمة الدوغمائية

«قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى - في (البداية والنهاية): «ذكر الوليد بن مسلم: أنَّ ماهان - قائد الروم - طلب خالدًا ليبرز إليه فيما بينَ الصَّفين فيجتمعا في مصلحة لهم. فقال ماهان: إنَّا قد علمنا أنَّ ما أخرجكم من بلادكم الجُهدَ والجوع، فهلمُّوا إلى أن أُعطِيَ كُلَّ رجُلٍ منكم عشرةَ دنانير وكِسوةً وطعام وترجعون إلى بلادكم، فإذا كان من العام المقبل بعثنا لكم بمثلها. فقال خالد: إنَّه لم يخرجنا من بلادنا ما ذكرت، غيرَ أنَّا قومٌ نشربُ الدماء، وأنَّه بلغنا أنَّ لا دمَ أطيبَ من دمِ الروم فجئنا لذلك. ففزِع الروم من كلام خالد فزعًا شديدًا وقال أصحابُ ماهان: هذا والله ما كنَّا نُحَدَّثُ به العرب!»

بات من الواضح -والواضح جدا - أننا نعيش في عالم يتم تصنيفك فيه كمسلم فور ميلادك لتكون (جويمًا) أو (ناصبيًّا) أو (إرهابيًّا)، لا خيار لك ما دمت ولدت لأبوين سنيين في أي بلد من بلاد الله، ولا مفر لك أبدا خارج نطاق تلك التصنيفات، وإن ساقوا إليك المواثيق الدولية في ديباجة مفرطة الشفافية والحيادية، وإن أقنعوك بأنك إنسان حر يحيا على أرض تكفل لك حقوق إنسانيتك، بغض النظر عن عرقك وطائفتك ومذهبك وفرقتك!

تهمتك دوما جاهزة، مفصلة على مقاسك، فقط تنتظر يديك لتكبلهما بالجرم وإن كنت أبعد خلق الله عما وشت به ملامحك أو لونك أو مظهرك، يكفي أن تكون مسلما سنيا لتصبح هدفا متاحا ثريا لكل الافتراءات، يكفي فقط أن تحمل ذلك الحمض النووي المقيت الذي قد يحمل صفةً متنحيةً ما تحيلك إلى ما يخشون، وتحت ظروف لا يمكن التكهن بها، فيضطروا إلى مواجهة ذلك المسخ الكامن المتربص بكل سيناريوهات التمدد والتوغل والاستحواذ حتى ال(الميكرع ها كول)، لتحمِّلك كل حكومات الأرض الدينية -برغم أنفك- جريرة فقدان سيطرة أو خلل عارض أو مدبّر، أو حتى -على أقل تقدير- لتحقيق انتصارات سياسية ما!

الأنكى أن الأمر تجاوز قيامك بدور الضحية على أكمل وجه، ليتعداه إلى تخطيط إدارتك للأزمات أنت ذاتك، ومحاولة رسم حدود كنتورية لكل ردود أفعالك المتوقعة وغير المتوقعة على أي حدث يمسُّ أمنك وأمانك!

ثم إنه ليغيظك أن ذهبوا في ترهاتهم وفلسفاتهم التي تزرع الأفيون في عقول متخدرة مسبقة الصب إلى أبعد حد لينظموا لك معايشك، ويقننوا تحركاتك، ويفندوا رؤاك ويحاصروا توقعاتك، حتى بات من المنطقي -غير المستعتب- أن تجدهم -هم- يعلمونك كيف تنشئ بنيك!

أما مهزلة المهازل أنهم باتوا يبررون الأمر بمنطق باهت لا يخدع سوى السذج، وينصِّبون من أنفسهم سدنة حقوق الإنسان، ويمضون في تدبيج اللوائح والقوانين، ويرقِّمونها ويسلسلونها ويمنحونها سلطة السيف المسلط على الرقاب، والتي تشهد كل الحادثات المؤرخة أنها لن تكون إلا رقابنا نحن، وهو الدور الذي نؤديه ببالغ المهارة..والتلقائية، كأمهر ما يأخذ طالب عن شيخ طريقته: سمعا وطاعة.

انظروهم اليوم يملئون كل محفل لهم زعيقا يستنفرون به الضمير العالمي -يسمُّونه- بما يدعونه من محاباة الإنسانية، ومراعاة الآدمية بدعاوى المحبة والسلام والتسامح، المعاني التي لا يعيقها من التجلي في أرجاء المعمورة إلا وجودك فيها.

ثم إنهم -وبكل وقاحة- ينكرون على الضحية أن تئن بصوت خافت لا يكاد يسمع، أو حتى تمد يدًا مضرجة بالدماء لتمسح على موضع النزف لا توقفه، فإنك ما دمت مدرجا تحت تصنيف المسلم السني فدورك المحدد الذي جئت العالم لتؤديه على مسرح الحياة هو دور الضحية المفصولة الرأس عن الجسد-هذا إن حالفك الحظ- أو لتكون المسيح المخلِّص الذي يحمل على كتفيه خطايا البشرية جمعاء، وذنوب مردة الجان، ليقوم -مخيرا ومجبرا- بدفع الضريبة من كينونته!

الآن هم مشغولون بحق في تنضيد حقوق الطفل على أرض حرب، الطفل الذي يجب أن يقضي طفولته ضاحكا لاهيا، منفصلا عن شؤون الكبار ومشاكلهم وقضاياهم وهمومهم، الطفل الذي يجب أن يكون مقصيا عن كل ما يشغل الكبار، محيدا عن صراعاتهم، وخارج نطاق كل المساومات والضغوط!

لننساق نحن بكل عفوية بلهاء وراء باطل توارى تحت أردية الحق، لنغض الطرف بصفاقة عن مقاصد وأهداف، كأنه كان ينقصنا مزيد رهق يقصينا ويزيد في عنائنا وشقوتنا يوم أن ارتضينا القعود!

ثم إنهم يقولون السلام والتسامح ديننا، ويمضون في غيهم يمدون الجسور، لتهوي بمن آمن بهم من دون الله إلى قعر مدنيتهم وحضارتهم!

ويجأرون بأنّ الحب دين، فلا نلبث إلا أن نرى أنفسنا وقودًا لإذكاء جمرة الحب المُدّعى، ولا بواكي لنا ولا نصير!

فما الذي بملكنا نأتيه فننجو، أو نقربه فنصطنع درجات لمن بعدنا يرتقونها، فيكتب لنا الأجر، ولهم النصر!

ما هي ثروتك يا مسلم التي جعلها الله في عنقك أمانة إلى يوم تلقاه، ما هو مددك! أليست روحك.. وأرواح من ولّيت أمرهم بعد! لا نطلب الموت بدارا ونحن من أُمرنا بالإعمار، ولا نسوق القرابين، بل اصطناع وقربات، وإعدادٌ على عين الله ومراده!

مثال أسامة بن زيد! مثال أسامة الذي قتلناه تكرارا، وفي كل محفل وبلا أدنى فائدة مرجوة، كأننا أصررنا على صم الآذان وليِّ الأعناق، إلا في مقام التحسُّر..والتفاخر!

نمطيتنا في استجلاب اللعنات على رؤوس من سكب اللبن وعلى اللبن، وبكائياتنا على الأطلال المفترضة عوضا عن أنقاض ذواتنا المتداعية، نشهد انهيالها بأم أعيننا فننكر ثورة الركام باختيالٍ باعثٍ للازدراء، أو نتقوقع على ما جلبته أيدينا ونبحث عن أقرب حفرة في الأرض نواري فيها سوءة الجبن والذلة والمسكنة!

نفعلها ولا نعي أن الذي قدَّر لنا الاستخلاف أجرى بين أيدينا أسبابه، لا نبلغها إلا إن أمكنَّاها -الأسباب - في أنفسنا، ثم إنه سبحانه أرسى بين ظهرانينا أطواد لا يقشعها إلا مستبصر، ويذهل عنها رعاع القوم وأسافلهم من أدنياء الهمة ومبطلي السنن!

أما وإن بذرتك التي تبذرها لا تلقي لها بالا هي طودك المقدَّر، ومناط نصرة أمَّتك وظهورها، والخلافة وعد الله الحق، فإن بذرت واستبصرت عجَّلت بما سيكون، وإلا غبت عن محفل يوم عظيم، ووريت أنت وبذارك الثرى، ناقصٌ عديم النفع، تمرُّ عليها بلا أدنى أثر!

ولتعلم أنَّ الطفل -الذي بذرت- في ديار الإسلام هو من عون الله ومدده الذي سيَّره للأمة كيما تكون، في نحرك ما عمِّيت أو تغافلت، والعاقبة لا مقصورة عليك وحدك، بل تتعداك إلى أمة بأكملها، انت فيها فرد، والفرد منا -نحن المسلمون- مسؤول محاسب عمَّا خطته الأبدان والأركان في دائرةٍ محكمة، أو

سلسلة لا منقطعة، ليغدو الفرد ومجتمعه في صورة متكاملة: تأثُّرًا وتأثيرا!

أما رأيت هؤلاء الذين يتوارون تحت براقع الحملان -تظنهم أشفق الخلق- يدّعون حمل همك وهمّ بنيك، يتباكون لمشهد طفل يحمل سلاحه أو يعتلي آليته في صحراء بعيدة، أما رأيتهم تكاد تحيق بهم قارعة عدد

صبيان يتصايحون بالهتاف الذي دكّ الحصون قرونا، أوتظنهم يسعون للسلم العالمي حقا! أو أنهم يرعوون لطفولة ابنك التي ضيعتها الميليشيات المسلحة بين أزيز الرصاص والجعجعة والقعقعة!

هل تراهم يكترثون حقا وهم ذاتهم الذين هللوا للمرأة المقاتِلة- والتي حقّها خدرها في مواثيقهم: أنها مدنية- مادامت تثخن في شركاء العقيدة! أم أن تعريف المدني الأعزل قابل للاستطالة حتى يشمل المجندة ما دامت ليست أثناء تأدية خدمتها، ويقصر عن أطفال سيربينيتسا والزبداني والموصل وشاتيلا وأراكان حتى لتظهر كل عورات المجتمع الدولي بكل صفاقة!

إنهم يكادون يموتون رعبا من توجه عام وملحوظ لتعبئة أطفال المجتمع المسلم، وحقنهم بمزيد حب وإيمان بتفاعل إيجابي يأخذ بمجامع قلوب الأشبال بقضايا الأمة من مشرقها حتى المغرب، ليتجاوز الأمر قدرتهم على الاستيعاب وهم يرون صغارنا يتبارون على بغضهم تقربا، والذي ترتعد له فرائصهم هم الأمهات اللواتي يزين أولادهن يوم العيد بزيٍّ عسكري، ومنهن من تسعى لأن يشارك وليدها في مسيرات النصرة.. مرتديا الكفن!

فإذا ما تنادينا للدفع يُسبلون صفر العيون وينعقون في كل محفل زورٍ لهم: لمقت الواقعة أكبر! إنهم يستلبون بنيكم من أحضانكم، ويستغلونهم في معارك طائفية ستحرق أخضر عودهم ولن تترك لكم إلا هشيم الندم تتغذّون به على نار اصطباركم!!

فإن أمعنت النظر وسدّدته لوجدتهم بين الأسوَدين منقسمين: أسوَد السنة مجرمٌ مختل وورم خبيث حقه الإزالة، وأسوَد غيرهم: بعمامةٍ أو طاقية: بطل صنديد، مدافعٌ منافح عن حقوق!

ما علموا أن الطفولة في ديارنا مرحلة إعداد للدفع أو الطلب، لا يتعارض ذلك مع قلوب شفيقة، وأرواح عطوفة، وأن أولادنا ليسوا بأبناء الأفاعي الذين ادعوا، وأنهم البضعة، وأنهم الفلذة، وأننا أشفق أهل الأرض بمن ولد -فطرة وعقيدة- وأنّ من شفقتنا بهم دفعنا لهم إلى المعامع تصنعهم وتعجّل لنا ولهم بوعد الله الحق!

أما والله إن أطفالنا الذين قضاهم الله لنا رزقا موهوبون لله، وميتنا حي، والحيّ منا يعلي كلمة الله لا يبالي، وإلا تجرعنا المرار والذل والعار أبدا، حتى يأتي قومٌ فقهوا (وأعدوا) وأمكنوا لل(طائفة) وتعالوا على شهوة (الولد) ليصنعوا من (الغلمان) رجالا، فيفتح الله عليهم.. ويمكن لهم!

تسلل واضح سيدي الحكم..

«كلام الجرائد لا ينفع يا بني، فأولئك الذين يكتبون في الجرائد يجلسون في مقاعد مريحة وفي غرف واسعة فيها صور وفيها مدفأة، ثم يكتبون عن فلسطين، وعن حرب فلسطين، وهم لم يسمعوا طلقة واحدة في حياتهم كلها، ولو سمعوا، لهربوا إلى حيث لا أدري».

غسان كنفاني

فليكن في معلومنا..

إنّ كل هبة «شعوبية» كانت أو على درجات «الإسلامية الرمادية» إثر كل استفزاز ممنهج ومقصود، وبفاصل زمني دقيق فيما بينها= ما هي إلا مقياس نابض يعطي قيمة مدروسة بناء على دراسات وإحصائيات، أو معامل أمان يؤخذ ببالغ الاعتبار: هل ما زالوا نائمين!

- لاحظ أن نفس الشبهات تثار في كل مرة، ومن أبناء الأمة ذاتها، ناخرين في أصل المعتقد ذاته في محورية قضية فلسطين، هي هي ذاتها، وفي كل مرة... مما يعني أننا في معركة الوعي لم نتعد الأعتاب، وأننا خير من يدفع بالمصلحين المفكرين إلى المحرقة، وأن العوام صاروا يتصدّرون المشهد، ويؤدلجون له، في متاهة عبثية مزرية.

- مؤخرا ازدادت وتيرة التشكيك ومن ثم إدارة الظهر للقضية، وتشويهها، بل وشيطنة أعلامها الفاعلين، واعتبارها شأنا داخليا يخص أهلها..وذلك على مستوى الإعلام العربي ككل، خاصة من قبل المرجعية الدينية في العالم الإسلامي!

- العمل على ذلك أظنه يتركز في اتجاهين: ركون الأمة بأسرها إلى الأمر الواقع -كأن يقال: كلنا محتلين- متناسين أنّ احتلال فلسطين كان المعول الأول الضارب في جذور أوطانكم كلها، وترسيخ حكم طغاتكم... المحور الثاني في تغذية الاستنزاف العاطفي، إلى الحد الذي تصير معه كل كارثة أو حركات استفزاز هي مجرد محل تفريغ للشحن العاطفي، يعقبها الصمت، لتستمر الحياة بشكل تدافعي وراء المحاريث.

- ما يراد بنا صار أكثر من جلي: نحن نساق إلى النهايات، ومن أظهر العلامات أن تضيع الأمة بوصلتها، بعد أن أفرغت من ثقاتها ومرجعياتها، ليسأل الجيل القادم عن فلسطين فلا يعرفها، من بعد طول تنكر لها، أفضى إلى إيثار السلامة، والاكتفاء بالمصاب الشخصي، دون مصاب الأمة العام، مع ما يرافق ذلك من تكريس معاني الخنوع والتسليم.

- ليس لنا من الأمر -ونحن بين مطرقة الطغاة، وسندان التحالف العالمي- إلا الانشغال في معركة الوعي: من ترسيخ للعقيدة، ومدارسة التاريخ، وربطه مع الوقائع والأحداث الجارية، والمراهنة على النشىء، وتعهده بالمسلّمات.

- نصر الله وتمكينه وعد قرآني قادم لا محالة، والاعتراف بالعلل المتمكنة والناخرة في جسد الأمة، ووضع اليد عليها، وتشريحها، وعرضها هو وعي بالعجز..وليس من قبيل التيئيس والفت في العضد بحال، بقدر ما هو أول السبيل، الذي يعقبه إرساء دعائم الأمل في أن نكون جيل نصر مستعمَلين، بدلا من أن نسلّم بكوننا أمة غابرة، مستولد منها الغالبة...

- أما التسربل في الدعاوى التي صورتها الصلاح، فليعلم أهلها أنهم ليسوا بخادعي الله، وأنّ التمحيص ليس بهين، وليعلم الله من ينصره!

إنّك لأنت الحقّ.. فاعلم

«فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ» 79- النمل

وإنَّك إذا عاينت تعصُّبَ كلٍّ لشيعته أو طائفته أو فرقته، وأنَّهم جعلوا ينتصرون لما ذهبوا إليه من باطلٍ مدحوضٍ وضلال: يبذلون في ذلك العرق والعصب والدم، ويوغلون فيمن تمثَّلوا الثارات، ويبطشون البطشة الكبرى أنَّهم على الجادة وسواهم الأغيار، ويتنادَون على ذلك وهم العصبة: من ناشئ الفتيان حتى ذوات النون،، ويتخذون ما قدَّموا من سفكٍ وإزهاقٍ وتمثيلٍ= قربات لإلهٍ زعموه، وحقٍّ ملتبس، فلا يضرب على أيديهم، بل ولا يُنظر إليهم شزرًا ولا على مضضٍ هم يُستعتبون، فيزيد سعارهم، ويستفحل شنَّارهم،، ويرسخ يقينهم أنَّهم -ما سُكِت عنهم- هم المنصورون. ثمَّ إنَّك إذا يمَّمت وجهك شطر من نجَّاهم الله فرزقهم الخَلاص، وأيَّدهم بدين الحقِّ شِعبًا واحدًا معلومًا أبلجا= لرأيتهم في كلِّ وادٍ يهيمون، أذلاء تعلوهم قترة الصغار؛ تنتهك حرماتهم على أعينهم، ويقَّتل وليدهم، ويُحاربون فيما أنزل عليهم، فإذا نودوا إلى الهيعة كيما تسترد مظالمٌ طمَّتهم قالوا: هاه..مالنا ومالها! خلُّونا وما بين جنبينا، لا نَمسُّ ولا نُمَس، فإذا قيل: عاقبوا بما عوقبتم به، قالوا: بل الله يدفع عنَّا، وإنَّا إليه جائرون، فإذا قيل: روِّعوا تكن لكم الهيبة في الأرض وأقيموا الحدود، قالوا: يا غلاظ القلوب، ولُّوا يا دعاة الفتنة عنا، وذرونا عمّا وجدنا عليه آباءنا=نسعى في مناكبها نستجدي القوت، فإذا قيل النصرة، قالوا: كلُّ نفسٍ وما ابتلاها، ولكلِّ مكةَ أهلٌ هم أدرى بشعابها وأخبر، وأقدر على إزاحة ما ألمَّ بها وأجدر، فإذا قيل: وإنَّكم اللاحقون، ولسوف يحيق بكم ما استأخرتم، قالوا: ليس أنجع منا في النعيق، ولتسمعنَّ ما يشفى الصدور من قال وقيل، فإذا قيل: أنتم أصحاب الحقِّ الأوحد، ومن عداكم بين كافرٍ وعاص، قالوا: أودعوى الطائفية!! مالكم كيف تحكمون! إنّما هي الأخوة في الإنسانية، ولكلٍّ ربٌّ هو قاصده، والله غفورٌ رحيم!!!

هذا خوار القاعدين، ثمَّ إنَّهم -على قعودهم- ليشرين بدل الماء دما، وليأكلن لحم أولادهم من جوع، ولا يأمنن أبدا، ثمَّ لتكونن عاقبتهم أن يسألوا من إلهكم.. فلا ينطقون!

#أنا-مسلم

#أنا-سُنِّي

#أنا-الحق

#الأوحد

شباط 2015.. هل لازال الأمر ممكنًا!

«وأنت توقن أنّ الحاصل فيهم: هؤلاء الذين كانوا ملء السمع والبصر، لا يبعد كثيراً عن عتبة دارك أنت! وعن أهل بيتك أنت! وعن ولدك أنت»!

لُما

إذا أردت أن تؤثِّر حقاً في الرأي العام، وتستجلب تعاطفاً شعبياً ملموسا، وتحرِّك راكداً بدوائر اهتزازية لا تهدأ=فما عليك سوى أن تتّبع حيلةً إعلاميةً:معمولاً بها، مشهوداً بنجاعتها..!

كلُّ إعلاميٍّ ناجح، وصحافي نجيب، يعمدان لتقوية أركان الكلمة -التي هي سلاحهما، وعماد الحدث-.. بالصورة!

وليست أي صورة; لك أن تسأل أي مصور محترف، يعي أبعاد حربه التي يشنّها لحساب قضيةٍ ما، بمناصرتها، وتجييش القاعدة الشعبية لتبنِّيها، أقول هو يعي تماماً أن عليه تقييم جمهورها المتلقّي، ودراسة ردود أفعاله المبنية على علم يدرس طبائع الجماهير، وسلوكياتها، وردود أفعالها المقيسة على حدثٍ بعينه، بل ويصل الأمر إلى تكوين قاعدة بيانات، ورسم منحنيات يتحدّد فيها:

- الفترة الزمنية التي سيحتضن فيها الجمهور الحدث، ويتفاعل معه، ويتأثر به، ويقولب حياته من خلاله، بما تسمى بقيمة الذروة، ومنها قيمة الاضمحلال.

- اتساع دوائر التأثُّر المكانية، وتحديد مداها انطلاقاً من المركز، تبعاً لثقل الحدث، ووسائل عرضه والتقديم له.

- هل معطيات الحدث، ووسائل سوقه ستكفل نصرةً له، أم أنّه -بكل ثقله- سيكون مجرد حدث عرضي، لا ديمومة لتبنّيه! وهل هو مؤهل لاتخاذ خطوات عملية من قبل الجماهير تفيده أو تدعمه!

إذن: فعرضك لقضيتك، وطرحك لها لتسويقها، لتشغل مركز ثقل على الساحة المعنية بها.. أقول: ليس عملاً اعتباطياً عشوائياً بحال!

نعود لموضوع الصورة، وتخيّل معي التالي:

أنت الآن تشاهد على قناة إخباريةٍ ما: عرضاً لحربٍ دائرة في قطرٍ شقيق، ترى مزق الأشلاء محمّلة في بطاطين، ملقاة على بلاط احدى المستشفيات الميدانية، أكواماً بعضها فوق بعض، لا تكاد عينك تحصي عدد الأكوام، فضلاً عن عدد الجثث المفردة!

سيول الدم على البلاط تكاد تُخفي معالمه، لتتنقل الكاميرا فتعرض الوجوه، وكمية التشوهات الحاصلة، والرقاب المفصولة عن أجسادها، وآثار الحرق، والطعن، والتعذيب.. عيون شاخصة، وجوه غادرتها الحياة، تقف أمامها مذهولاً يملؤك الرعب: أنّ الكوكب الذي عليه تحيا..يحمل على ظهره من استمرأ هذه

الفعال.. هنيهات تقفها، أو فلتقل أياما، ثم تغادرك ذكراها، مع ضغط عصبك البصري على تلافيف دماغك، ليغدو المشهد المكرور مفرغاً من التأثير الطبيعي الحاصل من اشمئزاز، ورعب وشفقة.. وخوف!

لاحظ معي الآن عرضاً مغايرا..

صديقةٌ لي من الشام عزيزة، اعتدت الحديث معها بشكل يومي، عن أحوال البلاد هناك والعباد، وفي مرةٍ من المرات، عرضت علي صورة، ما أن وصلتني عبر صندوق الرسائل.. حتى تبسّمت، وجعلت أملأ عينيّ بصورة الطفل الدمشقي الجميل: آيةٌ في الحسن، والبراءة والنقاء...

بعثت أقول لها، وقلبي يكتب لا يداي: بسم الله ما شاء الله، جعله الله قرة عين والديه، ما أجمله!

فكتبت تقول لي: لقد ذبحه الشبيحة!!

لك أن تتخيل ردة الفعل المصاحبة للخبر، الانتقال الصادم والمفاجئ، من عينين تفيضان بالعذوبة والبراءة، إلى عينين في رأسٍ مفصولٍ عن جسد، بسكينٍ في يد شبيح، له جسد البغال، وعقل مردة الشياطين..

راقبت هذا الاضطراب والاهتزاز الصادم والمفجع!

الانتقال الذي تكاد معه ذرات جسدك تعيد ترتيب نفسها ذاتياً، ويعيد عقلك معه هيكلته، لينقلب كيانك كله، وتتمحور لحظاتك الآتيات حول الحدث: لا تكاد تسلوه، حتى تهزك فيك فجيعتك، ولا تغادرك همتك، حتى تُحدث في واقع حياتك، وقادم أيامك، ما يُذهب عنك ولو بعض الكدر الحاصل جراء صدمتك تلك...!

توصّلت معي الآن للحيلة المعمول بها للتأثير المحكم على المتلقّي، ومحاصرته بها، ليبقى قيد الذهول، والصدمة العارمة التي تأخذ باللب!

سيول الدم، ومزق اللحم، والأرقام، والتشوهات التي تتنكّر لها مردة الشياطين، كلها لم تعد تثقل في ميزان الإنسانية، ولا بمقدار الخبر العاجل الذي تُطبع به على الشريط أسفل الشاشات..

عليك أن تربط المشاهد -حقل التأثير- بالقضية وأصحابها، بالتفاعل الحي معهم، لتسمعه ضحكاتهم، وحكاياهم، تشاهدهم أمام عينيك يروحون ويجيؤون، تعرض صور طفولتهم، تدرجهم في العمر والذكريات، لتسمع وتشم وتلمس..

#فائدة: لاحظ اللوبي الصهيوني خارج البلاد، بالمؤازرة مع الجهاز الإعلامي لهم داخلها.. والحرب على غزة، والبرامج التي كان يعرضها من قلب المستوطنات الإسرائيلية في الأراضي المحتلة، بما يسمى بتلفزيون الواقع، ليعرض حياة أسر إسرائيلية أثناء الحرب، أثناء ممارستهم لحياتهم الطبيعية، وأحاديثهم وسهراتهم وضحكاتهم، ثم ليرصد الخوف والقلق الإنساني، وما رافق الحرب من هروب قسري إلى الملاجئ بشكل يستجلب التعاطف..فالتأييد.

أنت الآن أصبحت مجنّداً حصريّا فاعلا، لقضيةٍ وأصحابها-أقولها على العموم- وأنت توقن أنّ الحاصل فيهم: هؤلاء الذين كانوا ملء السمع والبصر، لا يبعد كثيراً عن عتبة دارك أنت! وعن أهل بيتك أنت! وعن ولدك أنت!

هم لم يعودوا تماثيل شمعية، ملقاة على أرضيةٍ باردة، في ممرٍ مظلم، ينزُّ منهم الدم..

هم بشرٌ مثلك، يجري عليك ما جرى عليهم

فمابالك لو جمعك بأصحاب القضية تلك: دينٌ، وعرقٌ، ونسبٌ، وحدود...!

#أحرق ا لله من أحرقك يا شام

الهاجناه الطيب... الهاجناه القبيح!

«فقط لو يعلمون بأنهم مفضوحون جدا، مفضوحون إلى الحد الذي نستطيع فيه استيعاب قهقهاتهم الماجنة في عقر الفجيعة...على قطرات الدمع...ثم لا نلوم»!!

لُما

تعال الآن، تعال وحدّثني عن تلك اللذة الحريفة التي تستعر فينا، ونحن نرقب ما يصيب الآخر من غوائل الدهر، وسياطه اللاذعة، في صمتٍ يشوبه غير قليل من تشف! تشفٍ عجيب لا نجد له تبريرا ممكنا، مفهوما، أو حتى متاحا، ثم إننا-بعد- لا نُعنى بالبحث!! انظر.. نحن لا نعرف الآخر، لا نعرفه يقينا، ولكننا نعتنق عند المصاب شريعة الأولين؛ حيث يسقط كفل واحدنا من خطايا، عند أول مسيحٍ مصلوب!

أو حدثني عن تنهيدة الخلاص تلك، التي تزفرها أعماقنا في غيبة مقص الرقيب الرابض على فوهة ملامحنا، ليحجمها عند فورة التلذذ عن انفراج! فنتدارك أنفسنا، ونتحايل على كل الرقباء بإسبال رداء دموع مهدارة، نسكبها مع الكثير من العويل ومزاعم المشاركة، وهناك في العمق الفسيح، نلهج بالشكر أنّ طاعون «بو« الأحمر اكتفى بكل الخراف الشاردة خارج الحصن، فأعمل فيها معاوله، ثم أدركه التعب، فاتخذ ركنا قصيا، مسندا مذرأته على جدر الحصن المنيع، ونام وقد نسينا.. تماما!!

تلك اللذة الخفية، المريعة، المريبة، والنابضة فينا جدا، تعمل على استباحة كل دعاوى إنسانيتنا، على مقارعتها بكل ثبات، مشهرة كل الأدلة والبراهين الممكنة، فنسارع إلى الكفر بها، وهي فينا، نكفر بها ونقصيها في جب مخازينا العميق، حيث يرقد كل ما يناقض صورتنا التي نصر على نقشها بأيدينا المرتجة، على محيانا المرتجل، ونكتم عويل نصيبنا من سقر.. حيث نحن الحقيقيون!!

خارج حلباتٍ مترامية، تحدّنا أو تحاذي أنوفنا، يهيج كل عصب فينا، وتدور أعيننا في المحاجر، ونحن نحصي الأهداف؛ نطالب بالمتعة القصوى، بالإيغال الأقصى، بكل عرق فينا! ومع كل دفقة دماء تصيب وجوهنا..لا تخصنا، مع كل شلوٍ تحت ألف ركام، حيث لا نرقد نحن.. نجأر أن تفرغ جعبة الرامي، او يصيبه الملال والرهق، فيترنا ليومٍ آخر، قد لا يجيء!

بل إننا لمن الدناءة بمكان حتى أننا نضبط أنفسنا متلبسين بفعل المراقبة الفجة، لرحىً تدور في بيت الجار، فإن تهاون الفريقان أو تهادنا، تمعرت وجوهنا وكلنا اللعنات في سرنا، على كل من فوّت علينا فرصة التصالح مع الباطن ولو للحظات مسروقة من عمر الزيف!!

تلك الدموع، دائما تلك الدموع: الرسل الخؤون، الفارة من ملكوت الضبط قسرا، كأننا باستجلابها نستقدم عبيدا طاعنين، ليحرثوا لنا أرضا عاقرا، ثم إننا نسفح لمقدم وليدٍ محتمل كل القرابين! نذرفها بكل عرقٍ فينا؛ تقدمات لآلهة عمياء، تحكم بكل نزق باستحقاقنا، وتسقط عنا التهم المقدمة في حقنا من محكمة الإنسان، التي نقيمها ونستدعي لها الشهود بكل صلف، لننال لقبا يحفظ لنا بقايا وجود! هي ذاتها الدموع التي تشابه في قبحها فجاجة كل الأصوات الزاعقة خارج الحلبات تطالب بحفنات الدم اللازمة لسهرة ماتعة نقضيها متصالحين!

هذا البكّاء الذي يشيح بوجهه عن مشاهد الوجع، أما علم بأنه أكثرنا قسوة وتواصلا مع مكامن قبحه! تلك العيون المنتفخة، والنهنهات المتحشرجة..ألا يعلم مستجلبها أنها أسلط على المبتلى من سيف التجاهل! تلك الحساسية المفرطة، والتداعي الشائه، وكل حيل المشاركة، وتكتيكات التربيت، ألا يعلمون أنها أكثر فجاجة من الصمت!! فقط لو يعلمون بأنهم مفضوحون جدا، مفضوحون إلى الحد الذي نستطيع فيه استيعاب قهقهاتهم الماجنة في عقر الفجيعة...على قطرات الدمع...ثم لا نلوم!!

هوليوود التي نعيش.. في أقبية الأوطان!

«الثوراتُ العربية علمتني أن (الغرقد) ليس شجراً فقط.. ربما هو كائنات بشرية استنبتها اليهودُ في أرحام دَنِسَة، ثم نَصَّبُوهَا حُكاماً عَرباً!!»

د. علي فريد (كاتب مصري)

هوليوود التي نعيش..في أقبية الأوطان!

لا أعلم إن كنتم قد شاهدتم فيلم «room»، ولكن إن لم تفعلوا، فالأمر ببالغ البساطة يعرض لقصة فتاة تم اختطافها، وحجزها في غرفة نافذتها الوحيدة في سقفها، لتنجب طفلا، يقضي من حياته في تلك الغرفة خمس سنوات كاملة، لا يعرف أو يفقه عن دنياه بأسرها، إلا حدود تلك الغرفة، محدودة المساحة جدا. ثم يستمر العرض ليرينا كيف كيّفت الأم ابنها مع عالمه المصغر المتمثل في حدوده الضيقة، لتصنع في عقله الصغير،المحدود في نظرها، والمستعد بطاقته الكلية تشرب الحقائق من مصدرها الأوحد، حاولت ترسيخ قناعة وإيمان مطلق، بأنها -الغرفة- هي حقا العالم، وحاولت أن تختزل معه المسميات التي ندركها في عالمنا بمسميات الغرفة الضيقة، محدودة الأثاث، وبالتالي العناصر: بمعنى لا مخلوقات إلاهما، النافذة هي مصدر الضوء، الليل والنهار مرتبطان بغياب الضوء أو حضوره، نلاحظ أيضا سعيها المتواصل للاهتمام به على طريقتها، كأي طفل من الواجب الاهتمام به في عالمها الحقيقي، وضمن إمكانيات العالم المصغر ذاك، في لعبة إيجاد البدائل تلك...هنا نرى أنّ الطفل، والذي نعرف أن أخيلته لا تحدها الحقائق، وإن كانت حادة باترة، نعرف أنه سعى لبناء درع الحماية النفسي خاصته، وهو نوع من الدروع يفوق الإدراك الحسي، أدرك هو بفطرته أنه ملجؤه في عالم العناصر التي لا يعلم بحيلة اختزالها تلك، لنراه يحاول التعامل مع الجمادات بألفة بالغة، وحميمية تصل إلى مناداتها، والقاء تحيتي الصباح والمساء عليها: صباح الخير أيها الحوض، صباح الخير أيها السرير: يبدأ يومه، لنرى الأم تتفاعل مع حيلته تلك، وتطمئن لها، وتدعمها فيه...حتى يلوح الأمل! الأمل في الخلاص يضغط على الأم بكل قوته، حتى أنه يهدد سلامها الذي بنته غصبا، مع واقع كئيب محجّم، لطفلها في الأساس، تخيل معي أنها صارت تحاول هدم كل حجر بنته في اعتقاد الطفل: الصفحة البيضاء التي ملأتها بخطوطها المتخيلة، تعيد عكس كل تلك التأثيرات التي عكفت عليها عمره كله، لتجتثها، وتزرع مكانها الحق الذي هو العالم الأرحب، في الواقع لن يطول بالطفل الصراع ليدرك أن الاستبدال صار واجبا، وأن الحوض لا يملك اسما، وأن الشمس ليست مجرد كوة في سقف يعلو رأسه: إنها ميزة الأطفال تلك التي تمنحهم من المرونة في التقبل ما لا نحلم في امتلاك معشارها...حسنا، لن نعرض لمغامرة الخلاص، فتكيف الطفل الحثيث والمتسارع مع عالمنا، كأنه يقول له: أنت الذي كنت أتخيلك، وبكامل مفرداتك...ولكن لنتأمل فقط مشهد النهاية، عندما يعود الطفل ليتعرف على الغرفة التي كانت كونه، يمر بأصابعه على عناصرها، ثم يودعها اسما اسما، ثم يدير ظهره لها بأكملها: بضيقها، ورحابتها، وكل مختزل حلّ مكان الأصل يوما...

هذا كله جميل، ومثير لكل تلك الطاقات الكامنة فينا، والتي تدفعنا للبكاء على مشاهد، نتفاعل معها، كأنها نوع من تقديم القرابين لحياة لا نريدها ولا نتوقع أن نعيشها تارة، أو كنوع من المقايضة وسداد الدين: تأثري مقابل قضيتك... تارة أخرى!

في الواقع، ذلك السيناريو المؤثر جدا، والجالب لتعاطفنا اللامحدود مع براءة طفل غرير، وشجاع في آن، وأم باسلة، لا يعدو أن يكون فصلا ساذجا أبلها متكلفا لقصة أخرى، حرمت من كل تلك الأضواء، ومن تلك النهاية بالطبع، بل ومن كل ذلك الحشو الزخرفي المرفه لحياة الغرفة!

مقال قديم، عرض فيه (ميشيل كيلو)([4]) لقصته مع طفل سوري ولد،، ولربما قضى نحبه، في سجون طاغية الشام، طبعا عند هذه النقطة سيتحول المسار من تعاطف وتأثر إلى حلقة رعب متكاملة...الشاهد أن السجان- وفي نوبة شفقة عجائبية- استدعى الكاتب، قاده في الممرات الكئيبة، وأدخله في غرفة بالغة الإعتام، استبان فيها جسدي أم وطفلها، منكفئين على جسدي بعضيهما، كأن كل منهما رهان الآخر على أعجوبة الأنفاس المتبقية.... ثم، أمره أن يروي للطفل قصة!! هو يصف-أو لم يفعل!- النظرة الخاوية جدا

في عيني الطفل، ليست نظرة الآيس، لا، فنحن لا نيأس إلا بعد أن كنا قد ذقنا طعم الأمل...في الواقع، أنت تستطيع ترجمة إحساس كلب، وتعرف احتياجاته من عينيه، لكن مع الصغير! كيف لك أن تتواصل مع صغير لا يدرك كنه الأشياء قاطبة، لا يعرف معنى وجوده، ولا حدود إدراكه..ليبدأ في تجاوزها، مجرد كائن، ما من مهمة للروح التي نفخت فيه، إلا أن تنال قسطها من أمد،، ثم تزول..غبار، رغم أن للغبار ذرات ومعنى وفلسفة وجود...! يقول أنه تطلع في عينيه الخاويتين تماما، اللتان لا تملكان من الذاكرة بالقدر الكافي لتعطي انفعالا ما: لا ترقب، لا خوف، لا أمل، فقط الخواء المطلق..بدأ -وبغصة صارت طابعا- كان هنالك عصفور...ليوقفه الصغير: عصفور؟!! هنا أدرك كيلو حجم الطامة....!

ولنكن أكثر وضوحا وواقعية نقول، بأن ذلك المثال-الإنسان- الذي تحدى الله به ملائكته، صار مدنسا جدا، صار أبعد ما يكون عن الخليفة، صار يبعدنا عن مراد الله فينا بقدر دنسه، وبأبشع الصور الممكنة واللاممكنة، وليزداد الأمر وضوحا...نحن لا نتكلم عن الصغير هنا...على الإطلاق، إن التدنيس الذي طال الصغير لا يعدو أن يكون مثالا تافها معدوم الذكر أمام تدنيس..لا، ليست بلاد الحرب وحدها، ولا تلك البلاد الاي ابتليت بجلادين سجدت لهم الأبالسة... لا بالطبع، نحن نتحدث هنا عن تدنيس أمة بأكملها.... بل وإننا وبكامل الكفاءة، نزيد في إتيان الرجس وامتهانه والتسريل به حتى: بل ولربما كان من وقعت عليه مظاهره أكثر حظا ممن تغاضى وسكت، والمهزلة أن ذلك كله لم يكفنا أبدا، حتى نرتضي تجاهل كل المنطق الزاعق فينا للخلاص، ليصير التكبيل بمزيد رجس لهم سبيلا: من أول المفاوض المتمترس خلف حروفه، إلى المتاجر بدمه على غير بينة!!!

والوعد قدس..

«هم في القدس، والقدس فيّ»

لما

- أترينها يا مريم! يا الله كم هي بعيدة!

- ليس أبعد منها إلا من أبعدته.

- أوتظنّينها أبعدتنا يا مريم!

- أوتبعدُ الأمُّ الرؤوم بنيها، وإن ضلُّوا، وإن أقصتهمُ الأنواء!

- لا وربي، لا تقصيهم أبدا، بل ترمقهم بعين العطف منها، وتسوق لقرباهم الأسباب.

- قصيَّةٌ عصيَّةٌ على الأباعد هي، ولكنّها لأهلها تنتقي وتختار، ومهرُ قرباها دمٌ وحناء!

-إيه وحقِّ الله، ليتني أشهد يوماً تقرِّبني فيه.

- يوم تقول بملء فيها: هذا ابني، من صلبي، أوقد سراجي دماً، فحُقَّت له القربى.

-وعدُ الحق.

- والحقُّ لا يخلفُ الميعاد!

مثالية جوفاء

ليس أعدى للأمّة من يهود: لن نعيها حتى يصدق علينا قولُ «أُمّة».

لما

صدّقني: ليس أكثر شعوبية ممن يضطهد الفكر الشعوبي، والتفرقة على أساس عرقي! -أقص الأسس المذهبية والطائفية لو سمحت، نعم: لسنا بمعرضها الآن- هؤلاء بالذات هم بذرة الشقاق، وإن ادعوا أنهم

المصلحون، النابذون لكل مقتضيات الفرقة المفروضة علينا قهرا، وغالبا ستجدهم يتسورون الدين لمقتضى غايتهم من المثالية المزعومة، هؤلاء ستجدهم ينعقون في كل ساح عن أسنان المشط، وتجليات بلال وعمر، ونتن الفتنة، بيد أنك إن مسست طرف ثوب لهم، يسبغ أوطانهم المخصوصة، انقلبوا عليك انقلاب عبد العزى الكامن بكل صلفه فيهم! جرّب، حاول أن تفعل، اقترب من دائرة التأليه التي يحيطون بها ذواتهم، احتك بهم بالقدر الذي تستطيع معه معاينة ما يصيبك من مستصغر شرر، ثم استعد للحريق.. وحتى العظم! أن تؤتى من مأمنك=ما أشأم ذلك! أن تقف على بعد فتيل ممن ظننتهم رسل الله الجدد!

الحدود تراب: لم أسمع في حياتي أكبر وأتقن من أكذوبة كهذه، الأكذوبة التي تمددت حتى صارت وهما، وصار للوهم أبعاد وملامح؛ نعرات وزهوات يؤصلها فينا الطين، وشريط حدود!..بل ونجرؤ على الصدح بوهمنا في كل محفل، وندق على صدورنا= أننا الفداء لفكرة الأمة الواحدة، ثم إذا دعا الداعي، نكصنا على أعقابنا؛ حمر مستنفرة: كل في واديه يتيه، يعتصم برفاق القطيع!

من يستطيع اقناعي الآن بأنه يرى في الغريب الذي يفصله عنه شريط حدودي أخا، له ما للأخ من حقوق! من يستطيع اقناعي الآن بأنه في العمق هناك لا يتبنى نظرية تفوقه وقومه على من خلاهم! حتى بالسخرية المفرطة من الذات، هو يلكزنا من طرف خفي: بأن ترهاته وقومه، أحق بأن تكون شغلنا الشاغل، مخلفين وراءنا كل ما

يخصنا ويؤطر صفاتنا، التي تحدد سلوكنا، وردود أفعالنا، بل إن الأمر يتعدى صرف الانتباه عن سفاسفنا للانشغال بالأهم مما يخصه.. إلى ظاهرة فريدة من تهكم العظيم على ذاته، وتندره على سقطاته، إيذانا بتفرده، ودعوة خفية لكف أذانا عنه، وقد كالها هو بنفسه الوسع!

ومع ذلك؛ فإن منا من يدفع ضريبة مضاعفة لعملقة قضيته، وتنامي أثرها على المحيط، فتصير كخيل صالت وجالت، وجاوزت حدها في مراتع الغير، وتركت من أثرها على كل حجر، فلما عجزت ونالتها الطعان، وقف الكل بين متفرج شامت، ومسلط لسانه، وآخرون يضربون على حالها كفا بكف: تأسفا وتحسرا، أليست هذه حالة من غبن الآخر، وانتهاك مشروعه، وضمنية الشفقة عليه، فقط لأنه صار مشاعا! علينا فقط أن نتخيل بعد أن كان ملء السمع والبصر، كيف تأتيه الألسن من كل ناحية: تنتقص، وتسفّه، وتتخذه هزوا، في حين أن كل منا في عقر داره، كفيل بشقلبة هؤلاء على ظهورهم ضحكا علينا، على كل منحى في حيواتنا، في دولنا المشتتة الكالحة بالغة التشرذم! مالنا لا ندرك أننا كلنا في أوطاننا مجموعة من أحجار على رقعة، وعلى الملك أن يموت في كل مرة بالكيفية التي يرتئيها ولي الأمر! كيفيات، ورقع، وأولياء أمور، حيث كلنا مهرجون بأنوف حمراء، لا فضل لأنف على الآخر!

والأنكى أنك تلحظ ظاهرة الحقد التاريخي بين منظومة دول جوار بعينها، كلنا نعرفها، ونعرف تاريخ صراعها الظاهر، بين حروب باردة، وانتقاص مبطن، يظهر في أبشع صوره عند أول شرر، بين طفلين صغيرين غريرين، كحصيلة نكدة متوقعة! دول جوار يجمعها بعد جغرافي واحد، وتاريخ أشبه بالمشترك، ثم إنّ كلًّا منهم يصر على دونية المجاور، قبل أن يُعنى بتأكيد تفوقه هو عليه! خذ مثالا عندك: ستجد أبناء وطن بعينه يتناولون قضية وطن آخر، وطن بعيد، في مشرق أو مغرب، يتناولون قضاياه بحنكة العارف ببواطن الأمور بالسخرية واللمز، بينما يجلس ابن الوطن المغتال بينهم لا ينبس ببنت شفة، فإذا تدخل واحد من أبناء الحقد التاريخي، مدليا بدلوه، هاج صاحبنا وماج، وأتى على الأخضر واليابس، كأنما ما صيّر الذي سبق انتهاكا، إلا بعد ولوغ غريمه فيه... قيوح وصديد!

ماذا، هل تتوقع مني الإتيان على ذكر الضوء في آخر النفق! حقا!! اسمح لي إذن: إن في طلبك عنجهية لا تطاق، والله قد رسم الطريق. من قال باني أقدم الحلول هاهنا! كل ما في الأمر أنه كان لزاما أن نواجه أنفسنا بكم الإزدواجية، والبؤس الذي فينا...نحن نكذب أيها السادة: نكذب عندما نقول بأننا إخوة، نكذب عندما ندعي أننا أمة، نكذب عندما ندعي بأننا نحب الله، ورسوله، والمؤمنين! بؤساء، هذا ما نحن عليه،

بؤساء إلى الحد الذي نجد معه كل ما يصيبنا في عيالنا وقوتنا وأوطاننا، أشبه بالريح الراكدة الزاهدة في تسيير الحال.. قبل أن تهب العاصفة!

أخوة اللجوء والخيمة

«كلّما أُضيفت الى أهوال سوريا أهوال، تذكّرت ذلك التساؤل الاستنكاري الذي ردّده أبو فرات، العقيد يوسف الجادر، بعد معركة مدرسة المشاة في حلب: «بتتمسّك بالكرسي يا ابن الحرام... بتتمسّك بالكرسي؟! ليش؟»...

ليس ما يجري منذ ذلك التساؤل وحتى اليوم أكثر تعقيداً من الجواب المباشر عنه».

زياد ماجد

كنت أقوم ببحثٍ يتعلَّقُ بعملي عن مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في الدول الثلاث المضيفة، والتي تنشط فيها منظمة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين. اتجهت إلى محرك البحث الشهير، طبعت العبارة التالية: أسماء مخيمات اللاجئين.. ولم أكمل، كعادة المحرك في تقديم المقترحات الأكثر تداولاً، وتمشِّياً مع الكلمات الدلالية، قدم هو اقتراحه وأكملها: السوريين!

يالله، غصاتٌ وحشرجات روح..

نحن كفلسطينيين نفهم تماماً ما قدِّر لنا، ونعرف أنّ أرضنا أعدت لاستقبال أحداث النهاية، وملحمتها الكبرى، فاستقبال الخليفة المنتظر. نحن نعرف هذا، بل وربينا عليه، فلا ينتاب الفاهم منا العجب مما يدور على أرضنا من حروب متتالية، ونزفٍ لا يهدأ، وحصارٍ أعجف، وتقدماتٍ لا تنتهي..

هذا كله مفهومٌ معلوم، بل وإنه لأجلُّ ضريبةٍ نقدمها لكوننا أمناء الأرض المباركة الذين اصطفاهم الله، فأوجدهم فيها، فنتبع التقدمات بالحمد والشكر أن جعل فتنتنا في بذل الدم، والترويع، والتهجير، والتشريد، والحصار، والاعتقال، والتعذيب عدد عقودٍ من الزمان، تمتد بنا إلى يوم الدين.. كله يهون ولا تكون فتنتنا في الدين!

وإنك اليوم لتقف حائراً بين صور نكبتينا في سوريا وفلسطين، أيهما هنا، وأيهما هناك..! تتشابه الوجوه الدامية، والنظرات التي تلعن كل مخذِّل، وأصابع الاتهام الزاحفة من تحت الركام! تتوحد الأصوات بهتافٍ جامع: مالنا غيرك يا الله، ليتمازج ما قسّم سايكس وبيكو في شامٍ واحدةٍ كبرى، تمتد من الأردن إلى سوريا الكبرى.. وفلسطين!

سوريا الشام اليوم، تدفع ثمن الرابط الذي يوثق عراها مع فلسطين: حبل الله من باب اللُّد إلى المنارة البيضاء، تقدمه راضية مرضية هي الأخرى، من دم أولادها وأمنهم ووجودهم كله تدفعه، فبادرت إلى نفث خبثها، ودم حجامتها الفاسد: عالم دين، وفصيل، ومقاتلين، ليجتبي الله الخلَّص من عباده المؤمنين، على أرض الطهر لتستقبل آيات الخلاص تباعا، يحفُّها جيشٌ عبر النهر.. إلى التمكين!

#طوبى للشام

#الشامُ عروسُ الدنيا

#وخيرُ منازلِ المسلمين

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

أكتافٌ للبنادق والحبيبة...

وأنا ابنةُ الأرض...

بنت كنعان

«والرُّجولة مصدرُ مدحٍ في ذاته، إذا ما أُلحِق بالأُنثى الأُنثى صيَّرها كائناً متفرداً..

...في بلدي يصدرُ النّساء، فتوردُ الرّجال».

لمُا

إنَّك إذا ما حللتَ وطني، وتسوَّحت في ربوعِه؛ مخالطاً أبناءَه؛ فإنَّ أولَ ما يشدهُك، هو حالةُ التبجيلِ الممزوجةُ بشيء من تقديسٍ أرضيٍّ - رُبَّما- لكلِّ امرأة! أنتَ لن تجدَ امرأةً تنوءُ بحملها دون أن يُهرع إليها من يُهرِعُ ولسانُ حاله: عنكِ أُختي.

في المواصلاتِ العامة، تجدُ الرجالَ يُفسحون المكانَ الواسعَ المريح بقرب النافذة للنّساء، ولن تجدَ أبداً رجلاً مجاوراً امرأة، إلّا وبينهما حيِّزا آمنا، وإن كان هو أفسدُ الرّجال، وهي أفسد النساء.

ولن تجدَ أبداً مزاحمةً تُحشرُ فيها النّساء، إلّا وقد تباعدَ رجالُها تلقائياً يُفسِحون. في طوابيرِ الانتظار على سلعةٍ ما، تجدُ البائعَ يُدني النّساء، ويَقضي حوائجهنّ أولًا، من دون الرّجال، ولو كانت آخرَ الواصلين، ودون أيِّ تذمُّرٍ من إخوتها الرِّجال، بل إنّك لتجدهم يحثونهنّ على تجاوزهم! في بلدي يصدرُ النّساء، فتوردُ الرّجال. سمِّه حاجزاً نفسيّاً، أو موروثاً خاصاً بخصوصيةِ بلادنا، أو ما بدا لكَ أن تسميه، ولكنه مشهودٌ منظورٌ معلومٌ بحال.

ليست المدينةَ الفاضلة، ولكنّ أيَّ تجاوزٍ معروفٌ مآلُه بحور دمٍ وتهجير = ردائعَ لا تنقضي إلّا على مضض، وبعد أن يدفعَ ثمنَ رعونةٍ غيرَ محسوبةِ العواقب الرّجالُ من دمائهم، دونهنّ.

المثيرُ أنّ المانعَ من تجاوزٍ، أكثر تعقيداً من ردائعَ ومحاذير ما بعده؛ بل يتجاوزُه إلى طبيعةٍ وفطرةٍ مستقاةٍ من خصوصيةِ الأرض. المرأةُ الفلسطينية إذا ما مدحتها، وأفردتها عن قريناتها الممدوحات أصلاً في ذاتهنّ؛ نعتها ب (أُخت رجال). والرُّجولة مصدرُ مدحٍ في ذاته، إذا ما أُلحِق بالأُنثى صيَّرها كائناً متفرداً. وكأنّ هالةَ أُنوثتها الطاغية، وقد تجللت بكِبَرِ الرجال، وأرديةِ زهوهم وفخارهم = مازتهنّ عن سائر نساء الأرض. ممتحناتٌ بدم، يرسم مسيرتهنّ بخطٍ ثابتٍ أصيل، عرَّكتهنّ النّوائبُ حظُّهنّ من مجد، وصاغتهنَّ شذراتٍ منزوعاتِ الخبث.

أنت، وبدون أدنى جهد، تعرفهنّ بسيماهِهُنّ أنّى كنّ، ثوريّاتٌ ماجدات، ذواتَ كبرياء = يُسمى باسمهنّ، ويُعرفُ بهنّ.

في وطني، وإن كان قانونُه الأرضي ذكوريّاً صِرفا، ولكنّ المرأةَ فيه مصونةٌ مهيبةُ الرُّكن؛ فإن ظُلِمت، فإنّها تقفُ دون حقِّها طوداً، مقاتلةً شرسة، وإن أحبت، صيَّرت محبوبها؛ معبودها، وأسمته سليمان وكانت له بلقيس!!

المرأةُ في وطني هي ذاتها... فلسطين.

عيّاشون كثر

«عيّاش....يا أحلى زمن»

وكان أنَّني كنتُ طوالَ عمري أُعدُّ للتخرجِ في كلية الطبِّ - على رغبةٍ منِّي- رغم طفولةٍ تعجُّ بالأرقامِ والزوايا والتُّروس، حتى مراتعي كانت حكراً على نَقابةِ المهندسين، ناديهم، ورش عملهم واجتماعاتهم، أو بيوتاتِهم،

فعددتُ انضوائي تحت ذات اللواء، الذي انضوى تحته جلُّ أفرادِ العائلة = أمراً مفروغاً منه، كأنَّه قد فُصِّلَ تفصيلاً دقيقاً مُحكماً ليناسبني أنا وحدي، فما وجدت الغضاضةَ لذلك، بل وراقني، وسلَّمتُ له راغبة. إلى أن مرضت جدَّتي لأبي مرضها الأخير، ولأجلها تعلَّم والدي كيفية حقن الإبر الطبيَّة، وبرمجَ حياتَه حياتَنا، على مواعيد أدويتها وزياراتها الدَّورية للطبيب، وبطبيعة الحال؛ الابنةُ البكر تُلاحق أباها، وترقبُ بتوجسٍ يخالطه الشغف طريقةَ الحقن والتضميد وخلافه من وسائل العناية بالمريض، فعلَّمني - حفظه الله - بفخرٍ ورضا طريقةَ الحقن، مباهٍ أمام جدَّتي بسرعة استيعابي، وأنا في الابتدائية لم أزل، حتى غدت مهمتي أنا متابعةُ الجدَّة، والمداومة على إعطائها الجرعات المطلوبة، وهي لا تفتأُ تصرِّحُ للوالد: ما أحنَّ يدها!!

حسناً، أفقاً جديداً استدعى منِّي اطِّلاعاً، فتغيير قِبلة، فإعداد متكامل للقِبلةِ الجديدة، بمباركة العائلة ورضاها على المختلِف القادم. وبفضل الله ومنَّته؛ أحرزتُ في الثانوية العامة النسبةَ المطلوبة المؤهلة للكلية العتيدة، في جامعة عريقة، في مدينة القدس الشريف، وأتاني خطاب القبول، فأُعدَّت الأوراق، ودُفعت الرسوم، والكلُّ يملؤه الزهو بطبيبة العائلة الهندسية. أذكرُ أنَّني كنتُ أداومُ في الطابق السفلي، حيث مكتبة الوالدة الخاصة، فأتفحَّص كتبَها، وأنتقي -عن سبق إصرار- كتابَ الأمراض الجلدية، فأفتح صفحاته بصورِّه المُلحقة على وجل، أمرِّنُ عيني على فظيعَ التشوهات وأشنعَها، أحاولُ ترويض مخاوفي والتغلب عليها، بل وأذكر جيداً مرتي الأولى مع الكتاب، وفي أولِ صفحة، أن قذفتُ به من يدي وطوَّحتُ به إلى أقرب جدارٍ فزِعة! واستمررتُ على تدريباتي هذه فترةً - بلا فائدة - حتى أدركتني أمِّي بأن خوفي ورهبتي طبيعيَّان، يعقبهما تعوُّد بإذن الله، وجعلت تضربُ الأمثال بفلانة الطبيبة الرقيقة، وفلانة الطبيبة الأديبة، وفلانة، وفلانة.. المهم، أنَّني، وبعد اقتناعٍ جزئيٍّ - وقد حان اليوم السابق ليوم سفري، أعددتُ وتجهزت، وأقبلَ بعيدُ العائلة لتوديعي، والتلفازُ على محطَّةٍ إخباريَّةٍ يدور، وإذ يأتينا النبأُ الأروع، والأبهى، والأجمل، النبأُ الذي لن أنسى مذاقَ حلاوتِه في حياتي قطُّ = نبأُ عمليات الثأر المقدَّس، يقودها المهندس الحيُّ الشهيد: «يحيى عيَّاش«. أعقب العمليات المُباركة- والتي كان تعداد قتلاها من الصهاينة مائة أو يزيد- إغلاقَ المعابر، فلا طلبة، ولا مرضى، ولا خيال فلسطيني؛ استطاع العبور. الخبر المفرح؛ أنَّ كلَّ عمليةٍ له -رحمه الله- يعقبُها صوانيَ حلوياتٍ تدور، وفرحةً لا زال أثرُها عامراً في النفوس حتى الآن، وبالنسبة لي: فإلى كلية الهندسة..دُر.

اللهم-عياشيُّون-كُثُر

يا ليل خلّي الأسير ت يكمل نواحو

يا ليل خلّي الأسير ت يكمل نواحو

رايح يفيق الفجر ويرفرف جناحو

يتمرجح المشنوق من هبة رياحو

وعيون في الزنازين بالسر ماباحوا

يا ليل وقّف أفضّي كل حسراتي

يمكن نسيت مين أنا ونسيت آهاتي

يا حيف كيف انقضت بإيدك ساعاتي

شمل الحبايب ضاع واتكسروا قداحو

تظن دمعي خوف دمعي ع أوطاني

ع كمشة زغاليل بالبيت جوعاني

مين رح يطعمها من بعدي،

وإخواني اثنين قبلي ء المشنقة راحو

وأم أولادي تقضي انهارها

ويلها عليَّ أو ويلها على صغارها

يا ريت خليت في أيدها سوراها

يوم دعاني الحرب تـ اشتري سلاحو

ظنيت النا ملوك تمشي وراها رجال

يخسا الملوك إن كانوا هيك آنذال

والله تيجانهم ما بيصلحوا لنا نعال

إحنا اللي نحمي الوطن ونضمد جراحو

الشهيد الأسير عوض النابلسي....

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

جادك الغيث

«أذكر أنّ فارسِ أحلاميَّ الأول كان خالد، وأذكرُ زغردةَ قلبي لذكرِ عمر، ودقاته الحانيات على أبي بكر، وبكائي ولوعتي على عثمان، رضي الله عنهم أجمعين وأرضاهم»

لمًا

كانت أيّاماً ليست كالأيام!! وكأنّ ما حُزتُه من سعادةٍ فيها - ولله الفضلُ والمنّة - يكفيني مخزوناً، مغدِقاً على أيّامي اللّاحقات خيرا... ويزيد. كيف لا وقد حباني الإلهُ بوالدين أورعين، أروعين، أجودين، أكرمين، كلٌّ منهما قطبُ عائلتِه ودرّتُها النفيسة. وكنتُ وإخوتي رسالتَهما على الأرض، بناءً، وإعدادا، وتجهيزاً لجيلٍ منتجٍ، يحملُ همّا، وفكراً، وقضيّة. وبما أنني الابنةُ البكر، فقد حُزتُ الحظوةَ بطبيعة الحال، خاصةً أنني كنتُ وحيدتَهما لفترة، فرافقت والدي حبيبي في تنقلاتِه وسفراتِه، وحتى اجتماعاته في النّقابة. كان يتعهدني - حفظه الله ورعاه - كغرسٍ للآخرة، فالصّلاةُ تعلَّمتها على يديه بمفهوم قرّة العين، وكيمياءَ أركانٍ، وحياةً غيرَ الحياة. وعمل- أطالَ الله في عمرِه - على برمجةِ عقلي برمجةً رياضيّةً ممنهجة، حتى أصبحت الأرقام عندي ذوات وزنٍ ووجودٍ مادي ومنطقي، أُدركُ ثقلَها بوعي وحسنِ تقدير. أمّا تعلُّمَ اللّغات -والتى كانت بهجةَ نفسي وتسليتي الأثيرة- فقد كان يستقدمُ لي دوريّاتٍ من القدس، وخارج البلاد، ويَحُثّني على دراستِها، وتسجيلِ جديدَ كلماتٍ فيها. وقد كانت أسعدَ أوقاتي معهما نتابعُ أحداثَ مسلسلاتٍ عائلية شهيرةٍ في وقتِها، وأنا أمضي الوقت بالسؤال عن معاني الكلمات التى لا أعرف، وأرقب دعوته لملاحظة طريقة النُّطق السليمة لها.

وكنتُ سرَّ أمي ورفيقتِها، وابنةَ قلبِها، على يديها تعلمتُ أن أدرجَ بالكلمات درجاً، فلا أكبو ولا أتلعثم، كانت طريقتَها في التسليةِ والتسرية؛ سردَ سِيرِ صحابة رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلم، حتى أصبح لكل اسمٍ عندي صورةً وهيئةً، أحلم بها وأعيشها وأتمثّلُها، أذكر أنّ فارسِ أحلاميَّ الأول كان خالد، وأذكرُ زغردةَ قلبي لذكرِ عمر، ودقاته الحانيات لأبي بكر، وبكائي ولوعتي على عثمان، رضي الله عنهم أجمعين وأرضاهم. قدرتَها عجائبية على التصوير وإيصال المفاهيمَ والدروسَ والعبر، وان لم يخلُ الأمرَ من نزاعٍ وخصام، خاصةً إذا ما تنازعنا كتاباً أيُنا تقرأه أولا، أو إذا ما استيقظتُ ولم أجد كتابي بجواري، ووجدتُه عندها: أسيراً تحت وسادتِها. أذكرُ أنني - وفي الوقت الذي كانت فيه قريناتي يتعثَّرن بتهجئة الكلمات- كنت قد أتممت قراءة كليلة ودمنة مثلاً، وفي الوقت الذي كانت مأساتَهُنّ الكبرى وضع كلمةٍ ما في جملة، كنت أشغلُ وقتي في التحضير لمطارحاتٍ شعريَّةٍ، وقراءة دانتي والمنفلوطي.

وأذكرُ أنهنّ عندما كُنّ غارقات حتى آذانهنّ في حبِّ مطربٍ ما، كنتُ لا أنام إلّا على صوتِ أبي عبد الملك، وأبي عليّ وسواهما: قصائدَ منشدة في غاية الإحكام. وعندما كان همهنّ متابعة أحداث مسلسل «ريدج« أو لا أدري ماذا، كنتُ أتابعُ قضايا القفقاز، والطاجيك وسنّة العراق.. ماذا كانت تعني لهنّ الشيشان، تركستان، نمور التاميل، الخمير الحمر، مولوي أرسلان، مالكوم إكس، وماو تسي تونغ، بحيرة البجع، كسّارة البندق، والدانوب الأزرق، الكنابالزم، والتليباثي، و.. و... و....!!!!! غريبة؟!

أي نعم، أنا كذلك؛ روحٌ غريبة ومتوحدة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

جنة

«ضحكوا علينا اليهود!!

الجمال الذي تركناه خلفنا يعدل جمال الكون، ويفيض!»

لمُا

زميلتي في العمل عادت من رحلةٍ لها إلى الأردن، عبرت فيها أراضينا المحتلة انطلاقاً من غزة، وصولاً إلى معبر الكرامة، الذي هو جسر الملك حسين..

هي منذ عودتها وحتى الآن ما فتئت تردد:ضحكوا علينا اليهود، ضحكوا علينا اليهود!!

تصف ما مرت به من أراضينا وتقول: لم أستطع إغلاق فمي من ذهول، الجمال الذي تركناه خلفنا يعدل جمال الكون، ويفيض!

جمالٌ مشرَّبٌ بلوعة الفقد والخسارة، بحرقة التسليم والقهر، وبسكرة الوجد والوله!

جمالٌ مترعٌ بالجلال، الجلال المفعم بالقداسة، والذي تخشى معه إطلاق سراح أنفاسك: مهابة تحريك ساكن، في لوحةِ العطاء الرباني!

ويكأنّك تختلس النظر إلى الجنة، تشتم ريحها، وتلوِّحُ لك ألوانها، وتناديك فتونها، فيرتد إليك الوجع مشفوعاً بالحسرة، أن يفصل بينك وبينها: خاكيٌّ ومقاطعة..!

المريع: أن ليس في الوصف شبهة المبالغة مطلقا، وكأنّ الله أثخن فينا قهرنا وحسرتنا، بأن صاغها فردوساً، تبدّلناه بثمرة النكوص، التي ما وارت سوأة الهوان فينا، فكان النزول إلى أراضين سواها.. لزاما.

ريحة البلاد

«لقد أصبح من المستحيل تقريبا، بعد الهولوكست، إخفاء جرائم شنيعة ضد الإنسانية. الآن، وخصوصا مع تكاثر وسائط الاعلام وانتشارها، لم يعد بالإمكان إنكار كوارث من صنع البشر، أو إخفاؤها في أعين الرأي العام، ومع ذلك؛ جريمة كهذه جرى محيها تقريباً من الذاكرة العامة الفلسطينية، وهي جريمة طرد الفلسطينيين في سنة1948، إن هذا الحديث المصيري الأكثر أهمية في تاريخ فلسطين الحديث، جرى إنكاره بمنهجية منذ وقوعه، ولايزال حتى الآن غير معترف به كحقيقة تاريخية، ناهيك عن الاعتراف به كجريمة يجب مواجهتها سياسيا وأخلاقيا.»

من كتاب التطهير العرقي في فلسطين

إيلان بابه (مؤرخ إسرائيلي)

لاشكَ أنّها كانت مخاطرة، مخاطرةً رعناءَ غيرَ محسوبةِ العواقب، تحتملُ كلَّ النِّهايات، والتي أوَّلُها، بل وأهونُها.. الموت!!

أن تتسللَ عبرَ السلكِ الشّائكِ، متجاوزاً أبراجَ المراقبةِ، المزودةَ بأعتى وأدقِ وسائلَ التتبعِ الأمنيّة، وحالةُ الترقُّبِ والترصُّد في أوجِّها، ثمّ تفلحُ في قطف زهراتٍ ريّاناتٍ من أرض البلاد - والتي تعدُّ أمنيّاً تحت السيطرة الصهيونية - وإهداءَها لي أنا، لهو الحبُّ في أنقى صوره وأرقاها!!

أخبرني أنّ طيورَ الحمام، من أيام البلاد، والتي تركَها أجدادُنا وراءَهم - إبّانَ هجرتِهم القسريّة- لازالت تتكاثرُ وتملأُ السماء التي لم يفلح يهودُ في احتجازها بأسلاكهم الشائكة، وأنّها استقبلته هديلاً، وكأنّها تعرّفت على صاحب الأرض الشّرعيّ. ولا أدري حقاً، أكانت جرأةً أم تهوراً أرعن، أن اتصلَ بمختار بلدتنا، وهو داخلَ الحدود، مبشّراً إيّاه بمكانه!!

مصطفى يخو، أسأل الله أن تدخلها فاتحاً مكبّراً، مع جند الله الغالبين.

كلُّ المدينة تسكنني،

تسكنني المدينة، أنَّى اجتذبني طارقٌ، فاضت بأقداحي المدينة

فمالي وطير البين يعزفني على بوابة العاصي، يجبلُ من سقا همي صروحًا ملء أنفاسي

ونولي ظهرنا قسيون فتنزف خدَّه العبرة، تباعدنا دروبُ الشوق تشعلُ في دمي جمرة

على عتبات منزلنا لكم ناءت بيَ الكرمة، أجذبها فتجذبني وأغزل في الهوى لثمة

وكلُّ مدارج الدحنون والنارنج واللبلاب، تشكو هجر مربعنا والنعمان للغيَّاب

أنا يا صاح أعيتني مراراتٌ وأرزاء، تسطرني نزوفُ الآه وتشمت فيَّ أعداء

أعداءٌ على بابي وتحت ألف سرداب، وكل رصاصةٍ ترمي شظيتها بأهدابي

أنا المسفوحُ في غده ويرقب نظمَ أيامه، تهادنه صروفُ الدهر فيكدر صفوَ أعوامه

ترسمني على الأعواد مشنقةٌ هلالية، ليسفع مقلتي بالدم غسانٌ ورومية

ليشهد خالقي أني هجرت أحبتي كمِدا، ومعذرتي مضمخةٌ بأشلاءٍ تلي جسدا!

لُما

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

في حواصل طير

«سيّدي...في حواصل طير خضر»

لمُا

1 - الشيخ فرحان السّعديّ (1856 - 1937م)

ولنا مع جنين الخير موعداً لن نخلفه، موعداً مزهوّاً بسعدٍ فرِح.

نادوه «يا شيخ» مذ كان فتيّا، حافظٌ هو، تُسارع به خطاه حيث ألق الحلقات، وعلوِّ الهامات، فطُبع محيّاه بهيبةٍ وجلال لا تخطئها عين، فيا لنفس ذي المعالي مرسياً قواعد مجدٍ راسخات، حاملاً بين أعطافه همَّ دينٍ ووطن، ليس كباقي الأوطان. تحلّقَ حوله الرجالُ الرجال، عصبةٌ طاولت ذرى المجد، أبت الضيم، وأنفت عيشاً كعيش القطعان الهائمات. جمعهم رحم وطن الرسالات، وأرخى عليهم سدولَ كهوفه الحانيات: اعداداً، واستطاعة! الرصاصات البكر كانوا، الاندلاعةَ الأولى، القطفة الأشهى، الرعيل الرعيل. كم شهدت عليه وعلى رفاقه ذرى جبالك فلسطين، متلحِّفين ثلوجها: بردا، وسلاما، مارّين على أشواكها؛ شقائقَ نعمان، كحضن الأم بل أكلأ، وعين الربِّ ترعاهم؛ أن سيروا فيها آمنين. الى أن قُدّرَ سجن عكا ثلاث سنين عجفات، وإليك حيفا القسّام ترجّل، حاملاً لواء الجهاد هو وعصبة القسّاميين: رفاق الدرب. لن يضيره حكم نذل متمادٍ باغٍ، أرعن. شيخاً ثمانينيّاً كان، وقد حكمت محكمة الأرض فضجّت محكمة السماء.

((أمذنبٌ أنت؟؟.... معاذ الله أن أكون مذنباً))

صائماً في نهار رمضان، أطلقوا أسر روحٍ عافت جسداً فان، ورجّتِ الأرض باسمه أن قد فُزت يا فرحان.

فرحان الرصاصة الأولى، خليفة القسّام، المجاهد الصادق.

الشيخ فرحان السّعديّ، سيّدي...في حواصل طير خضر.

2 - عبد القادر الحسيني (1908 - 1948م)

غدروا بك يا قلبَ الحديد، باعوك، كما يبيعون أحفادك لازالوا، قتلوك غيلةً متآمرين على دمائك ورفاقك كما حالهم في كل عصر، والاسم... جامعة العربان. استنهضتهم وما أسمعت إذ أسمعت حيّا، وقد استمرؤوا الانكسار كؤوسا مترعات. مجدّد الجهاد في فلسطين، المجاهد الرّحالة، ابن رئيس بلدية القدس: موسى باشا الحسيني، المولود في اسطنبول، المستشهد في القسطل، المدفون في باب الحديد- القدس.

المجاهد المجدّد: عبد القادر الحسيني.

الثائر الحق، الرافض لكل سياسات المهادنة والتسليم، حاملا جراحه النازفات أبدا من فلسطين الانتداب، فالتقسيم، إلى عراق وثورة الكيلاني، الى مصر ووزارات الذئاب.

مجاهداً عابراً للأوطان، في كلِّ أرض سربلها بهيمُ ظلمٍ، دقَّ للثورة خيمة، ورفع للحقِّ بيرقا خفاقا. مستلهماً الوطن السليب، وطن المآل، حاملا ايّاه في جعبة القلب شراييننا تدفق دما فلسطينيا خالصا. كافراً بجغرافيّة الأوطان. مترائيا فلسطين الكيان والمعتقد في عين كل ثائرٍ، وفي مقذوف كل رصاصة ملهمَة.

في زمنٍ يعادي الياسمين والزعتر أتى: زمن العوسج والثعالب والقيعان، وأربعينيّا مضى، كأن ذات الزمان ضنّ على عصر ذئاب القصاع بالفلسطيني النبيل.

« إنّني ذاهبٌ إلى القسطل وسأقتحمها وسأحتلها ولو أدّى ذلك إلى موتي، والله لقد سئمت الحياة وأصبح الموت أحبُّ إليَّ من نفسي من هذه المعاملة التي تعاملنا بها الجامعة، إنني أصبحت أتمنى الموت قبل أن أرى اليهود يحتلون فلسطين، إنّ رجال الجامعة والقيادة يخونون فلسطين«.

ومضيت، كشموخ جبال: جرزيم، الجليل، والمكبّر. يا جبل النار أنت؛ ألقا ألقا، يا فيوض الخير أنت؛ دفقا دفقا.

في القسطل كانت الرصاصة التى زفّتك الى حضن الحبيبة، وعلى أبواب قدس أقداسها... حلّقت.

هنيئا لك يا نبيل المقام، يا فارساً بلا جواد، هنئت ساميا متبخترا في السويداء.

عبد القادر الحسيني، سيّدي... في حواصلِ طيرٍ خُضر.

3 - عز الدين القسّام (1882 - 1935م)

أن تكون سوريّاً؛ تجري في عروقك فلسطين، تنبض في ملامحك، تتنسّمها عبيرا، تتوسّدها طيفا، وترتلها أهازيجا. أن تكون شاميّا؛ قدرك مع درّة الشام وخيراته، حيث الرجال الرجال، يتيه بهم العزّ، ويجتبيهم الفخار، وتسربلهم الكرامة، فيغدو من دونهم ظلالا، أو زبدا رابيا. من جبلة الى حيفا يا سيّدي؛ أكاليل ياسمين، وغار، وطلّ، تشرئبّ متطاولةً الى أعناق رجالك، المحتضنين بين جنباتهم عقيدة الوطن؛ ولاء، ووطن العقيدة؛ اجتباء، المتمنطقين سلاحهم خيارهم، الحاملين زوّادة من دعوات الأمهات الصابرات، هناك في سوريّا، وأمهاتهم هنا في فلسطين. أقحوانات فلسطيننا المزهرة في العروق يا سيّدي، في عروق رجالنا الرجال، ونساؤنا أخوات الرجال، نزفتك دما، وأبت أرضنا إلا احتضانا. لروحك السلام، ولأحفادك في أكنافها عزٌّ وتمكين.

عز الدين القسّام، يا سيّدي... في حواصل طيرٍ خضر.

4 - رجال البراق

عن سباق الموت الأقدس، عن خطىً تسارعت مدارجاً، يسمع وقعها ملائك السماء، فيُهرَعون مستبشرين بغرباء الأرض؛ وعد السماء!!

أوليس قدرُ الفلسطينيّ ؛ عروشَ المجد أبدا!!

اصطفاءً واجتباءً لأهل أرضٍ، استوطنهم العزّ والإباء، وكلَّلهم الفخار، وبارك خطاهم الإله.

رجالٌ لا تكلُّ ولا تمل، من نورٍ ونارٍ، أقدامٌ راسياتٌ على جبالٍ خضر، وأرواحٌ معترجات.

مرابطو الأزل، أمناء الأرض المباركة.

يا ويح غربان سود، تسوّرت محاريبكم وقدس أقداسكم، وعلمٌ أفعوانيّ يعتصر نبض شرايينكم، هنا،في القدس!!!

تجمّعوا؛ رعاعاً وشُذّاذ آفاق، من عتمة جيتوهاتهم جاؤوا، من زكم حواريهم الخانقة، وعند قبتنا... تحلّقوا.

وانتفض عُمّار الأرض المباركة، فكانوا للقباب سرابيل داوودَ وزرده؛ براقٌ عرج بالنّبيِّ الأكرم،وقبابهم= براقهم، عرج بهم.

براقهم ثورةٌ شبّت وتلّظت في أرض الرسالات، هبّةُ رجالٍ رضعت المجد وأنفت الهوان.

ثلاثة كانوا، ولقاءٌ مع موتٍ يتزاحمونه، وجدلاً محتدما، وأصوات تعلو فوق صوت سجّان.

عطا: أنا أوَّلكم...!!

محمد: لا، بل أنا.!!

فؤاد: لا، لا، بل أنا، «إنّ يوم شنقي يجب أن يكون يومَ سرورٍ وابتهاج، إنّ هذا اليوم يجب أن يكون يوماً تاريخياً تلقى فيه الخطب، وتنشد الأناشيد على ذكرى دمائنا المهراقة في سبيل فلسطين، والقضية

العربية».

طلبوا الحنّاء، وتَحضّبوا قبل أن يُخضّبوا.

كسرت القيد يا عطا، وتقدّمت منشرح الخطى، ولحقت بالرفاق، محلّقين.

فؤاد حجازي (1904 - 1930م)

محمد خليل جمجوم (1902 - 1930م)

عطا الزّير(1895 - 1930م)

أجدادي؛ في حواصلِ طيرٍ خضر.

نكستنا فيهم نكستهم في أنفسهم

«كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ»

21 - المجادلة

وحقِّ الذي وعدنا بالغلبة وأذن -من بعدُ- بالفتح = ما طال دربٌ إلا وبلغه قاصدُ همةٍ موصولةٌ مساعيه، وما اشتد بلاءٌ واستحكمت مغاليقه إلا وجاء الفرجُ يسعى من بين يديه، وما انتكس قومٌ يومَ أُبعدوا إلا وقيَّض الله لنا قومًا آخرين وصلهم به وطوَّعهم، وما تناوشنا الأقربون حتى ليستبيحون ما حُرِّم ويستمرئون إلا وأذاقهم - على أعيننا - البأس؛ شفاءَ صدور، وما أخذ من دمانا وأذاقنا الضراء إلا لنستعذب البذل فنجوز =كان على الله عهدا، ولكنكم تستعجلون!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

رجل الأقصى..

«فلا تحسبه إلا ملكاً منزَّلاً في إزارِ ليث.!»

لمُا

ما كان لي أن أنسى - إن نسيت- هذا الرجل!!

قامةٌ منتصبة نحتتها العزمات، يصول في الباحات ويجول، فلا تحسبه إلا ملكاً منزَّلاً في إزارِ ليث.!

عينان برَّاقتان؛ فيهما تصطرع المعاني، لتمتزج مع حاجبين معقودين أبدا، كأنَّهما رباطُ خيلٍ تسرجه عينان، وإهابٌ عاليه؛ يتبارى بياضه مع نصوع وجهٍ وضَّاء، فيندحر بياض الثوب، ليُسلمَ الوجهَ آياتِ البهاء.

جدِّي الستِّيني على بوابته انتصب، تلوك قبضته مقبض عصاه، والتي ليست للتوكؤ بحال، تلازمه لتكتمل صورةَ فارسٍ ما ترجَّل أبدا، إلا ليهشَّ قطعان سياحٍ جاؤوا من أقاصيهم ليلتقطوا صورةً بجانب قبةٍ ذهبيةٍ، يضحكون فيها ملءَ الشدق، وأيديهم ترتخي على عمودٍ لنا هناك في باحة الحرم ينوح..!

تجتمعن حوله لاهيات: صورة!، يُعرض بجانبه ملوحاً بعصاه، ويزيد انعقادَ ما كانا حاجبين، وغديا أسطولين من شنَّار!

يهممن بولوج بوابته، فيوقفهن بطرف عصاه مشيراً بذؤابة عينه إلى موضع أقدامهن، ويتبع مسارَ النظرة إلى المكان المخصص لحمل ما حوت أقدامهن!

يُطلق أعنَّةَ زفراتٍ محمومةٍ ملتاعة، تسمع حسيسها، ويُكملُ دورته مرابطاً.. في حضن بوابته الأثيرة!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

شابات شالوم

«لو أرادَ أحدُهم مصارحةَ حبيبته بحبّه مثلاً، بلغته هذه التى تشبهُ أرجلَ العنكبوتِ رسماً، وقذفَ الحجارةِ نُطقاً، أن كيفَ يفعل؟!!»

لمُا

صباحٌ رائقٌ جميل هذا الصباح، يذكرني بأيامٍ ليست بالبعيدة، عندما كنّا صغاراً نتحلّقُ حول التلفاز لمشاهدة برنامجَ الأطفال الصباحي باللّغة العبريّة. طبعاً هذا كان داعياً لأجيالٍ ربّما أن تتعلمَ العبريّةَ وتتقُنُها تلقّياً كما حدثَ معي أنا.

صغاراً كنّا، نفتتحُ نهارنا بضجيجِ حروفهم في آذاننا، ونكملُ ما تبقى من نهارٍ على دويّ رصاصهم، دبيبِ دباباتهم ومجنزراتهم، غازهم المسيّل للدموع، وعويلهم في مكبرات الصوت أن: فُرض عليكم حظرَ منعِ التجوّلِ حتى إشعارٍ آخر، بصوت ممطوطٍ ممجوجٍ وبأحرفٍ تشبه العربيّة، لكنّها... شوهاءُ عرجاء.

أي نعم؛ لغةٌ أُقحمت اقحاماً في عوالم الصِّغار- كما هو حالُ ناطقيها- ووجودٌ مشبوه لمشرذمي الأرض، ولماماتِ الجيتوهات المزويّة، المعتّقة حقداً وفجوراً، في سيّدة الأراضين جميعا. لغتُهم - الدّخيلة- تشتركُ مع لغتنا الغرّاء في أُصولٍ تاريخيّةٍ واحدة يقالُ لها: اللُّغة الساميّة، هذا في الأصل التاريخي، ولكنّها اليوم، لغةٌ مسروقة بامتياز- كحال وجودهم - فتسمع يهودَ (السفارديم) مثلاً - وهم اليهود ذووا الأصول الشرقيّة- يخلطون في حديثهم بين كلماتنا العربية وكلماتهم، إلى حدِّ السطوّ على ألصق ما للشعوب من كلمات، كمفردات الغزل، والشتائم! فتجدُ الناتجَ- رغم ذلك- جنيناً مشوّها تمجُّهُ الآذان. وفي المقابل تجدُ (الشكنازيم) - وهم اليهود ذوو الأصول الغربيّة- بتعاليهم وغطرستهم، يستجدُّون لغةً أخرى، تُسمى العبريّةَ الحديثة، يحاولون فيها ما استطاعوا مخالفةَ الشرقيين والهروب من رِبقة الجذر الواحد.. وما يستطيعون.

كيانٌ كرتونيٌّ هش، مليئٌ بالصّراعات والأحقاد العرقيّة، مجتمعُ ذئابٍ وثعالب، وما استقووا إلّا بضعفنا والله. كلُّ هذا منطقيّ ومعروف ربّما، ولكنّ الذي يحيّرُني حقّا، أن لو أرادَ أحدُهم مصارحةَ حبيبته بحبّه مثلاً، بلغته هذه التى تشبهُ أرجلَ العنكبوتِ رسماً، وقذفَ الحجارةِ نُطقاً، أن كيفَ يفعل؟!! خاصّةً لو لم تكن عبرانيّة مثلُه، عندَها ربّما اعتبرته... تهديداً بالقتل.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

حدَّثني جدِّي

«أيا مفرداتِ الوطن، يا خمراً حلالاً طيباً لا يُسكرُ ولا يذهبُ بالعقول، بل يسافرُ بالأرواح محلقاً في سماوات الإسراء حتى المنتهى».

لمُا

حدَّثني جدِّي ذاتَ مرَّةٍ فقال:

وليس كأرضِ بلادنا أرض، ولن تُظِلَّ سماءٌ كسمائنا قط. كيف لا، وأنا ما رفَّت خطايَ على موضعٍ منها تقبيلا، إلّا وأيقنتُ أنّها توافق خطى نبيٍّ كريم، أو وليٍّ واصلُ القُرُبات. وما تنسَّمت من مسكها عبقًا، إلّا أُترعت روحي تسابيحَ وتهاليلَ ملائكَ مُردَفين على أعنَّةِ الرّحمات. أذكرُ بيادرَ الخير، التى أطعمتنا يومَ جاعَ النّاس، والبياراتِ الوارفاتِ ظلّاً ممدودا، وماءَ السلسبيلِ فراتا، يتلوَّى أوردةَ خيراتٍ مرسلات.

طيورَ الحسُّون تغازلُ زهراتِ الحنُّون = تحكي عن الأمس المعبَّق بالياسمين المجدول على أعناقِ الصّبايا المترفات، عزّاً فارهات.

الحساسينَ، البلابلَ، الشنَّارَ، أبي الحنّاء = أكادُ أسمعُ صدحَ نِداها، تتوسلُ الغُيّابَ أن عودوا! البرتقالَ، زهرَ اللَّوزِ، الميراميةَ، والزّعترَ الجبليّ = كلُّهم الحدادَ أعلنوا؛ فما عادَ العبقُ هو العبق، ولا المذاقُ هو المذاق، بعد أن افتقدَ الغصنُ تباتيلنا إذ ترنو إليه قطفاً بالوتين.

مفتاحَ البيتِ العتيق، حاكورةَ بيتنا، كرماتِ العنب = عرائشَ من ظلِّ السماء. عبقُ البلادِ لا ينزحُ ولا يهاجر، مقيمٌ في السويداءِ أزلا، وقد استوطنَ منّي- أي بُنيّة- الروحَ تَحنانا. تعربشَ في الحنايا، تجذَّرَ في الأركان، في خطوط الكفِّ، في تجاعيدِ السنين الكاهلات.

أيا مفرداتِ الوطن، يا خمراً حلالاً طيباً لا يُسكرُ ولا يذهبُ بالعقول، بل يسافرُ بالأرواح محلقاً في سماوات الإسراء حتى المنتهى.

ألا يا طين البلاد المبارك، يا طين البلاد المُجللِ قدسا؛ ضمَّةٌ ضمَّةٌ، أخيرةٌ، فريدةٌ، جليلة، فيها... الخلود!!

يا ظريف الطول

يا زريف الطول وقف تقلك

رايح عالغربة وبلادك احسنلك

خايف يا زريف تروح وتتملك

وتعاشر الغير وتنساني انا

يا زريف الطول يا سن الضحوك

يلي رابي في دلال امك وابوك

يا زريف الطول يوم الي غربوك

شعر راسي شاب والظهر انحنا

يا زريف الطول متغرب على القوم

لا تبعد عنا وتحط علينا اللوم

انشالله بترجع بترجع عالكروم

نحصد القمحات ونجمع شملنا

يا زريف الطول وين مهاجر وين

نتمنى من الله ترجع عنا هين

بلكي انا وانتا بنتلاقى عالعين

وبنغني عتابا ونصبح ميجانا

تراث فلسطيني

شقراء نادت

«سَبَّل عيونو ومد إيدو يحنولو

خصرو رقيق وبالمنديل يلفونو

سَبَّل عيونو ومد إيدو على راسي

خصرو رقيق ودّعني ومش ناسي

سَبَّل عيونو وصاح وين إنتو؟!

خصرو رقيق غاب وما بيّنتو»

من التراث الفلسطيني في زفّة العريس - الشهيد

اشتممناه يا أُمُّ في عبقِ الجدائل، مع أولِ انحناءةٍ هطلت علينا رزقاً التقمناه، وصافحته أنظارُنا مخبوءًا تحتَ مهدٍ افترشناه، وأوسعنا منه المبسمَ تقبيلاً؛ إذ ضمَّنا حضنُ الأبِ، يُقاسمنا زهوَ الزنود المترعات فيضاً من أمان، جلوناهُ مهيباً جليلا، يعتلي أكتافَ الرجالِ إلى ثغور، فتفرِدُ له المعامعُ بُسُطاً من خنادق، مفترشاً نعشَ الشهيد، تعلوهُ الزنابق، والمسكُ يمتزجُ بالدخان، تقدمةَ الخلود.

عرفناه يا أمُّ حقَّاً: لا يفترُ أو يُهادن أو يُرائي، فعرفنانا فيه..!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

طلّت البارودة..

«من لم تربه أُمُّه على فقه الموت، كان ميتا بين الأحياء»!

لمُا

- تعلمين يا أُم!

- قل يا مقلةَ العين.

- يقيني أنَّني ما ولدتُ يومَ أن لفظني رحمُكِ، ولا يوم أن جدتِ عليَّ بكلِّيَّتِك، أنهلُ منك ولا أرتوي.

- ومتى إذاً يا حبيبي؟

- ميلاديَ الأول كان يوم أن احتضنتها، فتمايلت بين أصابعي تزغرد.

- وميلادك الثاني!

- هو يوم أموت..!

- ولهذا ولدتُك.

- يقولون يا حبيبة، أنّ الحياةَ في سبيله تعالى، أولى وأجدى من موتٍ في سبيله كذلك.

- ليس هذا أوان الحياة، وإن كانت في سبيله.

إنّه النَّفير أي ولدي، فمن يطيق حياة!!

- وحياةٌ في سبيله، ما قوامُها إن لم يخلفها إعدادٌ لموت!

- أما وجدتَ صلاحَ القلوب وعمرانها: طريق وصولٍ لموتٍ نختم به ويرتضيه= جهاداً لإعلاء كلمته!

- من لم تربه أمُّه على فقه الموت، كان ميتاً بين الأحياء...!

لأني لا أحيك الصوف،

لأني لا أحيك الصوف،

لأني، كل يوم، عرضة لأوامر التوقيف

وبيتي عرضة لزيارة البوليس...

والتفتيش، «والتنظيف«،

لأني عاجز أن أشتري ورقا،

سأحفر كل ما ألقى،

وأحفر كل أسراري

على زيتونة...

في ساحة الدار...!!

سأحفر رقم كل قسيمة من ارضنا سلبت

وموقع قريتي، وحدودها،

وبيوت أهليها التي نسفت

واشجاري التي اقتلعت

وكل زهيرة برية سحقت

وأسماء السجون

ونوع كل كلبشة شدت على كفّي ودوسيهات حراسي

وكل شتيمة

صبّت على راسي

وأحفر:

كفر قاسم لست أنساها.

وأحفر:

دير ياسين تشرش فيّ ذكراها.

وأحفر:

قد وصلنا قمة المأساة

لاكتنا ولكناها،

ولكنّا...وصلناها!

لكي أذكر، وكي تذكر

سأبقى قائما أحفر

جميع فصول مأساتي

وكل مراحل النكبه

من الحبه

إلى القبه

على زيتونة...

في ساحة الدار..!!

#توفيق-زيّاد

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

يومَ أَسريَ بي

«أيا مفرداتِ الوطن، يا خمراً حلالاً طيباً لا يُسكرُ ولا يذهبُ بالعقول، بل يسافرُ بالأرواح محلقاً في سماوات الإسراء حتى المنتهى».

لمُا

ولمّا كنت الابنة البكر، وأول القطر الذي همى بعد انتظار، فقد كان من الطبيعي أن أكون رديفة أبي، الأثيرة عنده، والتي تصحبه في حلّه وترحاله، لا تفارق جنبه، حتى سفراته القصيرة خارج البلاد كان يصطحبني معه فيها، ولسعدي وهنائي، ورضا الوالدين عليّ، كنت أقضي كلَّ جُمعاتي معه في مدينة القدس الشريف، يصلي هو الجمعة في مسجدنا الأقصى، وأتقافز أنا حوله في الساحة الخضراء، حتى كبرت فصرت أصطف مع النسوة في مكانهن المخصَّص، ومتى ما انتهيت من صلاتي، أُسارع لأبحث عن حذائه وأنتظر حتى يأتيني، فتبدأ رحلتنا -كفًّاً بكف- في سوق المدينة القديم..!

أرقب القبعات السود، تزدحم بها الطرقات المقدودة من صخر، والنظرات من وراء العوينات تنهمر علينا، كأنّها الرصاص يعوي، يحجمه زناد الجبن، وإن استعلوا..!

لونٌ أسود مربد، كأنّه اقتطع من سواد جهنم، يتلطَّخ به وجه المدينة الغرّاء، وسالفان كما الأفاعي، على وجوههم تلتفان، تسمعهم يتنادون بلغةٍ لها وقع مقالع الحجارة على الأُذن، فتذود أذناك بكفَّيك من صخبٍ يواقع السكينة..!

والمسارات المعبَّقة بالنور؛ النور الذي يصلها حثيثاً يستوطن فيها بلونٍ أسميته من يومي: لون القداسة! فيجتمع الضدان فيها: لون القداسة، والغربان السود!

مزيجٌ غريب، يزيد في استهجانه الخاكيُّ المعربد عند كلِّ مدخلٍ أو زاويةِ زقاق، يستحلُّون أجساد أهل المدينة -الذين فيها أجدادهم وُلدوا- فيمعِنوا في التفتيش: يدٌ تتوغل، ووجهٌ صفيق..!

لا يفتشون عن شيءٍ بعينه تقتاته بنات آوى المعتمرة بنادقها، ولكنه مزيد إذلالٍ لجدةٍ عجوز، جاءت من أقصى المدينة تسعى، تحمل سنيّها على وجهها أخاديد، وتسحب بيدها حفيدها الصغير، تُعرِّف طرقات المدينة الجليلة عليه، تذكره باسمه: هذا ابني فلان، احفظي شكله يا دروب، علَّه يأتيك يوماً، حاملاً خَلاصك على كتفه، وفي جيبه عُدَّته..!

أذكر أنَّني-وأنا الصغيرة الغريرة- كنت إذا ما رجعنا إلى البيت- بعد طول شدٍّ وجذب- أصير أراجع في يقظتي وحلمي أحداث اليوم: أختزن أنفاس المدينة في رئتي، فإذا ما خلوت إلى نفسي، جعلت أتوسَّل الشهيق، أعبُّها وأضنُّ بالزفير..!

وكنت أتفكَّر: يا الله، أتمنَّى عليك يا ربي أن ترزقني سكنى طيبةَ المختار، مدينة الحبيب..

تراجعني نفسي: ولكنَّك تعشقين القدس، أنا أعلم أنّك تفعلين، وطيبةَ الطَّيِّبة لم يأتك من أخبارها إلا ما حوته بطون الكتب، حكايا الجدة، ومراجعات الأم تتلوها عليك، فلم طيبةَ بالذات يا لُما؟!

- هو حديثي أختصُّك به، ولن أطلع عليه إنسيًّا، فاسمعيني، وأشيري علي، أمّا ما بي من تعلُّقٍ بطيبة المختار، فهو من الفطرة بحال، ممّا لا يستدعي معه العجب أبدا، ولكن.. لِم لَم أطلب منه تعالى سُكنى مدينتي العتيقة الجليلة! لم فعلت!

- لأنَّك تعشقينها.. وتهابينها في آن!

- والهيبة حقٌّ لها، كذلك طيبة، ولكنَّني أُحمِّلُ على هيبة مدينتي معاني الخوف.

جبانةٌ أنا، جبانةٌ رعديدة، فكيف لي أن أخاف مدينتي!، وأنا لا أخاف قَطُّ مِن هملٍ بها عابرون!

- لا تخافينهم، ولكنّك تخافين العنت، تخافين المشقة، تخافين الفتنة..!

- وما بالهم هم لا يخافون!، ألست منهم أنا!، فكيف لا يفعلون، وأفعل أنا?

- أهل القدس أصفياء الله في أرضه، حاملو الأمانة، يعرضون ثباتهم في الغدو والآصال، يؤتَون ممَّا يكرهون، ويفتنون فيمن يحبُّون، تصطفُّ لهم النائبات ودواهي الدهر على أبواب بيوتهم، تدكُّها بيدٍ كأنها المقارع، فإن وهنت لها ولدكّها لبناتُ الجُدر، لم توهن لها عظام الصدور.

- هو التمحيص على أشدِّه يغربلُ القوم، فتصطفي العزماتُ أهليها، وتُسكنهم المشيئةُ بجبلٍ غير ذي مُكث، تؤمُّه الأرواح، لا تطيقه الجسوم.

- ولكن، مهلاً..أسُكنى طيبة، وتمنِّي الجوار أقلُّ فتنةً، وأهدأُ لبال الثاويَ المقيم!

-أتعلمين! للفتنة صنوف، تأتي أهلها على الشاكلة التي يطيقون: رحمةً من ربك، فلا يعجزون.

أفيُعجز الله عبيده وهو الذي يفتنهم ليصلحهم لا ليركسهم، وهو الغنيُّ عن العالمين!

- إي وربي صدق، الفتنة تأتي صاحب الهمَّة ليطيقها، لا ليُركس فيها، إن كان في محل الاصطفاء، وإلّا..تأتيه لتقعده عن عبور نهر المخلَصين.

- فما فتنة أهل بيت المقدس إلا في تقدمات الدم، والزهد في الروح التي بين الجنبين، إن كانت في سبيل رب البيت، يعينهم ربهم عليها بنفحاتٍ جلية من عزماتٍ ونجدات، ومكارم البذل، وفنون الاصطبار.

- وفتنة أهل المدينة..بالجوار، ذلك أن المجاور يركن، وإن ركن اغتر، وإن اغتر أزّته الشياطين من كل جانب، تنفث في روعه أنّه المُفرد، وأنّ من سواه هملٌ على البسيطة يقعون، وأنّه المُخلّص، ومن عداه لهفى حيارى، خلاصهم على أعتابه، وأستار جنابه.

- يا ويحي.. هي فتنة الدين على أشدّها، حتى لتفتن الحليم الرشيد فيغدو حيران أسفا.

- وهل تحسبين أن تقدمات الدم، والبذل على العوز، والثبات على الأرض، وإن جُعلت الدنيا شرقاً وغربا مقابلا..أتحسبينه بالهيِّن!!

- أواهُ من بارقة السيوف على الرقاب.. أبعدها فتنة!

- تخيَّلي غيرهم مكانهم، في الخنادق ومن فوقهم الجنازير، أو في الخيام والمطر يأتيهم من فوقهم، ومن أسفل منهم، أو تعتليهم الطائرات ترجمهم بالحديد، وأبواب السفارات مفتوحة لمن ابتغى منهم حياةً هينةً لينة، في جنان الأرض، فيأبون، أتحسبينه هينا!

- إذن، فالفتنة تأتي أهلها تُمحِّصهم، ومن رحمته أنها تجيئ من يطيق، ومن حيثما يطيق.

- فاللهم أعنِّي، وأصلحني ولا تفتنِّي، اللهم سُكنى وجوار يعينان على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

مع السلامة وين رايح

مع السلامة وين رايح

مع السلامة يا مسك فايح

مع السلامة وين بَدَّك

لقعد على دربك ورِدَّك

طلت البارودة والسبع ما طل

يا بوز البارودة من دمو ابتل

طلت البارودة والسبع ماجاش

يا بوز البارودة من دمو مِرتاش

حمرا يا أصيلة وين رحتي فيه

بباب السرايا وعلامة تركتي

#تراث-فلسطيني

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

خطّاب

«فالتقى بعجوز شيشانية فسألها: ماذا تريدون من قتال الروس؟ فقالت: نريد أن نخرجهم حتى يرجع إلينا الإسلام!

فقال: فهل عندك شيء تقدمينه للجهاد؟! فكرت العجوز لبرهة تستعرض فيها ممتلكاتها فلم تجد إلا جوابا واحدا!

قالت: ليس عندي إلا هذا «المعطف» أجعله في سبيل الله!»

لمُا

أذكرُ وقتَها أنّني كنتُ في الجامعة، منهيةً لتوّي محاضرةَ البرمجة، وإذ برفيقتي وخليلتي الأثيرة -القادمة من الباكستان حديثاً- تسرعُ نحوي بلهفٍ مهرولةً، وتدهمني بكلماتٍ قليلاتٍ كنّ القاضيات: خطّابُ مات!!

لو أنّ صاعقةً نزلت على رأسي، وتركتني ذرواً منسيّاً وقتها، لكان خيراً لي. زُلزلت أركاني، وجمُد كلُّ متحركٍ حولي، غدوتُ أسمعُ كلامَها المسترسل وكأنّه يأتيني من عالمٍ آخر، من بُعدٍ آخر لا أعيه ولا أدركُ قوانينَه. تهاوت من تحتيَّ أرضي، فاحتضنتني بكل قوتها، ولزمتني تحنانا. استجلبتُ مدامعي فما طاوعتني، وكأنّ عينيّ جمدتا، أو أنّ عبراتي أبين أن تطلُلْنَ على عالمٍ خلا من نسائمِ أنفاسه. خطّاب، كان فارسي الأول، كان دليلي في عالم الرُّجولة، بعد أن تلمستها ابتداءً في شخص أبي. كنتُ أتابعُ أخبارَ القفقاز بكلِّ شغف، أحفظُ أسماءَ أمراءِ الجهاد هناك: سيرهم، تنقلاتهم، أحفظُ وأتابعُ كلَّ شيء، كلَّ شيء. حتى أنّني ما مللتُ مشاهدةَ أشرطةِ (جحيمُ الرّوس) مراراً وتكرارا، حتى بتُّ أحفظُ كلَّ سكناته وتحركاته فيها: كيف يتهادى كما الأسد، يحملُ صاروخ سام المضاد للطّيران على كتفه، يصوِّبُ ويُسدِّد، ينقلُ خطاه بثبات، يُلقي بتعليماته، يخاطبُ رفقاءَ دربه، يتعاملُ مع المواطنين، ومع أسراه. لن أنسى ما حييت مشهداً لا يفارقُني، عندما اجتمعَ عليه رفاقُه مداعبين، محاولين إلقاءه في النّهر، فما اسطاعوا أن يزحزحوه من مكانه قيد أُنملة، حتى قذفَ بهم هو واحداً واحداً، وهم يتضاحكون ووجوهم تنضحُ بالسّعادة نضحاً. وأذكرُ تهاديه كما الأسد الهصور نحو أسيرٍ روسي، والأخير يرجفُ فرقا، من الهولِ القادم نحوه متمثّلاً في... خطّابً.

لازلتُ محتفظةً بصورته في غرفتي، معلقةً على جدار قلبي. أذكرُ - وأنا بعدُ طفلة صغيرة - أنّني كنتُ أتوارى من صورته، وأقرؤه السّلامَ صباحَ مساء. بل وأذكرُ أنّني عندما لزمتُ المشفى لمرضٍ ألمَّ بي، أول ما طلبت بعد افاقتي هي صورةُ خطّاب. كانت ملامحه مقياسي لكلّ رجل، اللّحيةُ الكثّة، والغدائرُ المرسلة، بل، وربّما، كفُ اليد المبتورة. خطّاب، سامر ذو الغدائر، الرّجلُ الرّجل كما ينبغي للرّجولة أن تكون.

وداعاً أيُّها البطلُ

لفقدِك تدمعُ المُقَلُ

بقاعُ الأرضِ قد ندبت

فراقَك واشتكى الطَّللُ

لئن ناءت بنا الأيّامُ

فالأرواحُ تتصلُ.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

من يشتري للموت تذكرةً سوانا!!

« نحن تحت القصف لا نتألم، صدقا، الدم الذي يراودك عن منامك ليس دما في الحقيقة، وكل تلوّينا في الأزقة والحارات لم يكن إلا رقصة مستحدثة.»

لمُا

تعال اقترب، دعني أطلعك على سر، أوه لا تخف، ليس أمرًا ذا بال، ولكن عليّ أن أنفثه، قبل أن يحوز صفةَ مقيمٍ في صدري، عندها لا أظنني بقادرة ولا راغبة في ترحيله، الآن نعم، أملك كل الرغبة والطاقة والهوس لجرجرته من أذنيه، لأشهدك عليه، هيا الآن، اقترب.. واسمع.

نحن تحت القصف لا نتألم، صدقا، الدم الذي يراودك عن منامك ليس دما في الحقيقة، وكل تلوّينا في الأزقة والحارات لم يكن إلا رقصة مستحدثة. تسمع صرير البطون! لا، ليس جوعًا، لا تدعهم يقنعوك بذلك، تلك الطواقم الطبية والإعلامية وكل الفصائل المقاتلة، كلهم يمتهنون الكذب والتهويل، لماذا يجب على كل تلك الغازات أن تكون سامة! هم يقولون، هل جربتها أنت؟! السكاكين! ماذا عنها؟ هل كانت حقا بتلك الثلمة، التي تكفل موتا أقسى وأبطأ! أكوام الأجساد تلك، هل جسستها؟ لمْ تفعل! فلمَ حكمت بموتها إذن؟! أنت سمعت، هيا الآن، ألا زلت تثق بحاسة ركيكة كالسمع! في الواقع، كل حكايا الحرب تلك لا تعني أحدًا سوانا، ونحن حقا لا نتألم، كل ما في الأمر أننا ألفنا الموت.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

عودٌ... فذرون

«أوتظنُّ صوتَ الرَّاجماتِ قذفاً، والطائراتِ قصفاً، والبارجاتِ إلهاباً = أوتظنَّهم بمجموعهم أصواتاً تخلعُ القلوب؛ هيِّنَة!!»

لمُا

يقولون بأنَّ العائدين من موتٍ، المطَّلعين على سرِّ الأسرار، الآيبين نكوصاً عن بوابته؛ أكثرُ النَّاس زهداً في فانية. الموتُ كان يُعرضُ علينا في كلِّ ثانيةٍ من نهارٍ وليل، يمدُّ برأسه يتأمَّلُنا واحداً واحدا، ينتقي من اصطفاه الإله، يحمله على جناحٍ من قصف، لا يجدُ منه واحدُهم مقدارَ نخزةِ شوكةٍ يُشاكها= ويمضي حاملاً جعبتَه على كاهله وقد ربحَ بيعهم به. كنَّا إذا أصبحنا؛ تحسَّسنا أجسادنا، واستوثقنا من أنفاسٍ تتردَّدُ في صدور مردِّدين: أخُلِّفنا هاهنا! اللهم يا الله، تقبل منَّا قربانَ دمٍ، ولا تردَّنا على أعقابنا خاسرين. تجربةُ الدنوِّ من الموت يا سادة لا تمرُّ هكذا مرَّ الكرام، أن ترقب الموتَ بعينيك يتخطَّفُ من حولك، تحسّ بلهجِ أنفاسه الساخنة على وجهك، لا تغادرك عيناه، ولا حفيفَ عباءته موليَّاً عنك، ناظراً إناءَ أخٍ لك، أظلَّتكما ذاتُ السماء، وحملتكما -على ظهرها- ذاتُ الأرض، ينتقيه دونك ويذرَك أنت، أنتَ وحدَكَ، تاركاً بصمتَه على حنايا روحك، وتلافيفِ دماغك... إلى الأبد.

أو تظنُّ صوتَ الرَّاجماتِ قذفاً، والطائراتِ قصفاً، والبارجاتِ إلهاباً = أوتظنَّهم بمجموعهم أصواتاً تخلعُ القلوب؛ هيِّنَة!!

لا وربي، والصدقَ أقول، ارقب نفسك بعدَ كمِّ الخبرات هذه، فعندها، وعندها فقط، ترى الكونَ بعينٍ أخرى. عينُ الروح منك ترقبُ العالم، وكلُّك عينُ روح، كلُّ ما كان حقَّاً لا جدالَ فيه، أصبحَ نسبيَّاً يستأهلُ إعادةَ النَّظر، كلُّ كلمةٍ تُقال، كلُّ فعلٍ، كلُّ أثر، كلُّه يستدعي التروِّي والتأنِّي قبلَ إبرامِ الأحكام. فتجدُ بعدَ ذي الصفاء المستمد من بابٍ موارب على نهاية كادت أن تكون= تجدُ من ظننته إلفاً، انقلبَ ناكصاً يلتكَ وحرفك، نافضاً متخليَّاً مظنَّة إحقاق، وهو عينُ التولِّي يومَ ان استغثتَ رِكزا. شفافيةٌ مرهقة، تنوءُ بها روحٌ وافدةٌ، جلُّ ما تبغيه حسنَ ضيافةٍ، تلملمُ بعدها ما بقيَ منها فيكم.. وتروح. فالله الله فيها، لا تستقرؤوها ولا ترمونها بما لا تطيق، جهلاً من عند أنفسكم، أو حكمةً بالغةً أنتم واجدوها فيكم سابقةً لزمان، أو رقيَّاً باذخاً ما مكانُه ذا المكان، أو جمالَ الأرض استوطنكم، وبخل على خلق الله، ولا حتى بالفتات! ذروها في أرض الله، تنهلُ من حرفٍ، وتَنظمُ من وُدٍّ، ولا تأتونها من حيث نهاكم ربكم، تحسبونه هيِّنا، وهو عند الله هو العظيم. والروح لبارئها، هو أعلمُ بها، وبما أخفت الصدور، فلا تنازعون الخالق تألُّهاً تحسبونها عطايا، وهي والله عينُ الرزايا، وفتنةُ الفتن، هذا، ويحذِّركم الله نفسَه، ومكر الله الواهب الرزَّاق لا يأمنْه إلا مارقٌ نزق، توهَّم أنَّه بابُ الحق المتفرد، ومن هذا الباب الذي توهَّم أتاه الحقُّ عبرةً لمن يعتبر. لا حصارَ بعد الآن، لا حصار، أبغي الإصلاح والخير بنظمٍ لا غير، أو حديثُ نفسٍ عمَّا كان، فلا تحاسبون، هو حرفٌ لله، أنهله من نبعٍ، ولله ينابيعٌ كثيرة، وأدورُ في فلكٍ، ولله أفلاكٌ وأفلاك، إن تماسَّت فللخير والإثراء، يقرأه عباد الله، كلٌّ يبغي الحقَّ، على هوى نفسه يقيس ويستبين، ولا يلوي أعناقَ المعاني إلا من أبى. فاربأ بنفسك عن ذنوبٍ تجترحها كثيرة، يتبنَّاها أتباعك يحسبونها الحقَّ؛ في حقٍّ من تتتبَّعَه، وحقٍّ من قرأ هاهنا فصيَّرتهم رعاعاً لا يفقهون، ومنهم أسيادٌ، وحقٍّ أبوين ربيا، وحقٍّ بيئةٍ وتنشئةٍ في ظلالٍ معلومة، في بلدٍ حرزُها العقيدة، هذا، وما أبغي غيرَ النَّصح ما استطعت، وعلى الله قصدُ السبيل، والله المستعان على ما تصفون.

مواعيد، مع الموت

«والنافذة العملاقة تستقبل وهج الصواريخ، فتحيل المشهد إلى كابوس حقيقي، البناية تزيد نشوتها فتتمايل، لا أمان، فئران في مصيدة، مصلوبة في أرض عراء»

لُما

أظن الموت هذه المرة كان أقرب لي بكثير من المرات السابقة، أحسست بلفح أنفاسه على صفحة وجهي، وعجلة القيادة تنزلق من بين يدي على الرصيف الزلق هو الآخر، صرير العجلات، الطريق السريع، والأبخرة تتكاثف أمام عيني فلا أرى، ثم ذلك التيبس في ساقي اليمني يكمل اللوحة، يقول بأن لا فرصة لي أبدا..هذه المرة.

كل هذه المذاقات الراسخة كجدار إسمنتي، من بناية بلهاء، قررت أن تقاوم آخر دفعة من صواريخ ببالغ العته الممكن، كأن ما ينقصها حقا هو المقاومة! أتساءل: ما نفع مقاومة المقدَّر، مادام قرر أن يتمطى على آخر انفلاتات الأمان! لمَ يبدو التشبث بذبالة ما بقي بالغ السخف إلى هذا الحد! ثم من قال بأن الموت بهذا السوء الذي يبرع الكل في وصفه! عني.. فقد جالسته، وحدّق في عيني، وأطلعني على سر لونهما، طلب لي شيئا لم أستبنه، ولكنني تجرعته على أية حال، ولم يكن بهذا السوء هو الآخر...ثم أي نعم كان اللقاء محفوفا بكل المشتتات المتاحة، ونعم كنت أجلس على قاب كرسي منه، أتشبث بحافة مهترئة، بينما يقلب هو أمزجتي المترقبة في كأس بالغ الإعتام، لكنه حدث على أية حال، حدث وكان الأمر من الألفة ما جعلني أتناسى الخدر الذي يعكف على جسدي الآن، ثم أطلبه لموعد بكامل الشغف يدفع هو فيه حساب القائمة!

كل تلك القوة المفرطة التي اعتمرت جسدي الهش، كل هذا القدر المفرط من العناد الذي شكّلني، كيف لي أن أتجاهله! كيف اعتدت كل شيء عدا أن أكونني، مبالغة في كل شيء عدا أن أنصفني، على حافة كل شيء عدا أن ألجه، على شرفة كل المذاقات ولم يمسس لساني سوء الطعم...

يدي البسكوتية أجادت دورها في الإيهام المفرغ من صدق، كيف لأحد أن يصدق بأن كل هذا التشبث والإفراط، رهين جرعة زائدة من جوع مؤجل، جوع لم يشكل تكاوينه أي حصار من قبل، جوع لم يطلق نهمته إلا رهق مضاد من الوقوف طويلا.

متى كانت مرتي الأولى معه! ذاك الصديق الأشهى، أذكر الآن، كان اشتباك فصيلين بالأسلحة النارية، قررا فور مروقي بينهما، أن الوقت قد حان لإنهاء الأمر بالطريقة التقليدية! زخات رصاص، رصاص كثيف، كأن مستودعات العالم من أسلحة فُرّغت هذه اللحظة فوق رأسي، بينما كل حواسي أعلنت إضرابا مفتوحا، وهي تراني أتحول إلى أذن عملاقة! الصوت، فقط الصوت يحيط بي، لأجد يدي تمارس هوايتها في تمثل دور الدرع، أنتصب على عجلتي أنا، أخفض رأس أختي بجواري، وأمرق بين براثن الصوت! الخوف! حسنا، ربما، ليس ذلك الهلع المقعد عن حسن تصرف، لا ليس هو، ثم متى كانت النجاة بروحي يوما، من مفردات حسن التصرف...!

مرتي الثانية! حقا! ولكن نعم، أنا لا أمزح هنا، فقط هذه المرة من خلف لثام، لثام محكم، وتدجيج يواجه نافذتي، الهول ينتصب أمامي، يطل برأسه من النافذة، يتابع مظاهر صارت دمغة اتهام، عينان عينان، اختزلت كل تلك اللحظة في عينين، وأبي بلحيته العتيدة بجواري، ليزيد الأمر..حسنا، إثارة. لثامان وليل في يوم الحسم الأول، هل لك أن تتخيل! وفي يوم الحسم الأول! ما الذي كنا نفكر به حقا، لنخرج معا، قطبا النابالم نحن! إيه، طالما كنت أومن أن جينات الانغماس والتحدي وكل تلك المترادفات المتحفزة..متوارثة في العائلة. هل كان الموت دانيا! لا، كان محتملا فقط، محتملا جدا، لولا أن اللثامين توافقا، كل ما أذكره أن يدي امتدت أيضا، في الواقع يبدو أنني ألقيت بكلّي على أبي، لأتلقّف الزخم الأول!

الثالثة، المرة الثالثة، في الحرب الأولى هذه المرة، لا أعرف قصتي مع العربات، ولكنه كان إخلاءً قسريا من مناطق التوغل، العربة مكتظة، بأرواح كل من أحبهم، أنطلق كالسهم وسط كل العربات التي تحمل أحباءها هي الأخرى، من ورائي أسمع صوت ضربات متفرقة، أزعق فيمن معي لإخفاض رؤوسهم، عيناي تتنقلان بين الطريق والسماء، أمد برقبتي قدر الممكن، علَ أي شيء يصيبني قبل أن يطول الآخرين! ملامح الشوارع مطموسة، يقودني الحدس والاعتياد، نصل لوجهتنا، فلا أكاد اسحب المكابح، حتى أجدني أقفز أخليهم من

الخلف، وفكرة الدرع لا تغيب عن بالي، عيناي على السماء، ويداي تحتضن كل شيء فيهم إلا أنا، ليصيب الصاروخ البناية التي كنا على بابها!

المرة الرابعة، ذكروني أن أقنع المهندس الذي صمم شقة في غزة، ليضحى جدارها كله نافذة. الحرب الثانية، لا أمان، لا مخابئ، البناية كلها تترنح، ترقص رقصة احترافية على بلاط أعصابنا العاري من كل شيء، والنافذة العملاقة تستقبل وهج الصواريخ فتحيل المشهد إلى كابوس حقيقي، البناية تزيد نشوتها فتتمايل، لا أمان، فئران في مصيدة، مصلوبة في أرض عراء، لا أمان، تنتظر لحظة الالتهام، لا أمان. مراجعات سريعة للبحث عن أكثر الغرف أمنا، والنتيجة صفر، لا أمان، حقا لا أمان، الموت يتربص في كل الزوايا، أنا لا أجده مخيفا إلى هذا الحد، كل الخوف كان عليهم....أجمعهم كلهم تحت الحوض،أقف أمام النافذة العملاقة، لأستقبل الذروة الأولى، الدفقة الأولى، أتلقفها عن كل من أحب تحت الحوض، كأن حيلة اللحم ستخدع علم المقذوفات!

إلى اين وصلنا! نسيت، الحرب الأخيرة، تهديدان متتاليان بالإخلاء، ما الذي كنت أفكر فيه، في المدة بين اتصال الإخلاء، الذي يعطيك خمس دقائق لتلملم في قرار سريع ما أنت عليه، وما هو لك حقا، خمس دقائق كاشفة، وغالبا تنتهك، وبين إسراعي للوضوء، لا أعرف، برود أعصاب، أم استهتار لا يغتفر، أم أنه استقبال ما ليس منه بد! لا أدري ولكن كان علي أن أفعل، قبل ان أجمعهم، ككل مرة، في عربة الإنقاذ، أتراجع للخلف، فأصدم باب السائق، ينبعج إلى الداخل، لا يهم، في السماء فوقي الزنانة تحوم، وشارعنا قفر قفر، مكشوفون جدا، متاحون جدا، وما كان علي إلا أن أحافظ على سرعة مطمئنة، لا أزيدها أبدا، فتثير عينًا يقودها هواها والتسلية، عوضا عن الشك. المسافة طويلة، بين الأمان النسبي الذي نقصده، وبين هدرها فوق الرؤوس.. ولكنني ألزم نفسي بسرعة مهادنة، لا خوف، فقط نظرات كئيبة على كل حمولتي من حب في المقعد الخلفي، كل حمولتي التي لن أحظى بغيرها...نصل، فأقذف بجسدي إليهم من المقعد الأمامي، يحتمون، فأجلس في عربتي المنبعجة، محاصرة ككل مرة، وأتنهد.

الموت في كل مرة، في كل مرة الموت، وأنا استنفذت كل شيء، وأنا لا أموت.

هِز الرمح بعود الزين

هِز الرمح بعود الزين

وانتو يا نشامى منين

واحنا شبابك فلسطين

والنعم والنعمتين

في بلعا ووادي التفاح

ريح الثورة يا عالم فاح

واستشهد فيها الفلاح

حط السنجة في المارتين

يوم وقعة بيت مرين

تسمع شلع البراكين

ومشيناها من جنين

لنوصل وادي التفاح

انتشر الخبر بجبل النار

دشعوا الناس صغار كبار

بمعركة متلا ما صار

بتشبه لوقعة حطين

نقطع النهر بأمان

والغاصب شاهد عيان

أرِّخ عندك يا زمان

ظلم وغدر الغربيين

#تراث-فلسطيني

يا ابن أمّي، يا ابن أكثر من أب

«لماذا ينبغي للعرب التوصل إلى السلام؟! لو قدر لي أن أكون زعيما عربيا، لما تصالحت مع إسرائيل على الإطلاق.

هذا أمر طبيعي؛ نحن استولينا على بلادهم، وهم لا يعنيهم في شيء أنّ الله وعدنا بها؛ لأن دينهم غير ديننا.

لقد كانت هناك معاداة للساميّة، ومعسكرات إعتقال نازية، ولكن ذلك ليس ذنبهم.

هم لا يرون إلّا شيئا واحدا، هو أنّنا جئنا الى هنا وسرقنا بلادهم، فلماذا عليهم قبول هذه الحقيقة؟»

ديفيد بن جوريون

تأصيلٌ لابد منه، آثرتُ إعادة إدراجه في هذا المقام.

ولمّا كنتُ مولعةً- وهذا من قديمي- بكتب د. مصطفى محمود وطابعه المعلوم في الرَّد على الشبهات؛ أذكر منها على وجه الخصوص ردَّه على مُسفِّه شعيرة الحج: ومن يومها وردُّه ذاك لا تُغادرني ركيزتُه: أنّنا كبشر كما بُرادةِ الحديد؛ تُجمِّعنا قطبيَّتنا فنتَّجه بكلِّيتنا لمركز الاستقطاب ذاك، بشكلٍ منتظم متراص يستدِرُّ الفِكَر..!

الجميلُ أنّ طابعنا المستَقطَب في أُمَّتنا تلك؛ ليس حكراً- بالمطلق- على الملتزمين، فإنّك لتلمحُ عبراتِ الشوق إلى مركز الاستقطاب ذاك، في أعينِ العاصي واللّاهي، فترقُّ لها أكثر مما تفعل مع نظيرتها في أعين المحسوبين على القطب..!

ولمّا كنّا طيناً نُفخت فيه روح، ولمّا كان ربُّنا الأعلم بمن خلق، فقد بات من المعلوم أن يُغذِّي ويُعزِّز في بشريَّتنا المركَّبة استقطاباً يميزُنا، جامعاً كأجلى ما يكون الاستقطاب، لا يُنكرُه منكر، ولا يجادلُ فيه مجادل..!

راقب نفسَك وأنت تتَّجهُ بكُلِّيَّتِك إلى قبلةٍ تلقاها خمسَ مراتٍ في يومك وليلتك، راقب ولاحظ صفاءك وتوحُّدَك معها= أنت مُستقطَب..!

راقب نفسَك معلِّقاً صورةً للكعبة في بهو دارك، تمرُّ عنها فتلمعُ عيناك دمعاً، وترفعُ كفيَّك ابتهالاً، والشَّوق منك وفيك = صدِّقني: أنت مستقطب...!

راقب نفسَك عندما تقرأ هذه الحروف؛ فلسطين. فعلت!! طيِّب يا سيدي المُبجَّل، مادمت فعلت وراقبت، فقد أدركت: أنك لابد استُقطبت؛ لئن كنت فعلت مسلِّماً، تحدوك فطرتُك وإرادةُ الله فيك، فهذا هو جلاءُ عقيدتِك، فبُشراك..!

ربُّك جعلها فيك قُطباً جاذباً تتنادى له أركانُك وتتداعى عبراتُك، هي حرمُك وقِبلةُ منتهاك، هي بوصلةُ أمّتنا، وبوصلتُك أنت أنت، راقب أثرها فيك؛ وعليه فاعلم مكانك من ربِّك..!

واعلم أيّها الحرُّ الكريم أنّ الإشارات أتتك تتبارى من أرضِ المنارة البيضاء، إشاراتٌ تتوالى، فاعلم وافهم، وتأمَّل..!

واعلم أنّ ما من دمٍ نزف على كلِّ أرضٍ لله، ما كان نزيفه إلا فداءً لقطبه؛ الحرُّ يعلم ويوقن..!

ربّك لا يرتضي لك أن تكون هملاً يا مسلم، فجعل من قرآنك: شرعتك ومنهاجك، وجعل من رسولك«:قدوتك ومعلمك، وجعل لك قبلة واحدة، وطالب جماعتك باتخاذ أمير السمع والطاعة، وجعل لك مآلا أرضيّا هو محشرك، حتى تلقى جنَّتك...! والمسلمُ الحقُّ الوفي يؤزُّه منتهاه ويعلم علمَ اليقين أنّ البقعة الجغرافية الصغيرة تلك، المُحددة بحدودٍ الله رسمَها= هي امتحانُه في أرضه، امتحانٌ عام يشتركُ معه فيه كل من قال لا إله إلا الله، واستوى..!

كلُّنا خلقُ الله، ومنّا اصطفى الأنبياء والرُّسل. والأيام كلُّها أيام الله، اصطفى منها الجمعة. والشهور كلُّها شهور الله، واصطفى منها رمضان. والأرض كلها أرض الله، اصطفى منها حرما آمنا، ومحشرا.

لا عادت فلسطين (1)

إن كان المسفوح ثمنًا، والسفاح من سيعيدها؛ فلا عادت فلسطين.

يالها من ليلةٍ مباركة، القمر فيها مكتمل، كأبهى ما يكون، ينثر خيوطه الفضية على الوادي تحتنا، فيرسم دربنا ببهاءٍ علويٍّ كأنّه يبارك خطانا، وينبينا بأنّ الله معنا.كنّا ننسلُ بحذرٍ شديد، أنا والصحب معي، نهبط الجبل على حدود القرية الساكنة، والتي لا تسمع لأهلها همسا، وقد غطُّوا في سباتٍ عميق. نحن الآن على مشارف القرية، وفي المكان المُتفق عليه مع شركانا وجدنا الشاحنة، تفحصتها وصحبي على عجل، أظنُّ سعتها مناسبة..! الآن أرفع اللثام، لثامي الأسود الذي أرهق أنفاسي، أثبُّ إلى عجلة القيادة، وأُطلق العنان لزمجرة المحرك لتمزق السكون، حاملاً معي الرفاق!

- فلننظم تفكيرنا، ونرتب خطواتنا كما سبق أن فعلنا، ولنبدأ من أول بيت من جهة الجبل يقابلنا.

- عائلة أبي أحمد، أنت تعرفهم!

- نعم، سبق لي أن حللت عندهم، وفي بيتهم من مرادنا كثير.

- على بركة الله!

أصطف بشاحنتي عند أول بيت، تتناهى إليَّ همهمات أصحاب الدار إثر الأصوات المتعالية للمحرك، لا ألتفت لها وقد بدأت عجلة الأحداث تدور، لتبدأ مهمتنا المقدسة! نقتحم باب الدار بكل قوتنا، دفعة واحدة وبكل الصخب الممكن، نندفع داخلها، نجوس في غرفها التي استوطنها النوم، وأضفى على أهلها غشاوة من تسليم! الوجوه الشاحبة، الأطراف المتجمدة، ونظرة البلاهة تلك تغشى كل الوجوه، ندخل عليهم حجراتهم، وهم في أوهن الحالات، بين نوم وإفاقة، لا يملكون من أمرهم سوى الحملقة والذهول، لم نعطهم الفرصة لاستيعاب الأمر، ولا حتى لرفِّ الخوف.

- اجمعهم كلهم، لا تذر منهم رضيعا.

الكائنات الصغيرة التافهة ترقد على أسرتها، ومنهم من افترش الأرض، ملتحفين بجسد الجدة العجوز، منهم من لم يستيقظوا بعد، مستسلمين لنومٍ ثقيل، بعد وجبةٍ دسمة من حليب الأمهات!

الرجال يدكُّون الأبواب، يجمعون الكائنات الضئيلة، من حضن الأم، من دثار الجدة، ومن تحت السرير، بدقةٍ بالغة يتشمَّمون أثرهم في كل ركنٍ وزاوية. طفلٌ أظنه لم يتعد الأيام من عمره، كالعلقة يتدلَّى على صدر أمِّه، يقتات منها أماناً موهوما.

- هاتوه.

الأم المذهولة، بكلِّ بلاهة الكون تحدِّق فيّ، تنتفض والرفاق يقتربون، تضمّه إلى جسدها حتى لتكاد تخنقه بضمتها، هذه المجنونة، عيناها تدوران في الحدقتين كمن أصابها الخبال، تتراجع بظهرها، وصدرها يعلو ويهبط من لهاثٍ متسارع، كأنها تسابق الموت.

- هاتوه.

يجذب الخرقة الآدمية منها، لتعتصره إلى كل جسدها، ولهاثها يصم آذاني، فيعمد إلى كل قوته لينتزعه منها، فتهوي بأسنانها على كل ما تناله من جسده، ويداها تتشبّثان برضيعها، ليعمد هو إلى سلاحه ينتوي إراحتنا من سعارها، فأنتهيه!

- دعها، ستموت ألف مرة، هاتوه!

يتكالبون عليها ليستلبوها خرقتها، والآخرون يجمعون باقي صغار الدار أمامي، الضفيرة الشقراء الناعسة لابنة الستة أعوام، والعينان الخضراوان لابن السنتين، تحدقان في، تكتشفان هذا الغريب، ولولة الجدة، وصرخات الأم، ونشيج الأب يقتحمون أذني، ليملؤنني ضجرا.

- اجمعوهم بسرعة، هيا!

على ظهر الشاحنة نلقي بهم، الضفيرة الشقراء تتحوّل إلى أمٍّ بغمضة عين، لتحتضن ابن الأيام، والعينين الخضراوين، تهدهدهما، والشاحنة تسير!إلى البيت الذي يليه، نجمّع الخراف الصغيرة، لا نذر منهم أحدا، رضعٌ وغلمان، وضفائر، كلُّهم كلُّهم، نكدِّسهم على ظهر الشاحنة، وعلى طريقنا نزرع الصراخ، والعويل! القرية تتحوّل من وضع الخمول الناعس الآمن، إلى جحيم من صراخٍ، ونشيج، القرية كلها كأتون ملتهب، يقذف حممه صرخات تشق عنان السماء، تركض الأمهات الحافياتٍ وراء شاحنتي، أياديهن تمتد تحاول استباق عجلات الشاحنة المزمجرة، أصابعهن تستطيل، تتلوى، حناجرهن تلعلع بعواءٍ يقتلني، تركضن، وتهوين أرضا، فتتداركن سقطاتهن، وتعاودن الركض، تركضن وتركضن، والكائنات الصغيرة ورائي تتكدّس في ازدياد! محاولات تافهة لتهريبهم لاقتنا، أطفالٌ تتسلق السطوح على ظهور الآباء، وأمهات يرقدن على أطفالهن، يحاولن تغطيتهن بأجسادهن، وأخرى كورت وليدها في بطنها، كأنه حمل لم يزل..

ما أغباهم!

أيظنوننا عميانا!

إنما هو التطهير الشامل، لا نذر عليها من صغارهم ولا جنس رضيع!

الآن شاحنتي غدت متخمة بحمولتها، حتى لتكاد تتجشأ بها، أصرخ في الصغار:

- فليسع بعضكم بعضا.

البكاء الخافت للبالغين، يشكمه الخوف المريع، والصراخ المتعالي للرضع، يفتقدون الدفء الذي اعتادوه، كل هذا المزيج يرهق أعصابي، متى أنتهي من هذه المهمة، لأنعم بالسلام! نصل إلى فناء مدرسة القرية، وفي صالتها أفرغ حمولتي، صحبي الآن في قمة هرجهم ومرجهم، يتحيّنون اللحظة المقدسة، والثأر العظيم!

أصفّهم كلهم أمامي، رضيعهم، وغلامهم، والضفائر، عيونٌ وعيون، لا أرى منهم إلا عيونا، عيون تحوطني، وتحدِّق بي، عيونٌ فيها أسئلة تدور، لا تترجمها الألسن، فتطلق لها العنانَ الدموعُ والشهقات..!

- الآن يا رجال، الآن نثأر لكلِّ قطرةٍ سالت هناك من قديم، استلُّوا أسلحتكم يا رجال، وتوبوا إلى ربكم عن ظلمكم، بهذي القرابين!

أستلُّ سكيني، سكينيَ المعقوف الجميل، ولأقرب رقبةٍ مني، أتناولها بقبضتي..

وأنحر!

الدم الجميل، الدم الأحمر القاني الجميل، له دفءٌ وأي دفء! يسيل على يدي، لأتنهدَّ تنهيدةَ الخلاص، والرقبة اللدنة ترتخي، والضفيرة الشقراء تتضمَّخ بالسائل المقدس لتغدو قانية، تسر الناظرين!

كلُّ واحدٍ من رفاقي كأنه في صراعٍ محموم، أيهم يسبق الآخر إلى تلك الرقاب، والدم يسيل، الدم الجميل يعوي على بلاط المدرسة الوحيدة في القرية، يعوي، ويسيل!

هذه الأجساد الصغيرة التي ملأت الدور حركةً وشغباً وضحكات، هي الآن تحت الأقدام ترتمي كالجذوع اليابسة، هذه الأجساد التي عمرت مقاعد الدراسة هنا، الآن.. تنتفض، وتنتفض، ترتجف، وترتجف، والروح تنسل بكل بطء الكون، الحشرجات الأخيرة، الانتفاضة الأخيرة.. تحتضن البلاط البارد، تدفيه بالدماء وتصبغه!

- يالحظي، ثلمت سكيني، أمع أحدكم أخرى حادة!

-ما تقول يا أحمق!!، بل بها فاذبح.

- حق، حق.

السكاكين المثلومة تجوس في اللحم الطري، تحزه مرة بعد المرة، والموت بعيد، لا يأتيهم ويعجل بهم، بل رويدا رويدا يُلوِّح مع كل حزٍّ جديد!

-يا عماه، اذبحني الآن أرجوك، أرجوك اذبحني الآن يا عماه.

-بل انتظر، لآخر الدور، لترى بعينك مصرع الجميع.

- يا حيدر، ما رأيك، أأبدأ بالغلام على اليمين!

- من! هذا!

-لا يارجل، بل ذاك.

العيون تدور في المحاجر، صوت اللهاث ذاك، الجراء الصغيرة ترتقب دورها.

- هذا!

- لا لا، بل ذاك.

- امممم، لا فلتبدأ بهذه.

الأنفاس المتسارعة للصغار، الشهقات المكتومة، ورائحة البول مع الدم، مزيجٌ كريه، متى ننتهي!

- أتسمعين صوت النحر يا صغيرة! رقبة أخيك هذه، انظري إليها، حدِّقي فيها، ما أجملها وهي مفصولة عن جسده، أكنت تحتضنيه! أكنت تلاعبينه! أختبأتما في حوش الدار وراء التينة العجوز! المسي دمه، هيا امسحي به وجهك الصغير، أرأيت! جميلةٌ أنت ودم أخيك الصغير على وجهك، ترتع فيه!

- اووووف، تعبت من الذبح، يدي ما عادت تسعفني، جيئةً ورواحاً على هاته الرقاب.. تعبت!

- وماذا تنتظر! أين الفؤوس والبلطات! اهوي بها على الرؤوس، ضربةً واحدة وتتهاوى هذه الأجساد، أتسمع صوت عظام الجماجم وهي تتهشم! يشنّف أذني، ما أجمله!

أجساد، أجساد، تحوطني الأجساد، أجسادٌ صغيرة، وأخرى لا أكاد أراها، أتعثر بها هنا وهناك، ورائحة الدم، الدم والبول، هؤلاء المعاتيه، ألا كففتم عن التبوُّل في السراويل! والآن، آخر صرخة، وآخر نظرة مذهولة، وآخر عينين، وآخر شهقة، وآخر رجفة، الآن فقط، أمسح سكيني المعقوف من الدماء النجسة، أمسحه بعصابتي السوداء، أقبِّل النصل الحبيب، أقبِّل الاسم الحبيب المنقوش عليه بزخرفةٍ بديعة..

- الآن، الآن يا سماحة السيد.. ثأرنا للحسين![5])

7 شباط 2015

أنا مخيم اليرموك

«(والأطفال يل ما قتلهون رصاص....جاعوا كتير....وماتوا!!)

هادا مخيم اليرموك..

شو فكركون إنتو؟!

هون تقاطع مصير الفلسطينيين اللي عم بيدوروا عن وطن، مع السوريين اللي عم يدوروا عن معنى الوطن.....جوة الوطن.

هادا هو المخيم، وهي هية حياة المخيم، وهي بيوت المخيم، وهي شوارع المخيم، وهي هية روح الإنسان في المخيم.

سميح شقير.

لا عادت فلسطين (2)

أنا مخيم اليرموك: فلسطين في قلب سوريا.. أنا وجاري مخيم فلسطين نبدأ معاً من جهة دمشق الجنوبية عند مدخل حي الميدان الجنوبي، ثم نفترق مثل الرقم سبعة: لأنتهي أنا عند بساتين السبينة والعسالي، وينتهي جاري: مخيم فلسطين عند يلدا وطريق السيدة زينب..! على يساري - أنا ومخيم فلسطين- حي التضامن وسكانه من العلويين والدروز، وعلى اليمين: كتيبة سفيان الثوري، وحارة حافظ الأسد العلوية، وفي آخرنا: بساتين العسالي، وحي السيدة زينب الشيعي..! في بدايتي وُضع مخفر اليرموك، والذي كان ما أن تحدث أي مشكلة في المخيمين؛ حتى تُغلق بوابتانا بالمتاريس، ويُعلن الاستنفار الأمني، لحصر ما يجري من أحداث وأزمات في داخل المخيمين.. لا تتعدَّاهما..! هذه طبيعتي وموقعي، التي أعدَّها المقبور بمكر بطريقة يسهل فيها حصارنا، وحجبنا عن حياة إخواننا من السوريين خارج المخيم..! ولكنَّ السوريّ، السوري الشقيق بطبيعته: ودودٌ بشوش، محبٌّ للحياة نبيل، يألف ويُؤلف، فأحببناه، وأحبّنا، وتصاهرنا وتناسبنا، وعمد إلى شراء بيوت ومحال تجارية داخل أسواري المحصنة بالدرك، والطوائف المخالفة لنا. فتم الانصهار بين الفلسطيني والسوري.. على أكمل وأتمِّ ما يكون..! خسأ المقبور بما فكّر ودبّر، وتغلّبت أُخوة الدين والمذهب الواحد، على كلِّ ما أُحيك بليل، فراجع أوراقه، وجمع عدّه وعتاده، من أبناء طائفته، والأقليات الموالية، وخرجوا علينا بمكرٍ جديد..! حامي حمى فلسطين، النظام الممانع والمقاوم، حلم القومية العربية منذ ناصر، وعدو إسرائيل-المجاهر بعداوته في كلِّ محفل- الوحيد، المقبور اللعين صاحب شعار: أمة عربية واحدة، ذات رسالة خالدة = بدهائه ومكره وخبثه: سمح للمنظمات الفلسطينية في التمركز داخلي أنا وجاري فلسطين، مبتزّاً بذلك أمريكا.. وإسرائيل!! بالترافق مع الأحداث ونشوء الحركات التحررية داخل الأراضي المحتلة = سمح المقبور لحركتي: فتح والجبهة الشعبية بالتواجد الفاعل داخل

أسواري، مع كل ما يرافق تواجدهما من مسيرات، وشعارات، ومحافل..! ومن ثم.. ومع بزوغ نجمي حركتي حماس والجهاد الإسلامي في الثمانينيات، واللتان كانتا تنتهجان المقاومة التحررية بمنظور إسلامي: مبعثه الدين والعقيدة، عوضاً عن الوطنية القومية، أقول: التفت الجموع - فلسطينيون وسوريون - حولهما، بدافعٍ فطري، يرى الخلاص في الدين، وفي الحركات الإسلامية أنها الأولى بالدعم والتأييد، خاصةً بعد اتفاقية أوسلو، وعلمانية الحركتين الظاهرة، فبدأ نفوذهما داخلي وبين أبنائي ينحسر، لصالح الإسلاميين..! وهنا، كانت فرصة المقبور، وجزرته الجديدة التي يلوح بها من فوق حماره؛ فبات يتاجر ويناحر بوجود الحركات الإسلامية البارز على أرض سوريا، معتلياً الموجة، وراعيًّاً للمقاومة، فيبقى الأب الروحي لها، وتخرج هي من عباءته، وابتزّ الدنيا بهذا الوجود، خاصةً إيران.. وإسرائيل..! فكان أن قرّب حماس، واستقبل مكتبها السياسي على أرضه، مجافياً في ذات الآن حركة فتح، حتى وصل الأمر إلى القطيعة، وانشقت فتح في سوريا عن فتح في فلسطين: تملقاً لحافظ، وأُخليت الساحة لحماس، التي تمازجت مع الشعب السوري، فأحبّها وأعانها، وسار هاتفاً في مظاهراتها.. بشعاراتها، واسم فلسطين..! فلما كان ما كان من قيام الثورة السورية المباركة: خجلت حماس من السوريين: من تعاطفهم ومحبتهم وتأييدهم غير المشروط لها، ولكنها في ذات الوقت أُحرجت من النظام الذي احتواها ويسّر لها السبل لتقوى شوكتها بين جنباتي، لتتجاوزني وتمتد شعبيتها بين أبناء الشعب السوري الشقيق..! وفي ذلك الوقت، وبينما الفصائل الأخرى -التي ركبت موجة الممانعة بعد أوسلو- أيّدت النظام، ووقفت معه في تصريحاتها في بادئ الأمر= وجد بشار ضالته عند هذه الفصائل، التي كان بأمس الحاجة لتأيدها في بداية الثورة، لكي يثبت أنّ الثورة ليست إلا مؤامرة صهيونية..!! فتآمر مع هذه الفصائل، والتي كان على رأسها الجبهة الشعبية بقيادة محمود جبريل..! بدأ جبريل في بثِّ سمومه بين الشباب الفلسطيني المتحمّس، فاستغل ذكرى النكبة الفلسطينية، مؤجّجاً نخوات الشباب، محرّضاً إياهم على اقتحام الجولان المحتل، وصولاً إلى فلسطين..! تدافع الشباب بحميّتهم وحماستهم، فحملهم في باصات، متسلحين ببعض العصي، وذهب بهم إلى حدود الجولان، وأمرهم باقتحام الشريط الحدودي الشائك، الفاصل بينهم وبين الوطن..! وكانت إسرائيل في استقبالهم: ترصّدتهم قوات الاحتلال الإسرائيلي، فحصدتهم حصدا، وهنا.. تضاربت الأقوال: فمنهم من قال أن الجيش السوري نفسه هو من أطلق النار على الشبان الفلسطينين، ولكن.. النتيجة واحدة، حيث لعب جبريل بأرواح الشبان، وجعلهم رسالة لإسرائيل: أن لا استغناء عن نظام الاسد، وإلا هؤلاء الشبان ستجدونهم كل يوم.. على الحدود..! عاد محمود جبريل بجثث الشبان المقتولة بدم بارد، وهناك - ومثل العادة -وضعوا منصة للخطابات ولتشييع الشهداء، ولكن الغضب الشعبي في المخيمات منع هذه التفاهات، واستشعر الاهالي أن أولادهم كانوا ضحية لعبة قذرة من النظام والجبهة الشعبية، فضجّوا وثاروا، وقامت معركة كبيرة، سُمع دويّها في شتى انحاء العاصمة دمشق..!! وكاد جبريل أن يقتل، ولكنه لاذ بالفرار، وهدأت الأوضاع بعدها بفضل بعض العقلاء، ولكن النفوس بقيت مشحونة: حيث أن الجبهة الشعبية أيضا لم تكف عن ملاحقة أي نشاط ثوري ضد بشار في المخيمات وتعتقل السوريين والفلسطينين، وأشرك جبريل قواته في قتال الجيش الحر المرابط في التضامن ويلدا، وعندما خرجت حماس من سوريا والمخيمات.. أطلق جبريل يده في كل مكان معيثاً الفساد والخراب، مما اضطر الجيش الحر يومها لاقتحامي لتأديبه وشبيحته..! وقامت الدنيا على الجيش الحر، وعلت الأصوات، وكلهم طالبوه بالانسحاب حتى يجنب الفلسطينيين المشاكل، ولا يقحمهم في ثورته، فانسحب الجيش الحر، باتفاق: أن لا يدخل المخيم جيش النظام أيضا، وأن يكف جبريل عن التشبيح..!! ولكن، ما كان لهم لا عهد، ولا ذمة، فعادوا لما كانوا عليه وألفوه من التشبيح، فتم طرد الجبهة مني بالكامل، وهاهو اليوم - جبريل- يحاصرني مع النظام وحزب اللات من الخارج، حصاراً محكماً، لا مناص منه..!!

سنتان دون ماء ولا طعام، ولا كهرباء، حتى الهواء كان يحتاج تصريحاً ليدخل أزقتي، ومُنع خروج من بقي في المخيم على قيد حياة، ينتظرون الموت، الذي يتربّص بهم من هول المعارك الدائرة حولي، وما طالني من قصفٍ مركّز ومتعمد، ليجتمع كل ذاك مع التجويع الممنهج، ويبقى أهلي.. تحت رحمة السماء..!

لا عادت فلسطين (2-2)

- جوعان يا أمي، جوعان.

- حاول تنام يا أمي، نام.

- ما عم بقدر اتحمل، جوعان.

- يارب، مالنا غيرك يالله.

ستمائة يوم؛ ستمائة يومٍ من الحصار المحكم، والتجويع الممنهج، والقصف العشوائي، ستمائة يومٍ ونحن ندفع ثمن أن تكون فلسطينياً، في بلدٍ نظامه يتاجر باسمك، ولحمك، ودمك.. مخيم اليرموك؛ فلسطين في قلب سوريا. أن تكون فلسطينياً، يعني أن تمسي رقماً يتاجر بك، وبهويتك، وقضيتك. مصالحُ شتى، مصالحُ متضاربة، تحمل اسم فلسطين على لافتاتٍ تروح وتجيئ على شاشات التلفزة؛ أن احذروهم، هذه القنبلة الموقوتة، ما يمنع عنكم شرارة فتيلها إلا نحن..!

مخيم اليرموك: فلسطين في قلب سوريا.. أن تكون فلسطينياً يعني أن تكون الورقة التي يلوِّح بها نظام الممانعة عند أول بوادر للاستغناء عن الوالد وما ولد: حامي حمى الجولان، ومبعوث إيران الصفوية، وشوكتها في خاصرة الشام..!ولكن أن تحيد عن المسار، وتتدخل في شؤون الدولة المضيفة، مقحماً أنفك الفلسطيني فيها.. فهذا لن يكون! وكان عليك أن تدفع الثمن: ثمن أن تزرع الوطن في صدرك، متلحِّفاً باسمه، متنشِّقاً عبيره القريب، على بعد خطواتٍ منك..أو تزيد!

- بدكن حرية!!

- اي روحوا رجعوا بلادكن بالأول.

ثمن أول حنجرة فلسطينية صدحت مع أختها السورية، والكتف حذو الكتف:

- واحد واحد واحد، فلسطيني وسوري واحد..!

مخيم اليرموك: فلسطين في قلب سوريا.. ستمائة يوم منذ أول قصفٍ بطائرات الميغ، على المخيم ذي المليون نسمة، من الفلسطينيين اللاجئين، وبعض الأشقاء العراقيين..!

قصف عشوائي، بكل ما يحمله من معاني: التخبط الأعمى، والإصابات الفادحة، والخسائر المفجعة..

- ما عدت آمناً هنا.

- وهل أمنتُ يوما!

مخيم اليرموك: فلسطين في قلب سوريا.. شبيحة جبريل تستلم الورقة من شبيحة بشار، يتراهن الاثنان: من منهما يثخن في عزَّل اليرموك.. ستمائة يوم، والمخيم لا يبصر النور، والطائرات تستهدف خزانات المياه الرئيسة، حتى الخزانات الصغيرة على أسطح المنازل.. المخيم أمسى بلا مخزون ماء، ولا كهرباء..

السلع التموينية تنفذ، فيعمد الفلسطيني لزراعة بعض البقوليات في حوش بيته، الذي يستلهم فيه الوطن.. ولكن..من أين له بالماء ليروي ما زرع، والزرع لا ينبت بالأمل، ولو كان في حضن الوطن..

مخيم اليرموك: فلسطين في قلب سوريا.. وحتى حليب الأمهات له أمد، ولكي يحصل عليه صغيرك، لابد لك من تصاريح ودمغات، وموافقة الجهات العليا، من مرتزقة جبريل، وشبيحة بشار، وفوقهم إسرائيل..!

- رضعي الولد

- ما بقى فيني

جلدٌ يكسوه عظم، ومحاجر جفّ فيها دمع العين، وحناجر سكتت عن آه..!

أن تكون أباً، وأبناؤك يتلوون من جوع، يستصرخون فيك أبوتك، يستنجدون فيك عاطفتك، وعيونهم إليك شاخصة، وجلودهم مشققة، وأفواههم فاغرة، تعلو وجوههم سكرة الموت..

- جوعان يابي، جوعان.

وأنتِ يا من جلبتهم إلى الحياة، وفي صدرك حياتهم: فرغت منك الحياة وأسبابها، وغدوت خرقةً بالية، ترقب بعيونٍ جاحظة، وتتحسس بأنامل متخشبة وليداً يعلّق عينيه على وجهك، ويلهث بأنفاسٍ متقطعة، خافتة، لا تكادين تسمعينها من وهن، يراك هو خلاصه، وملاكه الذي يأتيه بالحياة، وأنت يا أمٌّ مكبلة، ما عاد فيك حياة تهبينها، لمن تتنسَّمين فيه الحياة..!

- ماما

- ماما

- جوعان يا ماما.

مخيم اليرموك: فلسطين في قلب سوريا يا زمان رؤوس الجبال: من لنا بابن عبد العزيز، علَّنا نُعدُّ طيراً، فنقتات كما الطير!

أطفالٌ صغار ينكشون الأرض، عن عشبٍ أو خشاش، توارى عن أعينهم الصغيرة، هنا أو هناك، وبأسنانهم اللبنية البائسة يستخلصون عصارته، ويحمدون الله أن منّ عليهم برزق اليوم..!

مخيم اليرموك: فلسطين في قلب سوريا..

- انت وطي وانا بطلع فوق ظهرك، اي!

- اي مشي الحال، بس عجلي يللا.

عندما تضحى زيارة الحاوية الخاوية، بحثاً عن بقايا ما اقتاته القوم، فرضاً يومياً، يعودون منه بالأمل.. أو بخيبة جديدة..!

مخيم اليرموك: فلسطين في قلب سوريا.. والهررة، الهررة الشامية السمينة التي تسر الناظرين، والتي كانت تتبختر بين الأزقة آمنة مطمئنة، أضحت صيداً ثمينا، يهلل المرء إن وجدها ويكبر، ويقودها مع خربشات واهنة، ليقتاتها بنوه..!

مخيم اليرموك: فلسطين في قلب سوريا.. مليون نسمة، ومخيم، وطائرات، ومدافع هاون، وحاجز!

وللفلسطيني مع الحواجز حكايا، كأنها قدره، وعندها يلاقى الموت، على أهون سبب!

- وين رايح حجي!!

- بدي جيب خبز للولاد.

- مو على كيفك حجي، انبح بالأول.

- شو!

- عم قلك انبح، عوِّي

- اربطو بالحبلة

- انزل ع الأرض ولك حيوان

- لك أنا بعمر أبوك يا ابني

- خسيت.. شد الحبلة ع رقبتو هالحيوان.

- عوّي

- عووووو

- ايوا..وهلا وين بتحب تاكل الرصاصة!

- ما بدك تعطيني خبز!

- اي بالجنة حجي..

مخيم اليرموك: فلسطين في قلب سوريا..

عندما يغدو سكان المخيم محض أراكوزات، تستخدمها أفراد عصابات التشبيح لتسليتهم، وإرواء ساديتهم، المتعطشة لكل ما هو مستهجن وشاذ..!

رغيف الخبز الذي حرم منه سكان المخيم لستمائة يوم كاملة، هاهو اليوم يقايض بحياة أحدهم.. يعلّقونه- الرغيف- على عصىً، يلوِّحون بها لأهل المخيم، الذين أنهكهم الجوع، وأضناهم، ليدفع القهر والغل والجوع أحدهم ليقدم، فيردونه صريعا..!

يتكوَّم ابن حارتك أمام ناظريك ميتا، فتزدرد ما تبقى فيك من لعاب، وتخطو نحو رصاصهم، لتنال الرغيف..!

عندما يُهزم الخوف، عندما يندحر الخوف، كل خوف بشري فيك مما يخاف منه، ليحل مكانه رغبة تسوقك إلى حتفك، بكل ما فيك من لامبالاة، كأنّما فُرّغت من إنسانيتك، ليشخص أمامك الرغيف، مواريا في طريقه، كل الرصاص..!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

من الكعك المقدسي، إلى الجبنة الحلّوم

«وأحاديث فضائل البلدان لا يصحُّ منها إلّا فضائل الشام»

لمُا

لم أُطلع على قراري هذا أحداً ولم أستشر، ولم يعلم به أحد حتى هذه اللحظة التي قررت فيها البوح به، عندما سابقت يدي تدافع السيلان العصبي في دماغي لتضغط بكل يقين.. على زر التسجيل!

كان طلباً للالتحاق بمهمةٍ تابعة للأمم المتحدة التي أعمل بها، مهمة في سوريا بالتحديد، وفي أوائل الثورة تقريبا، يومها لم تكن حلب ولا دمشق انضمتا إلى ركب الثورة المباركة المندلعة شرارتها من درعا بعد، وكان المخطط -حسبما تقصيت- يقتضي أن ندخل الأراضي السورية من جهة محافظة إدلب، أما المهام الرئيسة فقد كانت تقتضي تسجيل الأضرار الهندسية وتقييمها، وإرسال التقارير المعززة بالإحصاءات والصور.

يومها بذلت جهدي في تنسيق سيرتي الذاتية وتنميقها، ولم يفت في عضدي أبدا إعراض زميلاتي من المهندسات عن إلحاق الطلبات، لما فيها من خطر! ولا تهافت كبار المهندسين عليها..لما فيها من خطر أيضا! ولا الكم الهائل من التسريبات التي كنت أتابعها وألاحقها من داخل الأراضي السورية، ابتداءً من مرحلة السلمية القصيرة جداً في عمر الثورة، إلى بدء مرحلة الإنشقاقات.

حسناً، لن أنكر أن مذاق الجبنة الحلوم -والذي ربيت عليه- لازل في فمي حتى اللحظة، مع الكثير الكثير من حكايا الجد، بل لربما كان سعيي لتكرار تجربة المذاق تلك هو ذات حلمي بتكرار مذاق الملبن المقدسي، والكعك بسمسم، اللذين كانا يهلان على بيتنا كل جمعة، فلا يمكثان إلا قليلا!

كل ما كان يملأ علي تفكيري حينها هو يقيني التام الذي اعتنقته -ولازلت- على أن الثورة السورية بالذات، هي الثورة المفصلية التي سيؤثر مآلها بشكل مباشر على قضية فلسطين: الوطن الذي يحيا فينا كلنا باعتبارنا مسلمين، دون كل الثورات التي سبقتها والتي تلتها على حدٍّ سواء، بل أزيد وأقول: إنّ كل الثورات ما قامت إلا لتراوح مكانها، وتستعر نافضة عن كاهلها خبث الأغيار، فإذا ما نضجت وصُفِّيت الصفوف فكانت لله وحده = وصلت بها ذروتها على أعتاب الشام بالذات؛حيث مراد الإله، أقولها بلا أدنى قدر من هراء الأممية، غير مبالية بسقم من حال شركهم فيهم، دون وعي هذه الحقيقة..والتشريع لها!

في تلك الأيام كان ينتابني حنق شديد- ويبدو أنني ما زلت- حنق وخذلان: أن كيف لم يعوا هناك في كوكب العرب أن خلاصهم كلهم وتخليصهم يصطرع في كوكب يقال له شام. المريب أن هذا الحنق الذي يميز غيظا ما عهدته إبان الانتفاضة الأولى على أرض وطني فلسطين، كنت أجد كل الأحداث التي تستنزف أرواحنا هنا هي قمة عطاء الله، بل هو العطاء بعينه لشعبٍ مقاتل بطبعه، إن لم يجد من يقاتله..أفرغ كل شحناته من الجبروت في بعضه البعض، هكذا كنت أراها، بل وإنني عددت اليهود من نعم الله علينا، الذين أشغلونا بهم ومقارعتهم على تغيير البوصلة، بل وقلبها رأساً على عقب بلا أدنى أثر لشمالٍ أو جنوب!

وزاد الاصطفاء بتأطير القضية لتكون إسلامية، واصطنع منا رجالاً -وكلنا رجال-دونهم النجوم، لتتأجج الصدور المستعرة بفطرتها، بنيران لافحة تحرق المحتل العقدي!

أما وقد بلغ السيل الزبى، وتعاظم صرح الخذلان الذي تقبَّلته بكامل الرضا، على أرض مكتوب عليها المراوحة إلى الميعاد المعلوم، كما يقتضي الإيمان= فليس له أن يصل بهم-هؤلاء- إلى تجاهل ما يحصل في أرضٍ أوصى بها رسول الله، وشدد في غير ما حديث صحيح السند على مكانتها، وكانه كان في سابق علمه أن كل هذا التشديد والتركيز والتحفيز..سيذهب أدراج الرياح، حيث أمة مثقوبة ذاكرتها، منزوعة الغاية لا تحسن التفريق بين طينية أوطانهم، وأوطان مخصوصة لها مكانتها عند من خلق، ذات طبيعة استقطاب لا ينكرها إلا جاحد، أو خؤون، بل -ولبؤسهم وسقامهم- استهانوا بالجلل الذي عليه تقوم الأمة، وانشغلوا

بمهاترات عبثية، ومقارنات ممضة، وألو استقاموا لأدركوا الغاية وبذلوا لها حاشدين في مكانٍ وزمانٍ معلوم، لا يخفى إلا على تائهٍ قلبه، مبكَّت عمله!

وإنها لتحضرني في هذا المقام نوايا خبيثة، مفجعة في غاياتها بالتواطؤ مع من استحل الدم، وتأبط شراً للأمة جمعاء: أعماها قبل البصير..بدعاوى ضرورات ومحظورات...وغلبت الروم. دعاوى أقحمت دعاءً جديدا على قائمة أدعيتي دبر كل صلاة: أن يمحق الله فلسطين عن بكرة أبيها..لو كان ثمن عودتها نقطة دم تراق هناك!

يظنون أن الله يعيد فلسطين-كاملةً- بخبث النوايا، وهي الطاهرة التي لا تقبل إلا طاهرا، ولن يعبر نهر التخليص إلا من اصطنعه الرب على عينه من بعد الفتن التي تسبك الإيمان سبكاً فيقر في الصدور!!

المهم يا سادة يا كرام، وبما أن منظمة الأمم المتحدة التي بها أعمل تؤسس لفكرة (الجيندر) والتي تحمل معاني المساواة بين الذكر والأنثى في الفرص والتكاليف..يبدو أن ما تدعو إليه في مواثيقها الرسمية خلاف ما تنفذه على ارض الواقع، وإن كانت المخالفة من طرفٍ خفي، لا تجاهر به..فكان أن رفض الطلب، «وراحت عليَّ» الجبنة الحلوم التي بمذاق الكعك بسمسم..المقدسي!

حمص العدية

«مدينة مليحة، أرجاؤها مونقة، وأشجارها مورقة، وأنهارها متدفقة، وأسواقها فسيحة الشوارع، وجامعها متميز بالحسن الجامع، وفي وسطه ماء. وأهل حمص عرب لهم فضل وكرم. وبخارج هذه المدينة قبر خالد بن الوليد سيف الله ورسوله، وعليه زاوية ومسجد وعلى القبر كسوة سوداء».

ابن بطوطة

وفي حمصَ العَديَّة لنا طفلٌ ضاحكٌ أبلجَ الضحكات، يتنفسُه الفجر فيُذكي طهرَه، طفلٌ تغرِّدُ بسمتَه، فينصتُ أغنُّ الطير ليتعلم. طفلي هناك ساقوه إلى الذبح وإخوتَه، أوثقوا منه ندى اليدين، وأحكموا الوثاق، حتى استجدت عروقُه، أجبروه على مراقبةِ ذبحَ أختِه الصغرى، سمع صوت صمتها الطافح رعبا، وعينيها الواسعتين ترقبُ نصلَ الموت القادم، أجبروا المسكين على سماع الحشرجات، واللهاث، أجبروه على سماع صوت الخوف مرتقباً دوره ذات ذبح. في حمصَ ساقوا الحرائر إلى المساجد، يشهدوا الله في بيتِ الله، فتتزلزل حيطانه أنينا. في حمص حُفرت خنادق وأخاديد، ولقى أصحاب الأخدود خالقهم ذائدين من حريق. في حمص أمسكوا بالرضيع من شعر رأسه، وأوقدوا نارا وجدت لظاها في قلب أُمِّه وهي ترقبُ شيَّ كبدها على مهل. في حمص خناجرُ معقوفة، واستغاثات باطلة مزخرفةٌ على نصال، مرآها يُبثُّ الرعب في قلب صنديد. خناجرهم لهوا بها على جسد الوليد، تشريحاً وتمزيقاً، طولاً فعرضا.. وأمٌّ أخرى تصطلي.

في حمص رجالٌ أسود، أحرارٌ أبناءُ أحرار، ذرٌّ خالدَ في أصلابهم مازال؛ انتهكت أمام ناظريهم المحارم. في حمص كلُّ فظائعَ القرون الوسطى أُعيدت من أجداثها، كلُّ موتٍ كان.. بُعث هناك حيّا، بمخيلات مريضة يأنفُ منها شيطانٌ مريد. في حمص لنا صهرٌونسب، نعلمهم ونعرفهم، يحبوننا ونحبُّهم، نحفظ أسماء حواريهم وأزقتهم، سهرنا على عريشة كلِّ سقفٍ هناك، وجرى في دمائنا ماؤهم السلسبيل. في حمص هناك، وهم ينزفون كما لم يُنزف، وهم يودّعون شهداءهم بأطباق الورد، وهم يبكون دماً قانياً يجري مهداراً على وجوه العز= لم ينسوا لافتةً صغيرة حملوها في كل تظاهرة، ودعوةً لاهجة على لسانِ الحرائر الكريمات قبل الرجال، وزمجرةً عاتية بكل حرقات الصدر أن؛ إلى فلسطينَ عائدون. أُناسٌ عرفوا مآلهم، مستقطبون، أقحاحُ العقيدة، أصحاحُ الفطرة، قالوها مدوِّية، ومنذ البداية: يا الله، مالنا غيرك ياالله، وجايينك يا فلسطين..فتأمّلوا.

حلب

«قدرها خطير، وذكرها في كل زمان يطير، خطابها من الملوك كثير، ومحلها في النفوس أثير، فكم هاجت من كفاح، وَسَلَّ عليها من بيض الصفاح، لها قلعة شهيرة الإمتناع، بائنة الإرتفاع، تنزهت حصانته من أن ترام أو تستطاع، منحوتة الأجزاء، موضوعة على نسبة اعتدال واستواء، قد طاولت الأيام والأعوام، ووسعت الخواص والعوام».

ابن جبير الأندلسي

حلب يا أجملَ مدنِ الشرق، وأفخرَها زينةً وجلالاً، يا فخارُ، يا عتيقة، يا أخت التاريخ، يا صنو الحضارة. يا عليّة البناء والمنار ياحلب، يا ظلُّك الضافي، وماؤك الصافي، وسعدك الوافي، يا منهلاً لكل وارد، وملجأ كلّ قاصد، يا مقلة العين بهاءً، ونسائم الجنان هواءً. وقاطنوك الأباة الشامخون، الآلقون الفاخرون الماجدون؛ اختصّهم الإله بطيب غرس، ونقاء نفس، وظرف ولطافة، وخفّة وقيافة، بناتها حور عين؛ لحاظهنّ والرّدى، وقربهنّ جنات ورضا، تأسرنّ ذا اللّب وتصيّرنه في آن مولىً، وسيّدا. آهٍ يا حلب، يا قلعة ابن تيمية في الحق صدّاحة، يا منارة يا جليلة، يا زاهية يا وارفة، يا درّة تاج الخلافة أزمنةً وأزمانا، آهٍ وقد أترعك الشُّذاذ ألوانا من الحقد لا حصر لها، حقداً طال حجارتك وقلاعك وحصونك، ولم يطل منك الرّوح يا حلب. لقطاء تاريخ هم يا عزيزة، مترعون بخسة وصغار، تقودهم خزعبلات وفجار. نقماتهم يصبونها عليك صبّا، وينّزلها الرحمن عليك بردا وسلاما، يغدرون ويسفكون ويهرقون، وما زادوا سكّان الجنان إلّا حلبيّا آخر. من أين جاؤوك يا ألق، ينسلون إليك من غياهب كهوفهم المظلمات، يتطاولون بنيانك الشامخ، وجبينك الوضّاء عزّا ومجدا وشُهبا، وكيف غفلنا عنك يا كريمة! اعذرينا حلب.؛ فمن باع القدس، دلّلَ عليك.. في سوق النِّخاسة!

يا شاكي النّوب انهض طالبا حلبا

نهوض مضنى لحسم الداء ملتمس

واخلع إذا حاذيتها ورعا

كفعل موسى كليم الله في القدس.

سوريا يا حبيبتي

«يا فلسطين، سوريّة معاك للموت.. »

هتاف مظاهرات سورية

كنّا، ومع أول حرف خطّه الخطيب وثامر على جدران مدينة درعا، نرقب بوجل مسار الثورة السورية المباركة. الحل المعتاد بالاجتثاث لم يفدهم وهم يقتادون بضعة الأطفال إلى أقبيتهم - التي نعرفها حقّا- غضبة الإنتقام الذي لسان حاله «كيف تجرؤون!« تطلق أعنّة كلابها تعيث بعشوائيةِ ثورٍ هائج يكيل الموت أنّى حطّت حوافره= لم تغن عنهم أيضا. حتى محاولته - أعني النّظام- الرّعناء في استمالة العشائر بإرسال مندوبه المتعالي التعس لتهدئة الخواطر - كما الذئب يسترضي فريسته- لم تجلب عليه إلّا مزيدَ نقمة.... وثورة. خطابٌ باطنه الظاهر كما يعلمون جميعا: دمكم حلال إراقته أبدا، فما خطبكم؟!! أتستنكرون علينا فعلتنا التي كانت فيكم مُذ وجدنا - في غفلة من التاريخ - على أرضكم! كنّا نرقب تتابع الأحداث وقد بلغت منا القلوب الحناجر، نقول- غير مخفية عليكم- لأن يبلع الأطلسي أمريكا، أو تموت جلالة الملكة الأم- أخيرا- هو أقرب من ثورة في الشام على آل الأسد.

وإذ بهتافات أطفال درعا: أجاك الدور يا دكتور، وما تبعها من حملات مسعورة همجية، كأنّها أذان الله في أرضه المباركة، تهبّ لها حمص الوليد - المحافظة الأكثر إرهابا وإثارة لغيظهم - تتبعها حماة ململةً أشلاء بنيها، ماسحة دماء مآقيها من نواعيرها المثخنات، فشام الرسول بأسرِها. أوتعلمون!! أن يهب المسلمون جميعا من غدِهم لأقصاهم فاتحين، ليساوي عندي فرحتي بثورة الشآم، أي والله، ونحن نعلم عن حكمهم

ما نعلم، وقد رُبينا نرقب طلائع بعثهم، وحل وترحال المقبور؛ عن عقيدتهم الخبيثة يوم خُدع الطيبون -كعادتهم- بمسوحهم التقدميّة المتسربلة أسمال القومية، بمسمّى البعث تقيةً، وتاريخهم اللقيط، وهم سكّان كهوف مظلمات، ينسلون منها إلى ربوع الطيبين.

نبدأ صباحنا ب (صباح الخير يا وطناً)، ونختمه بحكايا الأجداد عن الخال المفقود، والأقبية المتسردبة التي ينحني لها خيال كل شيطان مارد، يجأر إلى الإله شاكيا تجبّرهم، حتى لتبدو محاكم التفتيش - لو جرُأت وقورنت بها - أشبه بنزهة برّيّة بريئة!! وإنّي لأعجب؛ كيف للعقائد الباطلة الموغلة في عفنها، أن تستقطب جندها وتعبِّأهم تعبأة الجند المفادين بأرواحهم عنها، ونحن - أصحاب العقيدة الحق- في سدراتنا لاهون!!

ما الذي يجمعهم، فيحث فيهم نكايات الثارات الحيوانية، يتقرّبون بها متلذذين، وكلّهم انتشاء لخيالات مزعومة محرّفة، يمجّها كلّ ذي لب! أهو مفهوم الدين في العقل الجمعي، والذي يدفع كل بشري إلى اللجوء لفكرة يوسِعها تماهيا وفداء، بل يموت في سبيلها في مازوخية الفناء!!

أهي وعود ومآلات دنيوية لا تتحقق إلا بإزاحة العدو الأوحد إن استيقظ، توسعات وهيمنة كطبيعة بشرية، تهوى الامتداد - ولو بالإنجاب - لتحتفظ بوجود وفكر حتى لو بعد موت، كما الأميبا! أهي النزعة الهتلرية في تسييد مذهبٍ أو عرق استعلاء، أم لعلّها عقدة النقص المركبة ممّن كانت نساؤهم تتنقل بين بيوت أجدادي السنّة، لتنظيفها وخدمة ربّات خدورها الأصيلات، الكريمات، والعفيفات!!!

طيب، وما الذي دهانا نحن الأسود حتى مددنا رقابنا لقرودٍ نمكّنهم منها!!

أفينا، بعض ما فيهم، فكان لزاما!!

فلسطيني وسوري واحد

«كنتُ أتممتُ ما شاءَ الله ليَ من أشواطٍ، أدعو على طاغيتي مصرَ والشَّام، ثمّ ألحقتُ بهما اليهود! وما أنسانيَ المغضوب عليهم إلّا الفطرة: تقيسُ قياسَ المنضبط، وهؤلاء السوريون: بهم نعلمُ أنّ الله جابرُنا، وبمساجد الضرار -كُهّان الفتنة- نكفر».

لُما

وكنتُ متى ما صعد لنا شهيدٌ إلى سماءٍ على أرضنا، أجدُ في نفسي حرجاً تُخالطه مرارة ذنبٍ لا تُطاق، كلما توالت أعداد من يصعدون إلى ذات السماء، من أبناء امتدادنا العقائدي والجغرافي الواحد؛ نتصدَّرُ نشرات الأخبار أرقاماً تتبارى، وتتناوبُ على دقائق شأننا وسائلُ الإعلام، فتلهجُ القلوب دعاء، وتجود العيون بمدامعها لهفىً علينا، وكلٌّ بمظلومية التقصير في حقِّنا يجأر. فإذا اكتمل نصاب البين، تلتنا البضعةُ منَّا خبراً عابراً وأعدادا، وكأنَّ الموتَ حرفتُهم، لا هم بمعجزيه، ولا هو بمعجزهم، استطابَ المقام في أرض الجمال، والطهر، والخير، فأعملَ فيهم مناجله أصنافاً تعافُها الأسماع، عوضاً عن قرائحَ أباليسٍ تمجُّها. سوريَّا، سوريَّا الشام، والشامُ سوريَّا؛ خلافةً انضوينا تحت لوائها- وعلى خصوصية فلسطين- كنتِ أنتِ أنتِ الحضنَ الأرحب، تاجاً عامراً بالأسبابِ العُلا تمايُزاً قدَرِيَّاً.. وفلسطينَ درَّته. فيكِ، وفيكِ وحدك أدار لنا حنظلةُ وجهه مُيمِّماً، ومشى في ساحات مخيَّمٍ توسَّط العاصمةَ الأبهى؛ منتصبَ القامة، مرفوعَ الهامة، تافلاً في وجه حكوماتِ عهرٍ، صنعت له في البارد، والجلزون، واليرموك الشرقي، مقابرَ أرقامٍ تعافُها الأموات. السوريُّ الجميل وحده تقرَّب إلى الله -مجتهداً- بتقليد اللهجة الفلسطينية مُباهياً. السوريُّ الجميل وحده تقرَّبَ إلى الله بمصاهرة الفلسطيني، بتسمية أولاده بأسماءٍ اختصوا بها، بترويج بضائعه، بالرقص حتى التعب في أعراسه، والبكاءَ حتى الإعياء في أتراحه. السوريُّ المتعملقُ نخوةً ونجدةً ورجولة؛ فرش لنا حصيره، شاركناه زاده، هشَّم لنا مطموريَّته، ذاد عنَّا بدمه، ومعه كتفاً لكتف سرنا في مناكب الأرض الطيبة المباركة. وحدها سوريَّا -ويا لخيبة النظام، أرادها ممانعةً مُسيَّسةً فأضحت واقعاً يُعاش- تماهى فيها الفلسطينيُّ مع السوري، على امتداد جغرافيا المذاهب، والطوائف، والقوميَّات، ورغم أنف الحقبة الدخيلة. سوريَّا يا حبيبتي: نشيدٌ ما فتئنا هنا نلهجُ به، من اللُّدِّ إلى المنارة؛ معذرةٌ إليكِ منكِ، يا طهرَ الأرض وبركتَها، يعلمُ بارئُ الأنفسِ، أنَّ

لكلِّ فلسطينيٍّ سرى شهيداء روحٌ تنفطرُ عليه مرة، وعلى السوريِّ مرات ومرات، ولكنَّها سنَّةُ مالكِ الملك تمحيصاً فاصطفاء، نخطُّها بالدم ابتداء، وانتهاء: «فلسطيني وسوري واحد«.

10 أيلول 2014

شقُّوا الجيوب..

شقُّوا الجيوبَ وعفِّروا الأذقانَ، قد أعدم الكون الفسيح مكانا

هجرَ الصفيُّ ربوعكم وسماءكم، وجزى بفضل الناصرين سوانا

وإذا البحارُ جميعها قد سجّرت، بلظى الوقيعةِ: عارُنا وعُرانا

أرداكم الرحمن حيث ثقفكمو، حيران يتبعُ في الهوى حيرانا

من ذا يدبّرُ في الخفا أعذاركم، من ذا يواري سوءةً وهوانا

إن كان من رفع السما بيمينه، ألقى عليكم وصمةً: عربان!!

لُما

هؤلاء المغاربة... ما سرُّهم!!!

«إعانة فلسطين فريضة مؤكّدة على كل عربي وعلى كل مسلم، فمن قام به أدّى ما عليه من حق لعروبته ولإسلامه، ومن لم يؤدّه فهو دين في ذمّته لا يبرأ منه إلا بأدائه.

ومن سبق فله فضيلة السبق ومن تأخر شفعت له المعاذير القائمة حتى تزول، فإذا زالت تعلق الطلب ووجب البدار».

محمد البشير الإبراهيمي

وإنِّي لأعجبُ من حبٍّ أَسرَهم، فإن لفظت اسم فلسطين= تهافتت حناياهم، وأثلجوا القلب بألسنةٍ فصاح، تغترف من معينِ أفئدةٍ بالحبِّ عامرة، وتجود. إن قلت فلسطين ما استحضروا نخوات أوطانهم، ولا قارنوا ولا غضِبوا، وكيف يفعلون وهي وطنهم قبلَ الوطن! يعرفون يقيناً،ويفخرون. أحفاد عقبة إلى ابن باديس، الفصحاء الأشداء، وكلُّهم قويٌّ أمين: نحبُّكم حدَّ الأمل، إلى الفتح. تربَّوا معنا فيها، وإن غرَّبوا وشرَّقنا، تلمح في عيونهم قبضات المقلاع والحجر، فإن نزفنا تأوَّهوا عنَّا، وإن جعنا تضوَّروا، حتى أهازيج الصغار حفظها كبارهم عن ظهر قلب، وردَّدوها معنا في حاراتهم.. حاراتنا. في يقينهم معاريجٌ كثر، يُسروَن فيها كلَّ ليلةٍ إلى البيت المقدَّس، يوقدون مصابيحه بهتونِ دمعِ المحاريب، ويشهدون، معنا ومع الصَّحبِ والتابعين، صلاةَ الأرواح خلفَ الأمين. وفي كلِّ ليلةٍ يستودعونَ المُهج، في قناديلِ ساحِ الأقصى عند أمنائه.. وإلى مغربهم يعودون.

صديقتي الجزائرية

«والجزائري بطبعه صحيح لا يتمتع بملكة فنّ الكلام، لكن من المعلوم أنّ الأسود لا تزأر إلّا لما يقتضي الموقف ذلك، وإلا فهي خاملة الحركة ظاهرا، وليست، ولن تكون خاملة الذكر أبدا».

إسماعيل القاسمي الحسني

(كاتب جزائري)

حديثي مع صديقتي الجزائرية التي أحبها جدا، كان أكثر من شيق، ليستمر قرابة الساعتين، ثم لأجد طريقي نحو التواصل الصوتي معها، مستفهمة عن كيفية نطق القاف في مدينتها التابعة لولاية في الغرب الجزائري،

لترسل إليّ تسجيلا، محاولة فيه التمثيل بكلمة واحدة وحيدة، ظلت تكررها والتصاريف المختلفة لجذرها. فكانت تردد من غير سأم: نقولوا قتل، يقتل، قاتل، تقتيل، لأقاطع ذلك السيل الجارف من القافات، الحصار المحكم منها في الواقع: يا ابنتي، ألأنني فلسطينية، لم تجدي في قاموسك ما يناسب..غير القتل!

وعقدنا العزم أن تحيا الجزائر...وهيك

عن العراق

«كلُّ ما أوقنه أنّني رُبيت صغيرةً والعراقُ عندي هو العراق، وكأنّ الاسم وحده كافٍ ليكونَ سببا.»..

لُما

عرفتُها أولَ التحاقِها بالعمل في ذات المنظَّمة الدَّوليَّة التي أعملُ بها، محاسبةٌ هي، وردت فلسطينَ من العراق مع قوافل الفلسطينيين العائدين، إبّان الغزو الأمريكي، وسقوطنا في بغداد. لازمتني ولازمتُها؛ تترقَّبُ هي كلماتي وطريقةَ نطقي بها، محاولةً جَهدها تقليدي، مغالبةً لهجتها العراقية المكتسبة من مولدها فيه، بل وبلغَ الأمر أن سعت لتقليدي حتى في سلوكياتي، تقمصتني بالكل، تائهةً سادرة في سحراللهجة الشامية، المضفية على أهليها طبائعَ لا تُنكر، ولازمتها أنا؛ أستقي منها وأنهل كلماتِها العراقية الفخيمة، أحثُّها حثَّاً، وأدفعها للبيان دفعا، مختزنةً تلكم المفردات في صندوقٍ مزخرفٍ منمق، يليق بسحر العراق، في سويداء الذاكرة.وكنت إن تمازحت معها، أبدلت لهجتي باللهجة المصرية؛ المتوثبة الخفيفة، فتحثُّني مغاضبة: لا تحشي مصري!!ولأجل خاطرها بالغت في شاميتي، ما درجَ على لسان الأجداد، من كلماتٍ ظريفةٍ، لطيفة.. كما الشام. وكانت تعجبُ هي أشدَّ العجب من انهماكي في استنطاقها، وسعيي الحثيث لملئ صندوقيَ المزخرف بما تجود به من كلمات. والعجبُ عجبُها، أي والله... أوَتعلمونَ لِم؟!

لم أدرِ لساعتي ما سرُّ شديدَ تعلُّقٍ بعراقٍ وأهله، ولا يعنيني أن أعرف.

أوَ تُجهدُ عقلك في معرفة كنهَ حبِّ عراقٍ حقّا! أوَ حبُّ أبيك يُفسَّرا!

كلُّ ما أوقنه أنّني رُبّيت صغيرةً، والعراقُ عندي هو العراق، وكأنّ الاسم وحده كافٍ ليكونَ سببا.

أذكرُ جيداً أولَ قراءاتي في سلسلة علمية مصوّرة، كُتب على غلافها الخارجي، وبخطٍّ أنيق: إهداء من العراق العظيم للشعب الفلسطيني الشقيق، ومن يومِها والعراقُ عندي لا ينشطرُ عن صفة العظيم أبدا.

أذكرُ مثلاً صالونات الجدل السياسي والتاريخي الرائقة والمتبادلة بين أبي وخالي. كان كلٌّ منهما يضعُ ساقاً على أختِها، متمطِّياً على عرشه، وبكلِّ «روقان« الكون، وبرود القطبين؛ ينهمر سيلَ العرمِ فراتاً على لسانيهما.

كمٌّ مذهلٌ مبهر من أرقامٍ، تواريخَ، أعلامٍ، وأحداث، يحوز فيه العراق نصيبَ الأسد دوما.

خالي الجميل هذا؛ صاحب هيئةٍ صدّامية لا تخطؤها العين، قامةٌ منتصبة، نظرات حادة، وإزارٌ من كبرياء. فإذا ما سمعته بلهجته الشامية العذبة المتوثّبة كما العاصي، احترت في أمرك إن كان عراقياً بطابعٍ شامي.. أم العكس.

مع الضربة الأولى أذكر اتصاله الهلع آخر الليل: العراق، العراق، وكيف جعل أبي يهدّئ من روعه، وهو لا يفتؤ يردد: العراق، العراق

الغريب، أنّه- أطال الله في عمر أبي، وعمره- كان لا يُعرف إلا بالأسد، ولكنّه العراق.

حتى مخارجَ حروفه عشقتها، طريقة نطق أهلها للكلمات، لهجتهم، مشيتهم، هيأتهم، جدّهم، هزلهم، وحتى غزلهم.

أخبروني بأنّ العراقيّ موسومٌ بالحزن أبدا، والحزن راق، عاطفةٌ راقية تُهذّب وتُشذّب، وأخبروني بأن العراقيّ سيدُ الفرح، والفرح حياة، والحياةُ تفتن وتمتحن.

اتهموني بغرابة الأطوار وأنا أُلاحقُ وأطارد عبق العراق: في التلفاز أترصّد لهجتهم وأميزها عمّن سواها، في الكتب أبحث عن أدبائه وأتحرّى شعراءه، حتى تجربتي من صنوٍ عددته إثراء للثقافة السمعية.. كانت من عراق.

الجوبي، ودقات طبولهم المميزة، ناظم ونوح حمائمه، ياس خضر واعزازه، وسلامات حميد.

عودٌ على أصل، جمجمة العرب، ومادة الأمصار يا عراق.

فقل لي بربك، كيف لا يُعشق العراق!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

سوناتات غير منضبطة، في حبٍّ لا ينضبط!

«منْ أسلمَ العراقَ وسباعَهُ للعلوج الصُّفر، كان كمن هتكَ بيديه أسوارَ بيته المنيعة، وكسّر سيفه الصائل، وآذنَ بإدخالِ جرذان فارس على حريمِه»!

لُما

(1)

صوتٌ تفجَّرَ في قرارةِ روحيَ الثكلى:

عراق

عراقٌ عراق

أبي العراق

رجعُ نبضي يا عراق

يا تهاويدَ الوريد

يا سمعي

ويا بصري

يا كلَّ كلّي يا عراق

يا كلّ الوجود

(2)

وإني وجدتُ ريحَ العراق

في قُمصنا

لمّا تسربل فينا العراق

يغافلنا العراق

في كلِّ يومٍ

يطلُّ من أحداقنا

في انعكاس المرايا

إذ زُجِّجَت

في لونِ الظِّلال

يباغتُنا العراق

في صحونا وقيلِنا

في رحِلِ المطايا

إذ مرِّغت

في قهرِ الرِّجال
يشُدنا
يهزُّنا
يمجُّنا
يتفلُ في أرزاقنا
في أسواق خسّتِنا
يشهدُ علينا النساء
والأطفال
يلعنُنا
يهيلُ علينا النقع
ويمضي
في زهوِ العراق
(3)
مذ نقشُ سومرَ
والعراقُ هو العراق
يومَ آوتنا الكهوف
نواري بالكادِ السَّوايا
الرَّسمَ أهدانا العراق
أو قبعنا قربَ نهرٍ
نرتضى منه العطايا
الحرفَ أهدانا العراق
أرهقتنا يا عراق
(4)
هذا تطاولُ بابل
إذ عُلِّقت
وتشريعُها
في لوحِ العراق
وأُسد آشورَ
تسطّرت هيباتها

صفوفا
تحيي العراق
(5)
يا ملاكاً في العراق تنزّل
يا سفرَ هاروتَ وماروت
تمهّل
تأمَّل
أوَ كلُّ البلاد عراق!!
إن جئت بالسِّحر
فإنّكَ هاهنا اليومَ
تُسحر
تدّعي أنّ كل البلاد عراق!
ما كلُّ البلاد عراق.
(6)
كلُّ ساسان وإيوانها
ومعابد نارٍ وسدَّانها
لم تنل من عراق
كلُّ كسرى
كلُّ يزدجرد
مرّ رهوًا
كالزّبد
وما اكترث له العراق
(7)
يا سعدًا على العراق تنزّل
ترقب رستمَ إذ يصول
بكلِّ خبرات السنين
ومجدَ ساسانِ العظيم
يحتشد
ووقفت يا عراق بلا وجل

ترقب سمتَ أَهّالِ القِفار

ترتقب

ثم شرعت صدرك للأمجاد بابا

ما قُفل

(8)

وفجرك يا عراق أهل

فجر السُّعود

ويرموك خالد

خَطوُ السّما

ما عاد عنك

بالبعيد

فامدد إليه بالحق ساعد

(9)

يا عِرقَ العراقِ يا عِرقَ الخلافة

من منصور جعفره

يا كرخُ الرَّصافة

جسرين أعرقين

كانا على الفردوس باباً

بغ-دادُ يا أصل القيافة

(10)

من سحائب هارونه المازنات

من عامٍ يحجّه وعامٍ يوات

غزواً بالجياد الصّافنات

زبيدةُ يا أمَّ المساكين

يا دوراً ومراتعَ وبساتين

يا عيون الماء عليها فاشهدين

من بغدادَ إلى البيت الحرام

والحجيجُ تلهجُ بالدّعاء

أُسعدتِ يا أُمَّ الأمين

(11)

بصرةٌ وكوفة

ومجالسٌ ظريفة

وسيبويه يقابل الدؤلي

شاهراً سيوفه

أنرفعُ أم ننصبُ

في محلٍّ أم نقدِّر

يجوزُ على وجهين

أم لازمٌ لا يفتر

في أسواقِ بغداد

يتساءلُ بائعَ الخزف

أننصبُ يا جارية أخبري

أم على تقدير ابتداءٍ

نقف.

(12)

يا بحورَ الشّعر وفِّ العراق

ديونه

يا كلَّ ناظمٍ من قريحةٍ

بيتين

ولِّ العراق

واستقبل متونه

يا وزنُ يا رويُّ يا قصائد

أبوكِ العراق

وبرُّ الوالد يقتضي

أن تشهدي

أنّ العراق أصلٌ

وعلى فرشه

كانت للأدب عيونه

(13)

يا جواهر العراق
يا سيّابها
مطرها
نوَّابها
حرفُ العراق
بهم
وكلُّكم
على أعتابها
تتهجأون الحرف
يوم أن حازت
كلَّ الحروف
عراق
(14)
وكلُّ شجوٍ مصدره العراق
كلُّ حنجرةٍ صدحت
حجّت
صوبَ العراق
تراتيلُ الوتر عراق
تسابيح الناي عراق
لو ما سمعت في حياتك
يوما
عراقيّا يجود
بتباريح الهوى
وجعاً مغنّى
فلا أنت هويت
ولا سمعت
ولا عرفت للحبِّ
معنى.
(15)

في رجولتك بعضٌ من عراق
جاد به
على الرّجولة
أما شهدته اختزن
في مكامن عزِّ رجاله
كلَّ الرجولة!
وجمالُ امرأتك المصون
هو بعضٌ من زبيدة
من خيزران
من خاتون
جادت ببعضه على كلِّ النّساء
كلنا أرضٌ
والعراق وحدها
هي السماء
(16)
ووفَّينا العراقَ حقّه
يومَ أن نادى العراق
بالّراجمات
بالفسفور
بالعنقود
بالتوماهوك
وفّينا العراق
ذبحنا العراق
ذبحنا الجواد الأصيل
ووقفنا
على دمه المراق
نشهد الله أنّنا
وفّيناك يا عراق
(17)

في العامريّة
جلود أطفال العراق
على حيطان عاركم
سُلِخت
عيونهم من فرط
الفجيعة
في جدواكمُ
فقئت
سُملت
وساحت على جدرانه
ساحت
حتى العظام منهم
سُنَّت
وأُشهرت
في وجوه وفودكم
إذ شاهت
وأقبلت
تجرُّ رجسكم
في أذيالها
ومن عبثٍ تصنَّعت
تنهنهت
على طفل العراق
عملاقُ يا طفل العراق
لعناتُك في موتك
على كل بلدٍ
من بلدانهم
حلَّت
خراباً
أورفت

(18)

حيَّ الإله أنبارَها

وفلوجتها والرُّمادي

حيَّ الإله أربيلَ

وصلاحَ دينها

سامرّاءها

واسطها

وموصل

وكركوك

حيَّ الإلهُ العراق

كلَّ العراق

وحيّاك يا دهوك

(19)

مازال يصاولُ العراق

ليستعيدَ العراق

والعراقُ هو العراق

أيتساوى صهلٌ بالثغاء!!!!

كلُّنا كنّا ثغاء

وبقيَ العراقُ عراق

وراوحنا مكاننا نحن

غثاءٌ يعلوه غثاء.

لُما

تحيا مصر

«إنَّ مصر أختنا الكبرى، وقضية مصر قضيتنا، ووادي مصر وادينا، وعدوّ مصر عدوّنا، وإنّنا إن نخذل مصر، نخذل بلادنا، إنَّ مصر قد عدا عليها العادون».

علي الطنطاوي

ولمصرَ أقولُها، لا يحملُني على قولي هذا هوى نفسٍ ولا سلطان، ولا استنهاض أقطابٍ ولا أنصار، لا مُلزمةً ولا مُكرهة، ولا مُستعطِفةً ولا مُماذقة، سرِّي فيها كما العلن، خالصٌ مخلَصٌ جدُّه والهزل، وقد أوقفت على بابِ قلبي الملكين، فما اغترفتُ منه مداداً بحرف، إلّا وهما عليه شاهدان، والله من وراء القصد. هذا وإنِّي أقول: أذكرُ آخرَ مرةٍ لي على أرضها كما اليوم، شخص القلب منِّي والبصر، على علمٍ لها يرفرفُ على سارية، نسرُه وألوانُه وجدا فِي مقلتيَّ انعكاساً، فما فارقاها إلا وهما تهميان، مدامعاً تنسكب، لا أعلم لذي الانسكابِ

سببا، غير أنّي شهقتُ بها نشيجاً أزَّت له مراجل، وارتجَّ لها البدن، حالةٌ استويتُ عليها، وما زايلتني حتى طوته المسافاتِ، غائباً عن ناظري وعيناي تلاحقان -خلف غشاوةِ الهطول- آخرَ رفَّةٍ تطالها، وكأنَّها يدُ الغريقِ في ظلماتِه تستجدي الخلاص. وأنا على حالتي تلك، أكرعُ الشوق بعينيَّ حباتِ التراب، أغالبُ النومَ فأغلبه -على جهد- فلا تفوتني ذرةُ ترابٍ نضيدة، ولا شجرةٌ في صحراء ما قبلَ الرواء وحيدة، ولا زاحفٌ ولا وارف، ولا هاجعٌ ولا ملتحف؛ إلّا وبكفِّ الجَنان ألقيتُ السلام.

تعلمون!! كنتُ صغيرةً -وربما تضحكون- أُتابعُ بكلِّ شغفِ المتلهف العَطِش جلسات مجلسَ شوراها، لا أفقه ولكنَّني لا أمل حتى ينقضي فأنصرف، وكأنَّني أدَّيتُ واجباً فيملؤني لذلك الرِّضا. أرأيتَ النمرَ الجريحَ في عرينه، والدم يطفحُ من جروحاته فيلعقُها وهو يزوم!!

أرأيته منافحاً عن صغارٍ له وهو في حالةِ الإثخان تلك!!

أرأيت أشدَّ منه ضراوةً وبأسا!!

والدم المسفوح يزيدُ في هياجه، وصغاره تُضرم فيه قوىً على قواه، فيشبُّ على المُهدِّد بكلِّ ما فيه ولو تيقَّنَ هلاكَه أرأيتَه!!

هذا حالي إن مُسَّت هي بشطر كلمة، ولو بشطر!!

جبال في قوقاز.. قوقاز في الجبال

أنا سيد كلمتي، أقف عندها إن شئت وأنكص عنها إن أردت أحمل شوقي وحنيني حيثما ارتحلت «الحنين إلى الوطن»

أتطلع إلى وطني من شباك قفصي!

لا يمكن أن يكون كاتب بدون وطن!

لسنا نحن الذين نختار أوطاننا.. بل الوطن هو الذي اختارنا منذ البداية كم من كاتب يمسك القلم ويجلس إلى الورقة لا تقوده عاطفة الحب أو البغض.. بل حاسة الشم وحدها!.

وجع قلبي وفرحه.. هما اللذان يجبراني على الإمساك بالقلم.!

الشاعر: نار ومصدر نور النور لا يلقي ظلاً.. والنور لا يصدر عنه إلا النور

هذه هي قصتي.. أما جرحي فهو معي

رسول حمزاتوف - بلدي

لا أدري على وجه اليقين من أين حصلت على قبعة الفرو الشهيرة تلك، كل ما أعلمه أنها كانت تخص أبي، وأنّه تم مصادرتها بنجاح، لتنضم إلى قائمة ممتلكاتي الأثيرة!

كنت طفلةً غريرة، وكان أبي دائم السفر، لا ينفك مرتحلا، وحقائب على أهبة الاستعداد دوما، تنتظر دعوة المؤتمر الجديد!

ولازالت تطرق أذني أسماءَ بلدانٍ ما عرفها أقراني، ولا سمعوا بها، أزجُّ بها كيفما اتفق في ذاكرتي الإسفنجية، حتى تأتيني أخبارها كتباً ومطبوعاتٍ ومشغولات، فأنظّم من أخبارها ما شعث، في صناديق أرصُّها في دماغي، وأوثقها برائحة البلد وطعمها! المهم، أنّني حصلت على قبعة الفرو تلك، وسيفٍ طويل، مشغول مقبضه برسوماتٍ ناتئةٍ جميلة، لم أكن أعلم مصدرهما، وإن علمت الآن، وكنت أرقب خروجَ أبويَّ كمن يتربص، فإذا ما غادرا بعد لائحة طويلة من افعل ولا تفعل، عمدتُ إلى حجرتهما، أسارع بإخراج معطف أميَّ الذي على شكل عباءة قصيرة، فأرتديه، وأشدُّه إليّ بزنّارٍ موشًّى لها، وإلى جنبي أولج جراب السيف، وأعتمر

قبعة الفرو، وعلى أطراف أصباعي أقف منتصبة..! لحظات من حفظ التوازن، ثم أبدأ بتناغمٍ متسارع في تأدية الرقصة التي عشقت: قفزاتٌ، واستدارات، وطرق الأرضية بقرعات الحذاء، بكل ما أوتيت من قوةٍ وعنفوان!. كانت رقصاتهم التي عرفتها فعشقتها، وما مللت متابعة عروضها على قناة إسرائيل الأولى، أو أيام مهرجان جرش! رقصاتهم الفلكلورية تشبه تلك التي نعرفها هنا في بلاد الشام باسم «الدبكة» حيث يتحلّق الشبان، ويستعرضون فتوتهم وعنفوانها، بحركات تتزايد سرعتها بشكلٍ تدريجي، حتى تتسارع وتيرتها، لتبلغ حداً مجنونا من الروعة الأخاذة: قفزاً ودورانا وطرقا وتمايلا. تناغمٌ شاهق بين الدقات المصاحبة، وحركات الجسد، تؤطّرهما صيحات رجولية، تتجلّى فيها الهمم الشمّاء، والإرادة العليَّة!

يحضرني هنا حديث أمي عن العراضة الشامية، وكيف عرَّفتني صديقتي «الميدانية» على أهازيجها، التي تتفق كلماتها، وميكانيكية أدائها مع مذهب الاستعراض التفاخري بالفتوة، أو ما نعرفه هنا باسم الشبوبية! من وقتها وأنا أعلم أن ما يجمعنا -أمة القوقاز ونحن- كثير، حيث الجبال الراسية، والمدى الأخضر الذي يترنح له بصرك ذاهلا، وطبائع الفروسية التي نولد بها، لتزهو فينا آيات النجدة والنخوة والإباء! عرفتها فيهم، وعشقتهم لها، فبدأت أتابع أخبارهم، وأجمع صور كل ما يمت لهم بصلة، من مجلة دورية تعنى بقضايا المسلمين، أجمعها في ألبوم خاص، لازلت أحتفظ به حتى الآن، ومعه قائمة صغيرة، أدرجت فيها أسماء أعلامهم وقادتهم، على نية أن أسمّي أولادي على أسمائهم!

عرفت رسول حمزاتوف الداغستاني، وأبا ذر عيدروف الشيشاني، وانبهرت أيّما انبهار بحروفه المليئة بالعز والفخار، حتى أنني عوّدت قلمي على الكتابة بنمط غريب ردحاً من الزمن، كأنها العربية المترجمة- لمن يعرف أسلوبها- وحفظت نشيد جمهورية الشيشان الوطني، وتابعت أخبار الجهاد هناك، وتعجّبت لعشقٍ ملكهم لدين الله، فعشقت اسم شامل، وأحببت لذلك الذئب. أمة القوقاز، عالم متكامل من قمم الجبال والصهوات، رجالهم كرجالنا: أرسى من جبال: قدَّت أجسادهم من صخر بلادهم، وعزماتهم كما نحن: يلين لها الحديد..!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

جئتُ أَعلن حضوري...

وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (104- النساء)

الحرب على غزة 2014

أعراس الدم

أن تتجلّى مفاهيمٌ فيك، تُعرف بها، وتُعرفُ بك: الموتُ والحياة، الانتماء والتماهي، الكبرياء والأنفة، النخوة والشهامة. أنت، وفقط أنت، من يقدّر الحب حقّ قدره، ويعيشه حتى الثمالة، حدَّ الانصهار، حدَّ التشرنقِ فيه، التعملقِ فيه، التخندقِ فيه...حدَّ الموت.

أنت من أقامَ أعراساً للدّم، أعراساً للموت، أعراساً للحياة. وللموت عندك يا سليلَ الموتِ طقوس: تراتيلٌ وأهازيجٌ، ورقصاتٌ محمومة، وخِضاب الحبِّ عندك عرض، والأرضُ عرض، فحبُّك أرض، والحبُّ عندك موت، والموت عندك حياة، والحبّ موت، والحب حياة، والحبّ... أنت.

من ينحتُ في الجبالِ بيوتا، وعلى سفوحها أعشاشُ النسورِ له موطنا، من أحاطَ أرضَه- درّةَ قلبِه- بأسوارٍ وقلاعٍ طوال طوال، رانياتٍ الى خدَّ السماء، معتليات هوادج الإباءِ تجذُّرا...عمّار القلاعِ نحن، بناةُ الحصون، المتطاولون السامقون الشامخون، المتأصّلون مجدا. شقائقُ النعمانِ نحن، تحناناً واحتواءً وانكفاءً، ونحن الوارفون.

بلادنا عصيّة عتيّة، متمنّعة بهيّة، على أعتابها القرابين تُزجى، ووصالها منيةُ أرواحٍ ومهج، وقِبلةُ أركانٍ ومُقَل. وبحرنا الهدّار جبروتا، المتهادي نعوتا، يلاعبها، يناغيها، يناجيها، يراودها عن نفسها، فتزداد صدودا.

قُل لي بربّك، إن لم يكن الحبُّ فلسطينياً، فماذا يكون... ماذا يكون؟؟!!

#ذات-هُدنة

الدار..

وللفلسطينيِّ مع بيتِه ملاذِه حكايا، تفوقُ ما لأحدكُم معه، وإن جادلَ وقارب؛ لخصوصيةٍ لا تراوحُه، لا هو، ولا أرضِه، مُذ أُصطفيَ مرابطا. ويكأنّه إذ وضعَ حجرَ أساسٍ في أرض، انتزعَ من روحِه لُبابتَها، واصطنعها لَبِناتٍ يُقِمن أودَ تجذُّره. سمّه حاجزاً دفاعيّاً، جعلَ منه كائناً لا يفترُ عن بناء، ترسَّخ فيه مفهومُ الطَّردِ المركزي؛ ألّا هجرةَ بعد الهجرةِ الأُولى، إلّا في فلك الأرض.. ذاتِ الأرض. تحدٍ صارخٍ لكلِّ ما أُريدَ به؛ صنعَ في دواخلِه ثورةً مُضادة، جعلتْه نهِماً لبناء. إنّك لن تجدَ إلّا قلّةً قليلةً من الفلسطينيين ممّن يكتري البيوت، مقابل حفنةٍ من المالِ يدفعُها، يشتري فيها وطناً، على أرض الوطن. وإنّه إن فعل فلن يراوحَ حُلمَه أبدا: بيتٌ من شعرٍ، أو وبر، يحملُ طابعَه وبصمةَ أثيريَّته.

يشقى الفلسطينيُّ العمرَ كلَّه، نازحاً أو مغترباً مُهجَّرا، حتى إذا اكتملَ النِّصاب، عادَ إلى أرضِه مهرولا، ليبدأ ولو بحفر أساساتِ بُنيانٍ، ربّما لن يراه قائماً مكتمِلا، ولكنّ العينَ منه تقِرُ، بأبناءٍ يحملون بصمته الجينيَّةِ المُتحدية، مغروسين هناك.. حيث الوطن.

اليوم، وأثناءَ ساعات الهدنة- والتي أُخترقت منهم بالمناسبة- وتلبيةً لدعوة مبادرة الحياة، خرجت أنا أيضاً - كما الملبّين كلّهم- وتفقَّدتُ آثارَ قصف البيوت القريبة.

قصفُ البيوت؛ مصطلحٌ يمرُّ هكذا؛ هيِّنٌ ليّن لا يستدعي تثنيةَ النَّظر، وهو لو تعلمون عظيم. حيواتٌ بأكملها مُحيت عن ظهر الأرض، بقرارٍ، فضغطة زر، ليس إلّا.

أو ما علمتَ بأنّ بيوتنا تتنفس، تلهث، وتختنق!! تنحني على فلذاتها، وتصبغهم بصبغتها الرمادية، إذ امتزج واختلط منهما حبلُ الوريد!!

الآن ربما فهمت وتفهّمت الفلسطينية الشامخة على قناة الجزيرة- بعد قصف بيتِها عُمرِها-وهي تصرخ: لنبنينَّهُ على أرضنا في الثمانيةِ وأربعين.

الآن ربما فهمت رسالتها إلى أبناءِ شعبنا أن ليس لنا إلّا الله.. والفلسطينيين أنفسَهم.

سقى الله

كنّا إذا استيأس أحدنا من أمر ما قلنا: (بس ترجع البلاد)!!

وإذا رأينا أحدهم مسرعاً في بعض شأنه قلنا: (رايح يرجِّع البلاد)!!

وفي جلسات سمرنا نقول: (اييييه.. سقى الله على أيام البلاد)!!

وإذا تفاخرنا قلنا: (هو في بعد البلاد)!!

يقين مشوب بالتَّهكم، هذا حالنا!!

بس وربّي، رح ترجع البلاد

21 مايو / آذار

ملح الأرض

يحدُثُ أن يغيبَ ملحُ الأرض، فلا تعودَ أنت أنت!!

19 يونيو / حزيران

أُنس البيت

- لماذا تركتِ ظلُّك وحيداً يا لُما؟!!

- كي يؤنسَ البيت، فالبيوت تموت إن غابَ سكَّانُها.

27 يونيو / حزيران

يا رب

يا ربِّ، ألقِ على النفوس المضطربة سكينةً، وأثبها فتحاً قريبا.

30 يونيو / حزيران

الله أعلى وأكبر

صوتُ المآذنِ يعلو صادحاً: الله أكبر، والقصف المجنون يشتدّ.

مزيجُ صوتِ الحق، مع دويِّ القذائف.. يُلهمُ يقينَ التمكين.

#غزة-تحت-النار

3 يوليو / تموز

أخفض هونا

وإفراطُك في ثقتك بذكائك مستهيناً بالآخر؛ يجلبُ عليك وحشةً مقيمة، لا تزال ترعى فيك ناهشةً روحَك، مُدميةً نوازِعَك، ومُنتهى علمِك أن ظُلمت، فتُعلي أسوارَ حصنِك مجافياً بالتَّنائي، والأجدرُ أن تخفِضَ هوناً تجد مُتَّسعا.

5 يوليو / تموز

غزوناهم

مذ أولِ بطنٍ بُقِرت، وانتُزِع جنينُها من قدميه، مُطوَّحاً برأسه على أقرب حائطٍ، في بيتٍ ريفيٍّ بسيط، قضاءَ مدينةٍ فلسطينيةٍ، مجتثَّةٍ من ذاكرة، فيتناثرَ اللحمُ الغض، ولم يلهج بمعاني الحياة بعد. مذ أول ثلَّةٍ من رجال، في زهوِّ رجولتهم مازالوا، يُقتادون نحو ساحةٍ، معصوبي الأعين، ليأتيَ الأمر أن أديروا وجوهكم باتجاه ذات الحائط، وإلصاق الفُوَّهةَ الباردة برأسٍ تلوَّ رأس، مفجِّرينه،فيتراشق الدم بانصهاره، فتتناثرَ عظامُه والدماغ.. على ذات الحائط.

مذ أولِ صبيٍّ غَر، يُسحب عنوةً من حضنِ أمٍّ، وسط نوحِ أخواته، ليُقتادَ إلى ذات الساحة، ليُنزلَ علماً لبلاده على ساريةٍ، متَّئكةً على ذات الحائط، فيحترقَ هناك مشنوقاً على علَمِه.

مذ أولِ أمٍّ تُقلِّب أجساداً تزدحمُ مضرَّجةً، في ذات الساحة تحت الحائطِ إيَّاه؛ تبحثُ عن وجه الحبيب لعلَّها تبينَه، في حشدٍ مطموس الملامح.

مذ أولِ ساطورٍ، أولِ سونكي، حتى الميركافا، الإف 16، والأباتشي؛ والحائط في الساحة لم يزل، الفرق أننا كففنا عن الانقياد منذ زمنٍ أيضا. الفرق أنّ ساحةً أخرى بحائطٍ آخر، يُحشرون هم إليه الآن على متن هلعٍ ورعب.

#تل-الربيع-تُقصف-الآن

#جُنُّوا

#غزوناهم

8 يوليو / تموز

توبة

يا ربِّ توبةً تجبُّ ما كان ممّا تعلم ولا يعلمون.

8 يوليو / تموز

جنُّوا

سماءُ القطاع الآن مسرحٌ لاستعراضِ أعتى ترسانةٍ عسكرية، وطاقتها التدميرية القصوى، يقابُلها- وفي ذات السماء- استعراضَ مقاومة شعبٍ بأكمله متمثلاً بقساميه.

كلُّ قصفٍ من طائراتكم يقابله صاروخاً بعيدَ المدى من مرابضنا، يطالُكم.. في ديارنا.

#جُنُّوا

#غزوناهم-في-ديارنا

8 يوليو / تموز

حصيلة ليلة صاخبة

حصيلة ليلة البارحة من المؤثرات الصوتية

- ضربات متفرقة ومتلاحقة لطائرات الـ(F16) المقاتلة المُطوَّرة

- قصف بطوربيدات الزوارق الحربية على طول الساحل الغزِّي

- دفقات صواريخ المقاومة بعيدة المدى المنطلقة من مرابضها

- هزتان أرضيتان متتابعتان

المؤثرات الصوتية صباح اليوم

- العصافير تزقزق

- صاروخ مقاومة رقم (1)

- الحمد لله على سلامتكم (مصحوبة بابتسامة)

- صاروخ المقاومة رقم (2)

- العصافير تزقزق.

8 يوليو / تموز

ولا ما يعرشون

أطلقوا صاروخاً تحذيرياً لا يكفي حتى لتجميع الصغار والفرار بهم، قبل قصف بيتهم الذي يؤويهم، بيتاً مدنياً آخر يُقصف بلا أي ذريعة، سوى أنّ ساكنيه من الفلسطينيين.

العجيب أنّ صاروخهم التحذيري هذا لم يُرعب الصغار، ولا رفَّ له جفنُ الكبار، كلُّ ما حصل أن تنادى أهالي المنطقة، إلى البيت المستهدف واعتلوه، في تحدٍ صارخ لعنجهية يهود، فليس بعد الهجرة هجرة، إلا إلى الوطن الأول... إلى سماء.

واستهدفوه، قصفوه بساكنيه، وبمن اعتلاه من المُنتخين ذوداً عن حقٍّ دونه الدم.

نحن في نظر يهود أهداف عسكرية مبيَّتة، السكن الآمن بأحلام صغاره الهاجعين، وآمال كباره، ما هو إلا ثكنة عسكرية يُربى فيها جيلُ التمكين.

ورش الحدادة البسيطة، المزوية في ركنٍ ما من حيٍّ منسي، ما هي إلا مصانع تجهيزٍ وإعداد، للقاءٍ خلف الغرقد.

الطفل الحافية قدماه إلا من لهفِ الطفولة المغردة، هدفٌ آخر يستحق القذيفة المنقادة إليه، بطائراتٍ وقودها من صومعة الأخ الشقيق.

أذكر إمام مسجدنا الكهل، الذي جاوز السبعين، نديَّ الصوت، معسول اللسان، وأذكر تحديداً مكان تناثر أشلائه في أرضه المجاورة لمسجد عمره؛ كان منحنياً على عشبٍ ضارٍّ يقلّمه، متناسياً عشباً شيطانياً يشرئبُ في سماءٍ، ما عرف سواها وطنا.

وأذكرُ صغار الصبية، منحنين على شتلات النعنع الريّانة يقطفونها، لأمٍّ تنتظر لتوزع أكواب الشاي الساخن على فلذاتٍ لن يعودوا.. سوى أشلاءا.

كلنا أهداف، نخيفهم كلُّنا، طفلُنا في قماطه يزورهم في كوابيسهم، متوعدا بيوم الخلاص.

مساكينُ يهود.. فلن يُوقف الزحف، قذيفةُ مدفع، ولا ما يعرشون.

9 يوليو/ تموز

نهج الأنفال

بداية التصعيد على غزة = نهاية اليوم التاسع من رمضان

إعلان الحرب على غزة = فجر اليوم العاشر من رمضان

سورة الأنفال = نهاية الجزء التاسع، وبداية الجزء العاشر.

#نهجُ-الأنفال!!!

9 يوليو / تموز

لن تكسرَ

عين من تنفسوا الموت، من تربوا معه، زنداً لزند وكتفاً لكتف.

ككفِّ يدك

ابسط كفَّ يدك أمام ناظريك الآن، ابسطها:

انظر ولاحظ كلَّ عرقٍ وكلَّ نابض؛ مكشوفةٌ هي بكلِّ تفاصيلها أمامك، تحفظُ دقائقها فلا يخفى عنك منها خافية.

حالُك أنت وكفُّكَ المبسوطة أمامك الآن، كحال القطاع أمام ناظري يهود؛ يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، فكيف استطاع هؤلاء- أبناءُ الكفِّ هذا- ضربَهم في عمقهم، تحت سمعهم وأبصارهم، حدَّ قيادتهم إلى الجنون المطبق؟!! لا أجدُ غيرَ أنَّه الإصطفاء الرَّباني لمرابطي أرض الملاحم، لا غير.

9 يوليو / تموز

اجعل لحمي جسر العودة

خُذ عظامَنا حشواً لصاروخك أيُّها المقاتل.

10 يوليو / تموز

بنك الأهداف

بنك الأهداف الإسرائيلية التي طالها القصف ليلة أمس:

- بيوت مواطنين (على رؤوس أصحابها)
- مستشفيات (مستشفى كمال عدوان)
- مساجد. (أثناء صلاة الفجر)
- دور عجزة. (دار الوفاء)
- دور أيتام. (مبرّة الرحمة)
- مؤسسات. (جمعية الصلاح الخيرية)
- بنوك. (البنك الأهلي الإسلامي)
- ورش (حدادة وميكانيك أسفل البيوت)

#قصفوهم-وهم-بيصلوا

#أفلسوا

10 يوليو / تموز

فلسطين أرض الخلافة

غزةُ ليست هامشاً بقضية أمتنا الإسلامية الواحدة.

غزة، القدس، يافا، حيفا، صفد، المثلث، عكا، وكلُّ فلسطين التاريخية، والتي لاتمت ل سايكس-بيكو بصلة= هي المحور، االجذر الراسخ العميق، لهذا الواقع الدامي، وكلّ مايدور بالمنطقة فروع!!!

إسرائيل تذبح بأناقة الجراحين وقفازات النبلاء، إسرائيل تذبح بقرارات الغرف المغلقة وابتسامات نتيناهو، وأوراق الموساد التي تقرر من الأصلح للعروش، ومن الأصلح للسكين.

لولا إسرائيل ما بقي الأسد، ولا مشى قاسم سليماني فوق جثث أطفالنا كالثور الهائج، ولا سقت خنساء الدير وسادتها دمعاً وصلوات!!!

لقضية غزة / فلسطين (أرض الخلافة)؛ ذُبح أطفالُ الحولة، وعَجنت القنابل الناس أمام مخابز قاضي عسكر، ورشَّ الأسد الغاز الكيماوي، كما يرش أوباما عطره الفرنسي صباحاً!!!

لقضية غزة / فلسطين (أرض الخلافة)؛ حُرِّق طفلٌ في بورما، وقُطِّعت أوصالُ آخر في افريقيا الوسطى.

لقضية غزة / فلسطين (أرض الخلافة)؛ تنادت جموعُ رابعة والنهضة.. وفُضَّت كذاك.

(فلسطين) ليست أرضاً ذات حدود، ولا وطناً يحتضن رفات جدود، ولا تحمل معاني القومية البغيضة بحال، بل إنّ كلَّ مسلمٍ؛ فلسطينيُّ المآل.

كلُّ قطرةِ دمٍ سالت منذ العلوَّ الأول، إلى يوم المنارة البيضاء ل (فلسطين) عروقها.

فلسطين، البداية، والنهاية، والطريق!!!

#ديانا-الجابري-بكثير-تصرف

11 يوليو / تموز

سوط الله في أرضه

ما لكم وللفلسطينيين!!!

#سوطُ-الله-في-أرضه

#أُمناءُ-أرض-الملاحم

13 يوليو / تموز

طاب الموت

وإنَّك إذا ما مللتَ يا ابنَ اليهوديةِ، ضغطاً على أزرار راجمتِك، أو طائرتِك المقاتلة؛ نافثاً في سمائنا حممَ صَغارك، ملهباً أرضنا بشواظِ اندحارك، مفتِّتاً منّا العظمَ متراسَ الصدور= فإنّنا دونَ الأرض.. لن نملَّ الموت.

#طاب-الموت

#الموت-ولا-المذلَّة

12 يوليو / تموز

ما تجذَّرَ

لن يرتحل، وإن ألفَ إن... لن يرتحل.

ثلاث آيات

ثلاثُ آياتٍ بيِّنات؛ أرضٌ وزُلزِلت عليكم، بحرٌ وسجِّر بكم، وسماءٌ تُسقط عليكم كِسَفا= عاينتموهن، فاجمعوا إن استطعتم حدَّكم وحديدكم، لن تنفذوا من أقطارنا، إلّا عصفاً مأكولا. طائرات بدون طيّار قسامية الصنع تتوغل في أراضينا المحتلة ستين كيلومترا

14 يوليو / تموز

ولسوف يلقون غيّا

تخيَّلوا معي يومَ القيامةِ مشهداً على أبوابِ الجِنان يدفعكم للقهقهة، تَسريةً ربَّما، وربَّما تداعياتٍ ساخرة. أُناسٌ على أبوابِها يحرسون، فإذا ما اقتربتم، يتفحَّصونكم واحداً واحدا، يتشمَّمونكم ويقلّبونكم وجهاً لظهر، يقلبون شفاههم كأنَّهم يتبضّعون وينتقون، فإذا ما انتَهَوا؛ شمخوا بأُنوفهم، وأشاروا عليكم بالبنان= هذا يمرُّ، وذا يذر. ومتى ما انتهَوا من مشهدهم التمثيليِّ ذاك؛ حتى أوتيَ بهم من أقذالهم يُدعُّون إلى نارِ جهنَّم دعًّا!!!

14 يوليو / تموز

كلُّنا الفداء

شرذمةٌ قليلون، مرتزقةٌ يحمون أجندات خارجية معيّنة، يجرُّون مواطنيهم إلى حروبٍ متواصلة؛ يهلكُ فيها الحرث والنَّسل، تُستنزف مُقدَّرات البلاد، يجلبون سخط الدول الشقيقة المجاورة، بسياستهم الرَّعناء غير المسؤولة، يُقعِّدون للحصار أسبابَه، مرضى بوهم القوة المطلقة، وخُيلاء المُسلَّح الأوحد، تمويلهم مشبوه، همّهم سلطةٌ لا تزول، وكرسيٌّ مؤبد!!! هذا قولُ الشراذم بأفواههم، تشابهت قلوبُهم مع يهود، بل هي أشدُّ علينا منهم، فمابالهم لا ينتهون؟!!

إلّا يكن؛ ترقّبوا من ربكم الغضبةَ لعباده المصطفين.

#قسَّاميون

#نبوسُ-الأرضَ-تحت-نعالكم

14 يوليو/ تموز

استقيموا

ثقيلةٌ على النَّفسِ الكريمةِ، دعواتُ بعضهم الموصولةُ بأُبهة فرعون= يُرسلُ عبيدَه ليقاتلوا، ويُقتلوا، في حربٍ بالإنابة عن ذاته العليّة، مشفوعين ببركاته المرسلات، فإذا ما أُثخنَّا قتلاً، تفقَّدَ أعدادنا بعين الشفقة العلوية منه، هازّاً برأسه- العامرةِ بالحكمةً - ذات اليمين وذات اليسار، متكتكاً متأسفا. والأثقلُ؛ من جعلَ يقارنُ دماً بدم، وأعداداً بأعداد، وعدوّاً بعدو، في مزايداتٍ ما أنزلَ الله بها من سلطان، وكأنّه- وهو المستجدُّ على نضال- استكثرَ على بني قومه، مقاربةَ الأصل منّا، فجعل يتيهُ بعليائه، أن أينهم ممّا يصطرع في أرضنا- أرضه أعني- في عددٍ وسطوةِ عدو= بمقارنة سقيمةٍ بغيضةٍ، مثيرةٍ للغثيان. وقد تاهَ عن فكرِه المطاولِ

السحاب، الخارقِ للحُجُب؛ عقائديةَ قضية، خصوصيةَ أرض، ديمومةَ حال، نسبيَّةَ مساحةٍ، وكثافة، وأنّ عدوّنا هو الوجه الثاني لكلِّ عملةِ طاغية.

والأمرُّ والأنكى عبارةُ: يهودُ أرحم، هذه لوحدها الطامَّةُ الكبرى!!!

#استقيموا-يرحمُكم-الله

14 يوليو / تموز

عدوّي هو عين عدوِّك

دقِقْ النظر، ثمَّ أرجعْهُ مرَّتين، ربّما كان جدَّك؛ يُحكِمُ وَثاقَه جدُّ من اعتلى سماءنا الواحدة اليوم، ليقتلَ من لربَّما كانت، أمَّ أحفادِك مثلا.

#صهيونيّ-يحكم-وثاق-مصريّ

#على-أرض-سيناء-المصريّة

16 يوليو / تموز

مبادرة الحياة

مبادرة الحياة: دعوةٌ لأبناء شعبنا المرابط أُطلقت صبيحةَ ساعاتِ الهدنة الخمس؛ يتدافعُ فيها الناس، ويسعون، كلٌّ لقضاءِ حوائجِه، بعدَ أيامِ الحرب الطوال المُنهَكات قصفا.

الفكرةُ في التدافعِ والتزاحم ومَلءِ جنباتِ الأرض صخباً وحياة، كانت لتعمية أعينِ الراصدين والمتربّصين بالمجاهدين، فيتنقَّلُ المجاهدُ بيننا، كواحدٍ منّا، يُعدُّ لأيام النَّفَس الطويل؛ خاصةً وأنّ واحدَهم، ما كانَ أبداً ليفرق عن أيِّ مواطنٍ عادي، رغم كلِّ هيلمان القوة، وعنتريات السلاح.

جندٌ لله مجهولون، إذا أتاك نبأُ استشهاد أحدهم قلت: سبحان الله، تَليقُ به، ولكن أن يكون منهم!! من كان ليعرف؟!!

#مبادرةُ-الحياة

17 يوليو / تموز

طمئنونا عنكم!

يقولون بأنَّهم اجتاحوكم، عسَّاكم بخير، طمئنونا عنكم.

يقولون بأنَّهم تسرَّبوا كالنَّمل في أوردتكم، عسَّاكم بخير، طمئنونا عنكم. شاهدتهم بأُمِّ عيني يدكُّونكم فيكم، يحاصرونكم بكم، ومن بابِ القِن ثعالبَ الأرضِ يُدخلون. يفتحون عليكم مُغلَقَ الأبواب، يمدُّون رؤوسَهم، يُخرجون لكم ألسنتَهم، يُبقونَها مُشرعةً أمامَ عينِ الجار، وعلى صدوركم يتربَّعون. حسرتي عليكم مُحاصَرين، وأنتم تستجدون جُرعةَ الهواءِ منهم، وأنتم لا تدرون.. حسرتي عليكم أنَّكم لا تدرون. حسرتي عليكم تبحُّون أصواتَكم هائجين، تعودون أو لا تعودون، في دواخلكم تقولون: انظروني نصرتُ الدين، وعلمكم أنَّكم المُخلَصين.

«سلامي عليكم، أأنتم بخير!! طمئنونا عنكم»

يُسائلُكم طفلٌ حاصرهم بشِلوِه... فطمئِنوه.

18 يوليو / تموز

منّا العاملون، ومنّا دون ذلك

ولتقلُّبُ مجاهدٍ على جنبِه متمطِّياً متثائباً، مخللاً لحيتَه بأصابعه لاهياً، فمعتدلاً بتثاقلٍ ملتقطاً غُصيناً بأنامِله، فناقشاً اسمَ محبوبته على تُربٍ نديٍّ، ونصف ابتسامةٍ تجدُ طريقَها إلى شفتيه، فشاخصاً بعينيه إلى قمرٍ مكتمل يكشفُ أستارَ مكمنِه مترنِّماً بأنشودته الأثيرة سلوى رباطِه محتضناً شقراءه = لهو خيرٌ من متأبِّطٍ ظلالَه، يمرُّ الحرفُ فيستدرُّ مدامعَه فتتخضَّبُ لحيته بأثرِ ما وجد، ويؤزُّ منه الصدرُ كما المرجلِ بنشيجٍ يُقطِّعُ أوصالَه، يتقلَّبُ بين دفَّاتٍ ودفَّات، ينهلُ ويستزيد، فإذا ما اغتسلت منه الروح، وتبارت عنه الأدرانُ أفولا؛ اتَّكأَ متراجعاً بظهره إلى حائطه، واستقبلَ مريديه بأن لا خروج.

أو كناحتِ حرفٍ كأروع ما يكون النَّقش، يحبُك الحرفَ حبكاً كأروعِ ما يكونُ النَّسج، مستولداً المعان، سادراً في سماوات البيان،، فإذا ما اكتملت أُغرودتَه، استقبلَها استقبالَ فاتحٍ لمدينةٍ عصيَّةٍ بكلِّ خُيلاءِ الفاتحين، وأُبَّهةِ المُتَّخذين من نظمِهم بيوتاً يتوارون.

أُقسمُ بذاك غير حانثةٍ إن شاءَ الله.

19 يوليو / تموز

أكذوبة الجيش الذي لا يقهر

انتحر.. فماذا لَقِيَ على حدودنا حتى فعل!!وماذا سيلقى عند جبَّارٍ منتقم!!!

#وكُسرأنفُ الجيش الذي لا-يُقهر

19 يوليو / تموز

قانا الثانية

مرتي #استشهدت، وبنتي الصغيرة استشهدت، بس مرتي عِدْها #طابت، عِدْها #صحيت.

#قانا-الثانية

#تقبل الله صيامكم

20 يوليو/ تموز

وبوّس ترابه

أوصتْ ابنَها قبل أن يغادرَ إلى عمليَّته خلفَ خطوط العدو: بوِّس لي ترابَ البلاد يمَّا.

عادَ مستشهداً معبَّقةً ثيابُه بطيبِ البلاد.

21 يوليو/ تموز

ثأر

فتحت على ابنِها بابَ ثلاجةِ الموتى وقالت: قم، أخذَ بثأرِك القسّام.

21 يوليو / تموز

أجبن كلاب الحيّ

اتصلَ بهم: أسمعُ حفراً تحتي.

دوَّت الصَّافرات، أخْلَيت المُستوطَنَة.

22 يوليو/ تموز

الحرب الكيماوية

#غازات-سامَّة

#بدأوا الحرب الكيماوية

22 يوليو / تموز

نعمة أن تكون فلسطينيّا

اللهم وإنّا نحمدك حمدا كثيرا مباركا، كما يليق بجلال وجهك، وعظيم سلطانك؛ أن أنعمت علينا بنعمة بالغة، وخصصتنا بمننك، وجدت علينا بفضلك وإحسانك، وجودك، وعدلك يا أرحم الراحمين، فسلّطت علينا يهود!

اللهم وإنّا نحمدك على اصطفائك؛ أن أخذت من دمانا في حروب متتالية، وأسبغت علينا كربات طامة، وفواجع ملمة، وحصار الأقربين قبل الأبعدين، علّ يا الله كلّ كربة، وشلو ممزع، وقطرة دم، تكن لنا شفيعا، وحجة على كل مخذّل مخذول!

23 يوليو/ تموز

إنَّهم يقنصون الأطفال

من تجرؤ منكنَّ على قنصِ طفلٍ آخر.. لم يُنجب!!

أمُّ الشهيد

قبَّلَتْه، مسحت دمَه عن جبينه بمنديلها، مسحت دموعَها بنفسِ المنديل، أزاحت خصلةً من شعره عن عينه، غطَّت وجهَه بكفَنِه، وجعلت تُربِّتُ عليه تُهدهِدُه، كي ينام.

23 يوليو / تموز

أمّي.. آخرُ أهلي

سألَ ابنَ عمِّه: أهي أُمِّي؟؟

اقتربَ وأزاحَ الغطاء، أعادَ تغطيةَ الوجه الذي كان، دقَّ على صدره دقَّةَ المُفاخرِ المُحتسِب: هذه أُمِّي... هذه أُمِّي.. آخرُ أهلي... الله أكبرُ ولله الحمد.

23 يوليو / تموز

أمّ علي

حدَّثتني جدتي عن جارتنا العجوز، جارتنا اليهودية العجوز، كانوا ينادونها بأُمِّ علي، طاعنةً في العمر، توفَّى الله زوجَها، مخلِّفاً وراءه ابنين اثنين، ووفق القانون المعمول به في دولة الكيان الغاصب، أنَّ الأُمَّ اليهودية تُكسبُ أبناءها جنسيتها؛ فقد حازا على الجنسية الإسرائيلية، وعملا ضابطين في ما يُسمَّى بجيش الدفاع.

ومع احتلالِ غزة، وتولِّي الأبيض طويل التيلة، جاءاها بزِّيهما العسكري ليأخذانها معهما إلى الداخل الفلسطيني المغتصب، بعيداً عن الحرب وأهوالها، فما كان من أُمِّ علي، فور طلبهما منها تجهيزَ حقيبة السفر، إلّا أن بصقت على وجه كلٍّ منهما بصقةً طافحة، وصفعت دونَهما بابَها بدويٍّ سمعته كلُّ الحارة، ولازالت تتحدَّث به؛ أن كيف جاءت القوةُ لامرأةٍ عجوز ثمانينية بهكذا صفعة!!

أمُّ عليٍّ ظلَّت تُكنَّى بأَم عِلي، مع أنَّ عليَّاً صار إيزاك، وجاءها الأجل وهي على دينها لم تزل، ولكن.. لم يمت فيها الوطن.

23 يوليو / تموز

تضاريس الدم

على عتبةِ التي كانت داراً جلس، أرانا تضاريسَ دمِ أبنائه كلِّهم على كفِّ يدِه: لا سياسة، لا سياسة، الدمُ يطلبُ دماً، الدمُ يطلبُ دما.

24 يوليو/ تموز

ليلة القدر

بِضْعَ تمراتٍ تُقِمنَ أودَ الجسد، يلوكون أوراقَ شجرِ البلاد، يبُلُّون ريقا، يلزمون مكامنَهم تَعشُّقا، يذرون وراءهم أكباداً وحشايا؛ يسوقون النَّصرَ سوقاً لأُمَّةٍ بلغَ منها الظَّمأُ مبالغَ الهُزال.

أفلا ندعوا لهم في ليلةِ اليُتم التي قُدِّرت!!!

ليلة القدر /حرب غزة الثالثة

24 يوليو / تموز

الأرض، كلُّ الأرض لك

والأرضُ كلُّها لله، تشابهَ من عليها وإن اختلف؛ فتجدُك في قومِك يحمِلُك عليهم ما يحملُك على سواهم في غيرِ أرض= إذ تنوءُ روحُك باغترابك، وهو فيك وما حَللتْ.

فإذا أُلهمَ فيك نابضٌ واستويت، فالأرض كلُّ الأرض.. لك

24 يوليو / تموز

آمنٌ في سريك

وأنت تداعبُ ابنَك، تلاعبُه، تتغنَّى بمآثره، وصهوات لسانه، أمام صحبك، منتفخَ الأوداج متباهيا؛ تلتفتُ ناحية التلفاز، يخطَفُك صغيرٌ مُلقى في رواق، يحمل عيني ابنك، ذاتُ النَّظرة، إن لم يسكنْهما رعب الدنيا، وإن لم تُبحلقا في اللامكان، تبلعُ ريقَك، ذاتُ القبضةِ الصغيرة، وربّما ذاتُ الصوتِ المزقزق، إن لم تشطره القذيفة إلى نصفين= لا يجد مكاناً في ثلاجة الموتى مذ غادر حصنَه في حضن أبويه، واللذَين لربَّما تباهيا فيه يوما، أمام الصحب والجيران، بطلاقة اللسان، وشعاع الألمعية في عينين، ينبئان بأنّه لربّما كان له مستقبلٌ باهرٌ، لربَّما. خطفك الصغيرُ المُسجَّى، اجتاحتك غصصُ الدنيا بأسرِها، اسودَّت في عينيك كلُّ الرؤى، تقترب زوجُك منك، تحتضنها، تقول: مساكينُ أهلُه، كيف يطيقون من بعده حياة؟!! تربِّتُ عليك يدان مضمَّختان: هوِّن عليك، تُطفئ الشاشة بضغطةِ زرٍّ في جهاز تحكُّم ملقىً بجوارك، تزيدُ من احتضانها، تغمرُ ولدك، تتنهّد، أن أمسيت آمناً في سريك، تنم قريرا، فقد قُضيَ الدَّين، وربُّك يصطفي... ويختار.

24 يوليو / تموز

إلى العبد الآبق

من شجاعِ الدين عثمان الكردي أمير الشجاعية، ووالي صلاح الدين الأيوبي عليها، إلى عبدِ مصرَ الآبق:

بيننا وبينك تتارُ هذا الزمان، فإذا سُمناهم سوء العذاب- وإنّا لفاعلون- أتيناك فعلَّقناك على خازوق العنقاء، في وسط ساحة مدينة الشجاعية، لتموتَ ضرباً بالأحذية.. فارتقب.

25 يوليو / تموز

محادثاتٌ تحت القصف

تتوالى الاتصالات منهم على أسطوانات مسجَّلة مُطالبة بالإخلاء أو القصف بشكلٍ مُلحٍّ متكرر على مدار اليوم.

التعقيب:

- وطُّوا الصوت.. بيكفي دِحِك

- وين جلبابي؟؟

- فِكرَك يتقدموا؟...

- سيبك يا زلمة، هدول هَمَل

- منشان الله بيكفي دِحِك خلينا نسمع.

- مراارتي

-الجبانين الحقيرين

- من عليه الدور يسمع؟

- خلونا نتجمع هون أأمن شي

- على مين الجلي بكرة؟

- بس نعيش لبكرة يا خانم

- ولك اتقدموا

- بضلُّوا هَمَل

- مين الماركسي اللي شارب عصيري؟؟، ملكية عامة ليكون؟!!

- هاتي ال100 شيكل اللي عليكي

- في الجنة

- مافي شواكل في الجنة، هاتيهم هلا

- يهودية طول عمرك.

26 يوليو / تموز

أقنعة

عن الأقنعة التي ما فتئت تتوالى سقوطاً

عن القصعة والأكلة

عن بعيدٍ يتجهَّم، وعدوٍّ ملك الأمر

عن متلازمة القريب، والجَسْر على دم

عن ابن الدين الواحد، والمذهب الواحد.. والتوماهوك.

عن العربيِّ ونفطه، وعصا الإقلاع في قمرة القيادة

عن الطفل الذي قضى رعباً، قبل أن يقضي قصفاً

عن بنطاله المرصَّع بالبَوْل

عن موجات القيح والصديد

عن العار إذ تحالف

عن الكاشفة الفاضحة

بصقةٌ على روحي أن أنشدتها يوماً: بلاد العرب أوطاني!!

26 يوليو / تموز

الجنود المجهولة

يحيِّرني أن لم يخطر على بال ساسِتنا في فلسطين؛ استغلالَ جنودٍ مجهولين: كعواملٍ تحفيزيَّةٍ في قضيَّةِ التحرير العصيَّة هذه!

جنودٌ لو علمتموهم: لسارعتم إلى أعتابنا؛ فاتحين محرِّرين!

الأقصى!! لا بالطبع، ليس الأقصى، ولا حتى كرامات أرض المحشر، لا تكن تقليديَّاً أرجوك، أطلق لفكرك العنان، وحاول التفكير خارج الصندوق! أعملوا أذهانكم معي رجاء، علَّنا نكشف كُنه جنديَ المجهولين!

فكِّروا مثلاً بـ: المَفتول، المُسخَّن، السُمَّاقيَّة، الشيشبرك، المنسف، الشاكريَّة، وغيرها الكثير من أطباقنا التي ربما سال لها لعابهم، فساقهم نداء البطون؛ إلى مخازن الذخيرة! هذي هي الجند الحقَّة.

وهذا ما نستطيع تقديمه لهم لنحشدهم بما يتواءم مع طينيَّتهم؛ التي ضخَّت المليارات، وألَّبت الأطراف، وسعَّرت الساحات؛ لقاءَ شوارع: الحمراء، والأشرفيَّة!!!

الفرق؛ أنَّنا لا نبيع اللحوم!!

27 يوليو / تموز

ثلاثون ثأرا

يُهدون صغارنا العيدَ مجبولاً بدم، نهديهم جنودهم في طرودِ موت.

#ثلاثون-ثأرا

28 يوليو / تموز

أسباب الحياة

وإنّهم ينتزعون الحياةَ من أشداقِ الموت الفاغرة فاها= ما استطاعوا إلى الحياة سبيلا.

#ثلاثون-ثأرا

28 يوليو / تموز

فليرحل محتَّلي

فليُمسي وطني حراً... فليرحل مُحتلّي.

#قسَّاميون

#في سبيل الله

29 يوليو / تموز

قسماً لا تسلم يا عدوِّي

عدوي الإسرائيلي،

أنت هدفي الوحيد وعدوي الوحيد، تربيت على ذلك، وستكون أنت دائماً وأبداً عدوي، السلام مرفوض معكم، العلاقة الوحيدة بيننا وبينكم هي حالة الحرب الدائمة، يوما ما سوف نلتقي على أرض المعركة.

29 يوليو/ تموز

اسلمي يا مصر

أنباء عن استشهاد ستة جنود مصريين على الحدود، بقصف من طائرات إسرائيلية مقاتلة! إنّه الدم الواحد، المُراق على الأرض الواحدة، وبيد العدو #الأوحد...

#إلى كلاب القومية

#إلى أدعياء الوطنية

#على قلوبٍ أقفالُها.

30 يوليو/ تموز

فضائل الشام

وأحاديثُ فضائلِ البلدان لا يصحُّ منَّها إلا فضائلُ بلادِ الشام.

31 يوليو / تموز

هجرة

وللعبدِ في حياتِه الدنيا هجرتان؛ هجرةٌ إلى ربِّه بعد طولِ هجران، وهجرات أصابَ بها دنيا وحظَّ نفس، وهجرةٌ من وطنِه الذي فيه ربا أو حيثُ انتهى به مُقامُه= إلى محشره. والسعيدُ من شدَّ رحاله إلى هجرتيه قبل أن تسوقه نارٌ تلظّى.

4 أغسطس / آب

متراس الصدور

- وما من ملاجئ تحتمون بها!!

- ولِمَ خلقَ الله العظمَ متراسَ الصدور!!

5 أغسطس / آب

جرائر

والإصرارُ على جريرةِ ما كان، أنّه كائن؛ أشدُّ من ادِّعاء كونِه.

12أغسطس / آب

هدنة

هدنة

تتلوها الهدنة

خرقوا الهدنة

طلبوا هدنة

عادوا فخرقوا

وزادوا هدنة

قاموا وقعدوا

- لا للمينا

- هاتوا العُملا

- نطلبُ هدنة

ارجع اقعد

مدِّد هدنة.

14 أغسطس/ آب

مغاربة

مغاربية تقتطع من راتبها مبلغاً معلوماً، بشكلٍ دوريٍّ ثابت، تُحوِّله إلى صندوق القدس. إلى هنا لا جديدَ أو غريبَ في الخبر، الجديد أنّها ابتدأت اقتطاعها ذاك، منذ استشهاد الياسين أحمد، إلى يومنا هذا. هي تقول أنَّ بركات ذاك الاستنان ما انفكَّت تتوالى عليها.

#هؤلاء-المغاربة

#غزة-فوق-القصف

14 أغسطس / آب

غزة فوق القصف

القصف على أشده الآن... ثانية بين كل قذيفة وأخرى.

#غزة-فوق-القصف

19 أغسطس / آب

طاء وزاي

أجملُ حرفين يمكن أن تقع عيناك عليهما مجتمعين أبدا، احزروا معي، حاولوا، لا، أبداً، ليس كما تصوَّرتم... يالتقليديَّتِكم! جرِّبوا الأجمل، الأكثرَ ألقاً وإبهارا، الطاء مع الزاي مثلاً، أي نعم... هو اجتماعُ الطاء بالزاي.

#يا-إسرائيل

#غزة-فوق-القصف

20أغسطس / آب

حاضنة

ما شَهِد جِنازةَ زوجِه، وولدِه، ولا ودَّعهما؛ كُرمى لنا، بخيارِه خيارِنا نبقى شرفاءَ أعزَّة... حتى الفتحَ والتحرير.

#محمد-الضيف

#غزة-كلُّها-أهلك

#غزة-فوق-القصف

20أغسطس / آب

عاينتُ أسودا

الصاروخُ الأول- يُسمُّونَه تحذيريَّاً- ارتجَّت على إثره الحارةُ كلُّها، تُنبِّه أهلَ البيت أنَّهم المقصودون، وتنادت رجالُها على أبواب البيت المستهدف، يحملون الصغار، يلوذون بهم، وكلٌّ يعرِضُ بيتَه. ولفقدِ طفلةٍ صغيرة، يعودون فيقتحمون البيتَ كلُّهم، ينادون عليها يبحثون، ويتأكدون من خلوِّ البيت، مخاطرين، لعلمهم الأكيد أنَّ ما بين الصاروخِ الأول، والقصف الذي يتبعه شديداً فتَّاكا لا يُبقي ولا يذر= ما بين أقل من ثانية، إلى الخمس دقائق.

#عاينتُ-أُسوداً

#غزة-فوق-القصف

20أغسطس / آب

الصيد الثمين

تكتكوا ثيابهم، لملموا أوراقهم، وتداعَوا على عجل، تحدوهم لهفات الكون، قالبين كلَّ موائدِ المفاوضات، معتلين حديدهم =ليقصفوا منزلاً آمناً بمدنييه، مظنَّةَ وجودِ مقلق منامهم، مزلزل أركانهم، صيدهم الثمين... والله خيرٌ حافظاً.

#محمد-الضيف

#غزة-كلُّها-أهلك

#غزة-فوق-القصف

20أغسطس / آب

سدِّد، وارم

مالي لا أرى الرجولةَ إلا معنًى كامنًا في لفظتين: سدِّد، وارم!

22 أغسطس/ آب

جرّةُ غاز

تسوَّرَ البيتَ ليختلسَ جرَّةَ غازٍ في زمنِ الحرب والحصار، سمعها ترطنُ بالعبريَّة، انسلَّ مُحاذرا، ولأقرب مركزٍ شُرَطيٍّ وصل معترفاً بنيَّةٍ لم تكتمل فعلاً، مبلِّغاً عنها...

عزَّروه هو تقريعاً، وبقنبلةٍ في عبِّها هي.. فجَّروها.

#خنق الرقاب vs #ضرب الرقاب

#غزة فوق القصف

22 أغسطس / آب

وطني ليس حقيبة سفر

وإنَّني لموقنةٌ أنَّ حقيبةَ سفرٍ تُجهَّز في فلسطينَ لغيرِ ما طلبِ علم، أو علاجٍ، أو عرضٍ زائل يعقبه عَوْد= لهي إسفينُ لعناتِ الله وملائكتِه والناس أجمعين يُدقُّ في نعشِ القَبول، وأنَّ حكمَ صاحبِها هو هو حكمُ المتولِّي يومَ الزحف، عن وطنٍ لا يفتأُ رباطاً، إلى يوم الدين.

#وطني-ليس-حقيبة-سفر

#وما-أنا-بمهاجر

#غزة-فوق-القصف

23 أغسطس / آب

وما أنا بمهاجر

وفي كلِّ وطنٍ يجوسُ خلالَه ظلمُ طاغوتٍ، يحلُّ فيه لمستضعفيه أن يجدوا في أرض الله بَراحاً لِزاما. وفي كلِّ وطن يستمرئُ فيه الأقربون قوتَ ومعايشَ أهليه، تحلُّ فيه هجراتٌ لدنيا يصيبونها؛ حلالا. «وفي كلِّ وطنٍ يستبيحُ فيه الأرذلون دماءَ وأعراضَ وتمامَ دين، يحلُّ فيه الفرار وجوباً، وعن الإعراض عنه يُسألون. وفي كلِّ وطنٍ مسلوبٍ منهوبٍ يستجدي قبلاتِ الحياة إنعاشاً، تجدُ مِن بنيه مَن يوسعونه لعناً، ومَن يضنِّنون عليه إلحافَه، ومن إلى مكاتب الهجرة والترحيل يصطفون.. غيرَ ملومين.

إلا فلسطين.. فإنَّك -وإن اجتمعَ عليك ما سبق- وزد عليه؛ موتاً يتربَّص، تجارةً ومعايشَ تُستهدف، خياماً تتلوها خيام، غدرَ الأقربين، تآمرَ الأولين والآخرين، وجرحاً نازفاً يأبى إندمالاً، وعلمَنا اليقين أنَّه غيرُ مرتوقٍ إلى أن يشاء الله= أقول: فإنَّ هجرتك منه مسافراً مولِّياً ناكصاً زاحفاً، لهي لعناتٌ تلاحقك إلى يوم يُبعثون، فلا يتولَّى عن فلسطينَ، إلا كلُّ خؤون.

#أسنى-المتاجرِ-في-حكم-مَن-تغلَّبَ-على-وطنه-النَّصارى-ولم-يُهاجر

#وطني-ليس-حقيبة-سفر

#وما-أنا-بمهاجر

#غزة-فوق-القصف

23 أغسطس / آب

شبرة قمرة

شبرة قمرة شمس نجوم

صهيوني نجسٌ مرجوم

ناجى العبدُ الصالحُ ربَّه

قفلوا طريقي صوبَ القبة

سورٌ يعلو قطَّع بلدي

ما أركسَ أبداً يا ولدي

عندَ الحاجزِ صرخَ يهودي

هاتِ هويَّة، خلفاً عودي

أربعةَ عقودٍ لم تبلغ

تصل الأقصى.. غرباً تبزغ!!

ما علمَ هذا المحتلْ

أنَّ الأقصى بنا قد حَلْ

تحتَ المطرِ وفوقَ الثلجْ

لن تمنعَ أجراً يا علجْ

في الأكنافِ أُقيمُ صلاتي

أبقى حيَّاً بعدَ مماتي

أغسطس/ آب

هزمتكم غزة

فاوضوا نبيَّ الله موسى- عليه السلام- وجادلوه، وأثخنوا في المفاوضة والجدال، وجسَّدوا عنادهم وبغيهم عجلاً له خوار، أمام ناظري نبيَّ الله هارون- عليه السلام- ونجعلُ بيننا وبينهم مائدةَ مفاوضات!!!

#هزمتكم-غزة

#غزة-فوق-القصف

21 أغسطس / آب

القصف بالقصف

«وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ، وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ..» الآية.

#غزة

#القصف-بالقصف

#رمضانكم-مبارك

أغسطس/ آب

نغزوهم ولا يغزوننا

أفهمناهم -بفضل الله وعونه- في خمسينَ يوماً ما لم يفهموه في ستينَ عاما.

#وانتصرت-غزة

#نغزوهم ولا يغزوننا

26 أغسطس/ آب

أقمار الحرب

تُعرض الآن صورَ شهداءِ الحرب الثالثة على غزة، تمرُّ وجوهُهم الألفان ومئتان تباعاً على الشاشة؛ أطفالٌ بعمرِ قطراتِ ندىً منداحة على خدِّ بتلاتِ السنين، شبابٌ تتراكضُ في ضحكاتهم الصامتة صهلات، وتنهمر من عيونهم رقصاتُ توقٍ مثقلُ السحائب، وشيوخٌ طاعنين، خطَّ الزمانُ على وجوههم تجاعيدَ الاقتدار، وكافأهم بكلِّ تجعيدةٍ وسائمَ نورٍ، ورضا.

أتابعُهم وأعجب؛ أخلقَ اللهُ النورَ في فلسطين، ثمَّ سلكَه عيوناً بعدَها في قلوب العالمين

28 أغسطس / آب

وحيدي

أرملةُ شهيدٍ؛ أعدَّت وحيدَها وجهَّزته بسلاحِ أبيه، في الصفوف الأمامية كان، لم يُراوحْها طوالَ الحرب مُتخندقا، بُشِّرت باستشهاده صبيحةَ النَّصر، والبشرى سبقتها رؤيا، سلَّموها مع البشرى سلاحَه سلاحَ أبيه، أعادته لهم تستلهمُ البشريات، شيَّعتْه مزغردةً.. ومن خلفها بناتها الثمانية.

29 أغسطس / آب

شهيد

وفي الحرب..

اتصلوا عليه وهو بين ذويه وخيَّروه: أأنت وأهلوك الآن، أم تخرج إلينا؟؟

ودون أن يُعلمَ أهلَه بفحوى المكالمة، هرولَ بكلِّ ما فيه، متجاهلاً نداءاتِهم، وفي ساحةٍ بين المنازل خاويةٍ انتقاها؛ قف وانتظر، حتى جاءه قدرُه صاروخاً، فصعدَ شهيدا.

30 أغسطس / آب

ثوابتنا الأربعة

والثوابتُ أربعةٌ أربعة، معلومةٌ آحادُها، من أوَّلِها -وكلُّها أوَّل- لرابِعِها، إن اشتبهتم فينا تفريطاً بثابتٍ منها؛ فدمنا لكم حلالٌ سفحه، ولحمنا لكم حلالٌ مِزَقه، لا ملومين ولا مُستعتبين.

أرأيتَ أخاً يذرُ أُمَّه أُمَّه، وعاءه ومعناه، عند أخيه يستأمنه عليها، بوعد عودٍ؛ فيستبدلَها بأُم!!!

أرأيتَ أخاً يستأمنُ أخاه صكوكَ بيتِه مرتعِه، المعلومِ الصِّفات والحدود؛ فيتاجرُ فيه لقاءَ حياةِ أنعامٍ في بيتٍ -رحبٍ آمنٍ فارهٍ - كبديل!!! أما واللهِ إنَّها لثوابتُ الدَّهر، لا تفريطَ إلى يوم نلقاه؛ قدسُ، حقُّ عودةٍ، أسرى، ولاجئون.

.#أن-تكون-محبّاً

#أن-تكون-فلسطينيّاً!!

11سبتمبر/ أيلول

سبحان الله

بعد أن أفلحت العقول القسامية، في اختراق موجة بثّ القناة العاشرة الصهيونية، وجعل مذيع قناة الأقصى الفضائية، يوجِّهُ رسائلَه اللاهبةَ، متوعّدا مذيع القناة الصهيونية المخضرم- أعرفه صغيرة- دون أن يخاطبه، وكأنّه الهواء، والصهيوني طوال النصف ساعة، مدة الاختراق، وهو يحاول مدَّ جسرَ حوارٍ، بذلٍّ وصَغار، وصاحبنا يتجاهله تمامَ التجاهل.

بثَّ أشاوسنا بعدها رسائلَ مسجَّلةً، فيها تهديدٌ ووعيد، هدّدوا فيها المحتل، بإجباره على التزام الملاجئ، لأمدٍ يختاره القسام، مصحوبةً بأنشودة ساخرة، باللغة العبرية، على نسق الأنشودة الأصلية: قم زلزل زلزلة.

أعقب النصف ساعة المُتَّصلة، محاولةَ اختراق صهيونية لفضائية الأقصى، تدوم فيها ثوان، ويعود البث.

الجبناء بكلِّ جبروتهم، عتادهم، وقدراتهم الإعلامية؛ كما ينبغي لدولةٍ في مصاف الدول المتقدمة الكبرى أن تكون= حاولوا بثَّ رسائلَ تثبيطِ همم، بالتقليل من شأن المقاومة وجدواها، هدفها قلقلة وزعزعة الصف الفلسطيني، الحاضن لمقاوميه.

و بكلِّ بروفيسورات علم النفس، وراء رسائلهم تلك- التي يعكفون عليها- بترجمة سخيفةٍ سقيمة، ورسوماتٍ هزيلة، بالغةَ الغباء= ما استطاعوا أن يستجلبوا منّا سوى موجاتٍ متتابعات من الضحك، حدَّ الإعياء.

ووالله لو أنّ طفلاً غرًّا،راحَ يحاولُ إغاظةَ قرينِه، بكلماتٍ وأفاعيلَ خرقاء، ليس من ورائها إلّا اللهو واللعب البريء، لكان أجدر أن ينجح!!

#أفلا-تضحكون!!!

ذاتُ حسم

أتقافزُ- كما عصفورٍ جذل- من شُبّاكٍ إلى شُبّاك، أرقبُ حثيثهم، ألاحقُ وثباتهم، وأتتبّعُ مدّهمُ يفيضُ خيرا. عينان مسحورتان بقاماتٍ فارهات، لغزٌ محجّلين، ونابضٌ يلهجُ بدعواتٍ مرسلات. أسدَ غابٍ تتواثب كانوا، يطوون الأرضَ بأقدامٍ مباركاتٍ طيّا، صقرَ معالٍ تتسامقُ، وقد دانت لهم الثُّريّا. فرسانٌ خُضر، بعصائبَ سود، يردفون الشّقراءُ، تتلظّى بين أياديهم حداءً وأغاريداً، تضجُّ فوهتها: أن لا صوتَ يعلو فوقَ صوتها اليوم. يتّخذون من أسوارِ بيوتِ شعب- دان لهم بمبايعاتٍ وولاء- ساتراً ومتراسا، بعد أن نُصّبوا أبناءً للعزِّ، وحماةً لديارٍ، بوركَ ما حولَها، تكلؤهم أُمهاتٍ، تلهجُ نوابضهنّ بدعواتِ تمكين. يجدّون السير حثيثاَ، تقبّلُ خطاهم أرضُ معراج، تحوطُهم نسائمٌ تمازجت بأنفاسِ الأنبياء، وقد توَّجتهم أرضُ السماء أكاليلَ غار، وعصفَ ريحانٍ ٍ على جبينِ أزمنةٍ استمرأت الرزايا، فكانوا لها أحصنةً تأبى الكبوات. رجالاتُ الإباء هم، المتفردون المباركون، من شهد لهم النقيع، وسامرتهم الهيجاء، وجاوروا الشُّهب البهيّات نُزُلا. أبناءَ الوطن العقيدة، مرابطو الأبد، خيارنا المُتمترس= إنَّا باقون على العهد، ما بقيت فينا أنفاسٌ في صدور.

ليلة البارحة

تصدّى مجاهدونا لقوة إنزال صهيونية- كوماندوز ضفادع بشرية- على ساحل غزة، تربّص بهم المجاهدون، مستدرجينهم كالفئران إلى المصيدة، حتى وطئوا الأرض فالاشتباك معهم وجهاً لوجه.

المواطنون سمعوا أصوات استغاثة الصهاينة بوضوح، مع رشقات رصاص المجاهدين الصالية، رافق ذلك؛ الطيران الحربي -F16- الذي حاول التغطية على جنوده، بإلهاب البحر والمناطق المحيطة، بقذائفه المسعورة، حتى تراجع المجاهدون، سامحين بانتشال ما تبقى من فرقة الكوماندوز (الخاصة) للجيش الذي لا يُقهر.

قائد العملية العسكرية يُعلن: لقد وقعنا في كارثة.

* الكتائب تؤكد أنّ الاشتباك كان من النقطة صفر، مما يعني أمتارا معدودة بين المتواجهين، مع أخذ عامل المفاجأة بالحسبان؛ فإنّه من المنطقي أن تزيد فرصة الإصابات القاتلة في يهود، إن لم تكن إبادة للوحدة الخاصة بأكملها، والصهاينة يعترفون بأربعة جرحى!!!

خسائرهم محقَّقة بفضل الله، فترقّبوا إعلانهم عن عدد قتلى حوادث سير كعادتهم.

كانت ليلة ماذقنا فيها طعم النوم، ليس بسبب قذائفهم التي تخلع القلوب- توهَّموا- ولكن، فرحاً واستبشارا.

#أسود-القسام

#جندُ-الله-في-أرضه-المباركة

وقِّع!

وقِّع يا ملعونُ الآنْ

قد ولَّت تلك الأزمانْ

تضرِبُ لا نلقى السُلوانْ

إلّا شجبٌ أو إذعانْ

وقِّع ومطارُك لن يقلع

وناتانُكَ أبداً لن يُسمع

مُتَّحِدَ الأُمم ولن يردع

صاروخي باتَ العنوانْ

حاييمُ وابنتُه وسارة

لم يسلموا-سحقاً- من غارة

طالتهم في بطنِ مغارة

في حضنك أمِّي #بيسان

شاؤولُ ضيفٌ ثرثار

لا يصمتُ أبداً مِهذار

إلحقْ بادلْه أو العار

يلحقُ ثكناتٍ خسرانْ

وقِّع يا وغدُ فلن نسأم

تركيعَكَ أبداً لن نعدم

وعلى رأسك كان المغرَم

طوفانٌ يتبعُ طوفانْ

وقِّع يا نَغْلُ فلن نسمح

ومطالبنا لن تتزحزح

وقِّع توّاً أو تترنح

وكيانُك تتبعُه لِعانْ

اضرب بحصارِك أو شدِّد

فغداً تلقى جندَ محمد

وستلقاهم خلفَ الغرقد

ومآلُك دركُ النيرانْ

18 أغسطس/ آب

ماذا تعرف عني؟!

«ضيّعونا... بين عقلية الحملان المشاكسة، وفرضية أنهم الملائكة المنزلون

هم- المساكين- لا يعرفون عن الأقصى غير قبَّةٍ ذهبيَّةٍ لامعة،

والتي- بالمناسبة- ليست سوى قبة الصخرة، أمَّا المثير: أنّهم لا يعرفون ما قبَّةُ الصخرة تلك!

- إذاً؛ ماذا عن فلسطين البلد الشقيق!

- صدقني؛ هم لا يعرفون عنها أيضاً غيرَ مجموعاتٍ من العرب الملثَّمين بالكوفيَّة، ومجموعاتٍ أخرى من اليهود في زيِّهم الخاكيِّ المميَّز، يقضون حياتهم في مطارداتٍ أبدية!

وخذ هذه عندك: هم لا يعرفون أيضاً: من منهم (توم)، ومن (جيري)!!

محضُ لعبةٍ ممتعة، أو مسلسلٍ شيِّق، يتابعونه حيناً، ويملُّونه أحيانا.

أمّا إذا عنَّ لأحدهم لعبَ دورِ الثائر، صاحب القضيَّة، المنافح عنها= جعجعةً في المحافل، لتراكض حوله الفتيات المائعات، يزفُّونه ب (الواااو)، وال (اليااااي)، أقول: فما عليه سوى أن يلفَّ حول رقبته الكوفيَّةَ الشهيرة، ولا ينسى التمرُّنَ في مرآته كلَّ صباح؛ على نظرة: الغضب الساطع آتٍ، مع كثيرٍ من: يا عاقد الحاجبين!!

خرف

إذن؛ ففلسطينُ بلدٌ خارجَ حدودِ الجغرافيا، وعلى هامش التاريخ!!هذي هي فلسطين بالنسبة لكم!! لا، لا، دعوهم وما يخرفون أرجوكم، لا تحاولوا إقناعهم، أو استجلابَ عطفهم، أو حتى تقريعهم، فقط.. دعوهم وما يخرفون...!لعلَّ حروف العربية كلّها؛ تعلِّقهم من أقذالهم على رؤوس مشانق التاريخ، وألويةِ الجغرافيا!

لا تحدِّثوهم عن قدس، ولا عن محشر، ولا عن قدر الله فيها؛ أن جعلها مُحتضنةً موقعاً، مُستلَبةً أبداً؛ لأسبابٍ يعيها الطفلُ الغرير! فمن شحذ أسنَّته؛ فليغمدها رجاءً.

لا تنتخوا فيهم ديناً، ولا عرقاً، ولا إنسانية! فقط اطلبوا منهم فضلاً؛ أن يستخدموا محرك البحث الشهير -خلافاً لعادتهم- ويستعرضوا صور مدن المدعوَّة: فلسطين. هجِّئوا لهم: عكا، يافا، الرَّملة، نابلس، طولكرم، الخليل، بيسان، بئر السبع، عسقلان، و..غزة!

نعم، غزة..

ولن أحنث إن أقسمت؛ أنَّ غزة التي نعرف، لهي أرقى، وأبهى، وأجمل؛ من بعض مدنهم الكبرى: التي بها يتنطَّعون!

قضيتي... في كنف الله..

أرأيتَ من ارتضى من حياته قضيَّة راودته عن دنياه، فأتاها طائعاً؛ عاشها وساكنته، وأسبغت عليه جلالَها المُدمَّى ينزفُه وهجاً، وجلَّلته تاجَ وقارِها حمماً تلظَّاه، وسفوداً تُحاصره.. وإنَّه- على ذلك- يرفلُ مُتمرِّغاً بأُبَّهات سناها حرَّاً، ويزيدُ فوقَ العمر أعمارا، ما بقيَ في كنفِ الله..!

قالت!!

قالت: فئرانُ جحورٍ أنتم، أبناءُ الظلام، حتى ما تدَّعونه من جهاد، هو حجَّتنا عليكم، بقدرِ ما استنزفتم شعبكم، وشدَّدتم عليه الحصار.

أفلا تتعلَّمون كيف تحيونَها جهادا، بدلاً من فقه الموت هذا الذي تسوقوننا إليه راغمين..!!!

فردّوا أنتم..

«كل موتة يهودي»

مثلٌ شهير عندنا هنا في فلسطين، نطلقه إذا أردنا التعبير عن طول الأمد، وتعسُّر الحدوث..!

حسناً، يبدو أننا مضطرون لاستبداله بمثلٍ مكافئٍ قريبا، بعد أن انتفت مصداقيته..

إنَّهم يموتون، بل والموت أضحى يتأبَّطهم في الطرقات؛ يتربَّصُ بهم حيثما يولُّون..!

إنَّها انتفاضةُ السكاكين: تُبعث من جديد، كأنَّ الفلسطينيَّ أبى إلّا النِّديَّةَ في كلِّ أمره: فالدَّمُ بالدَّم، والدهسُ بالدهس، والموتُ، بالموت..!

السؤالُ الآن: كيف لشابٍ واحد أوحدٍ متفرِّد، يحملُ سكيناً واحدةً، يواريها خلف ظهره، كيف له أن يطعن- لوحده- سبعةَ عشرة صهيونيَّاً مرةً واحدة، ليصيب ستةً منهم إصاباتٍ بليغة، وسط تشديدٍ أمنيٍّ فريد، في دولةٍ تعتدُّ بسياجها الأمني المبالغ فيه، والذي هو الأعقد والأشدُّ تطورا..!

أليست هي الاشارات! أليس هو الإيمان! أليس هو اليقين! فمالكم، ماذا تنتظرون!!

صباح البشريات يا مسلمون..

#عملية- الطعن- في- تل- أبيب

غزة؛ قنينة عطر

صغيرةً صغيرةً، أجري وأجري في البيّارة، بيّارة كبيرة كبيرة، من أوَّلِها لمنتهاها أشجارُ برتقال وليمون، تشمُّ رائحةَ أريجها من آخر آخر الدنيا، أشرئبُّ على أطرافِ أصابعي، أقطفُ براعمَ وأوراق مِلءَ قبضتي الصغيرة، أعودُ لأمي هاتفة: عندي لكِ مفاجأة، أعطني قنينة صغيرة فقط.

أحملُ براعمي وقنينتي، أملأُ القنينة بالبراعم المُعبَّقة وبالماء، أرجُّهما جيداً جيدا، أركضُ لأمي فرحةً جذِلة.. صنعتُ عطرك.

ولك أنت فلسطيني! يسعدني ربّك

أسعد الله أوقاتكم: أتابع برنامجًا للطّهو، يتضمن متسابقين من بلدان عربية عدّة، من بينها فلسطين..وأظنّه -البرنامج- مرآة سلوكية لكل شعب بعيّنته المنتخبة، إن اعتبرنا الضغط الممارس عليهم مناسبًا لهكذا قياس! المفيد أنّ تذوق اللهجات المختلفة جعلني أنتبه لجمالية لهجتنا حقّا: متفرّدة بتعبيراتها ومفرداتها

من بين بلاد الشام، وقوية بالنسبة لها في آن، ثم إنّها تحمل رائحة عجيبة من النّزق المحبّب ربّما، كأنّما اللهجة هي الواجهة المبرّزة لطابع ناطقها وطباعه، فتتخيّر لأجل ذلك من الحروف ما تتلاءم صفاتها -تفشٍ وجهر- مع هكذا طباع، فتغرف منها ولا تبخل، وإن كان للمرقّق منها والمستفل حيّزا، يرشّد الرّقة ويقنّنها، فلا تميل كلّ الميل، ليجعل من المزيج رائقا يميل إلى الشّدة بلا نفور. هذا بالطبع، مع تجاهل معامل الحنين الفطري العام -أظنّه-!

#فيفا-بلستينا-ياجدع

وانتصرت غزة

مساجد غزة الآن تصدح بتكبيرات العيد وصليات الرصاص، الله أكبر ولله الحمد.

سبقتمونا احتفالاً بعيد الفطر، نسبقكم إلى الأضحى، والفداءُ يهود.

أهلونا وأحبابنا في ديار الإسلام، كبّروا معنا، الله أكبر ولله الحمد.

#وانتصرت-غزة

26 أغسطس/ آب

الخاتمة..

إنَّ وجود فلسطين عربيّة، هو تهديدٌ لبريطانيا العظمى، وخطرٌ على العالم، لكنّ وجود فلسطين يهوديّة، هو مكسب لبريطانيا العظمى، وبركة للعالم.

ليست فلسطين كوفيّة، ولا حلقة دبكة، ولا ثوبًا مطرَّزا، أو أغانيَ ثوريّة، ليست ريم بنّا، ولا درويش، ولا علمًا مسفوحًا على ظهر، أو حنظلة متدلِّيًا على صدر، ليست قافًا منقلبة كافا، ولا خارطة توشم أو تصلب، ولا عصبة فتيات لسن من الأرض، لكنهنّ يتصيّدن اللكنة تغنجا، أو بحثًا عن دلالات ثقافة وثوريّة، أو شبيبة تُسقط الفرض بالأغنية، والرقصة، واللفعة، ريثما يبدأ الكلاسيكو، أو ما شابهه، ليهتف باسمها تفريغا للطاقات!! فلسطين ليست ميجانا، ولا عتابا، ولا ظريف الطول، فلسطين ليست رثائيات ولا جيفاريات، ولن تكون كربلاء، كما أنّها ليست منصة لكلِّ متسلقي الأرض، من لاتين وعربان! فلسطين إن لم تكن لله قضية، تؤخذ بالجد والنَّصب، وتوهب العمر والدم والعصب، فحلّوا عن سماها!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(تم الكتاب بحمد الله وتوفيقه)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

متميزون
للكتب النصية
E-Book

Group Link – لينك الانضمام الى الجروب

Link – لينك القنـاة

فهرس المحتويات..

عن الكتاب..

الإهداء..

شكر وعرفان

المقدمة

ها نحن بنو كنعان...
القدس الشريف عاصمة فلسطين..
نكبتنا فينا
فإنّك لم تذق...
بين الميج، والإف ستة عشر..
إنّهم يقصفون الأبراج (حرب 2014)
تداعيات من 2006 إلى 2014
اصطفاء
خدعوك فقالوا
كذَّابُ اليمامة أحبُّ إليَّ من صادق مُضر!!!
شعوبا وقبائل
الماسادا.. وما إلى ذلك
تُحبُّ الأقصى!
الطبل بدوما، والعرس بحرستا
يا مسلم يا عبد الله
عباس خلف المتراس
أكتافٌ للبنادق والحبيبة...
جادك الغيث
جنة
في حواصل طير
رجل الأقصى..
شابات شالوم
حدَّثني جدِّي
طلّت البارودة..
يومَ أُسريَ بي
خطّاب
من يشتري للموت تذكرةً سوانا!!
عودٌ... فذرون
من الكعك المقدسي، إلى الجبنة الحلّوم
سوناتات غير منضبطة، في حبٍّ لا ينضبط!
جئتُ أُعلن حضوري...
الحرب على غزة 2014

Notes

[←1]

(1) (الأنبياء - 71)

[←2]
(2) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق [1/75]، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة [7/1260]: إسناده صحيح

[←3]

(3) أخرجه أحمد [16965]، وحسّنه الألباني في السسلة الصحيحة [1961]

[←4]

(4) كاتب ومحلّل سياسي سوري

[←5]

(5) مجزرة الحولة 25/05/2012